مآب المذنبين

دروس في معرفة الذنوب وآثارها وسبل الوقاية منها

برنامج رافد للتأهيل الثقافي

مركز نون للتأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
بيروت ـ لبنان ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org

الكتاب: مآب المذنبين.
إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة.
الطبعة: الأولى- بيروت- 2012.

مآب المذنبين

دروس في معرفة الذنوب وآثارها، وسُبل الوقاية منها

مركز نون للتأليف والترجمة
جميع الحقوق محفوظة ©

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم والحمدُ لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد المصطفى الأمين وآله الطيبين الطاهرين، وبعد:

إنَّ نظرة الإنسان إلى الحياة والكون في شتى المجالات بل وحتى عواطفه وأحاسيسه كلها تدور حول محور العقيدة التي يتبناها، بحيث تسهم في تكوين بنيته الفكري والاَخلاقي والاجتماعي، وتوجّه طاقاته نحو الأفضل والأحسن.

ولقد اقتضت حكمة الخالق تعالى أن يرشد الانسان إلى الجذور والاُصول التي يستقي منها معارفه وينهل منها حقائق هذا الوجود ليصل من خلالها إلى المعتقدات الصحيحة السليمة من الشوائب والبعيدة عن الانحراف بعد أن منحه تعالى الفطرة الصافية مشعلاً يهديه إلى النور، نور العقيدة الإسلامية الحقّة الذي أضاء بسناه ما حوله.

ومتى ما حكّم الانسان عقله يدرك أنّ العقيدة الاسلامية تشكّل نظاماً متكاملاً للحياة البشرية بمختلف أطوارها ويرسم الطريق لكلٍّ جوانبها وينسجم مع الفطرة الإنسانية ويضمن تحقق حاجات الفرد الروحية ورغباته المادية بشكل متوازن ودقيق، وبما يضمن كرامته وشخصيته.

وعلى أساس هذه العقيدة يقوم بناء الشخصية، شخصية الفرد والمجتمع والدولة الاسلامية، وتنتظم العلائق والروابط، وتتحدّد الحقوق والواجبات، وتتحقّق العدالة والمساواة، ويستتبّ الأمن والسلام، وينشأ التكافل والتضامن، وتزدهر الفضائل والمكارم، ويُبنى الإنسان من كافة الأصعدة.

فعلى الصعيد الفكري أخرجت العقيدة الاسلامية الإنسان من عالم الخرافات والجهل لتأخذ بيده إلى دنيا العلم والنور، محفّزة الطاقات الكامنة فيه للتأمّل والاعتبار بآيات الله ودلائله، وبذلك فقد نبذت التقليد في الاعتقاد وربطت بين العلم والايمان.

وعلى الصعيد الاجتماعي استطاعت العقيدة الإسلامية أن تسمو بالروابط الاجتماعية من أُسس العصبية القبلية واللّون والمال إلى دعائم معنوية تتمثّل

بالتقوى والفضيلة والإخاء الإنساني، فشكّل المسلمون خير أُمّة أُخرجت للناس بعد أن كانوا جماعات متفرّقة متناحرة.

وعلى الصعيد الأخلاقي نجحت العقيدة الإسلامية في تنمية الوازع الذاتي القائم على أساس الإيمان برقابة الخالق جلَّ وعلا في كلِّ حركات الإنسان وسكناته وما يستتبع ذلك من ثواب وعقاب، الأمر الذي أدّى إلى تعديل الغرائز وتنمية شجرة الأخلاق الفاضلة وجعلها عنصراً مشتركاً في جميع الأحكام الإسلامية.

فلأجل النهوض بالإنسان المسلم من حالة الضعف الروحي والانزلاق في مهاوي الشهوات ومغرياتها، لا بدَّ من تذكيره بمعطيات تلك العقيدة، وترسيخ قناعته بقوتها وصلاحيتها لكلِّ العصور، وذلك بلغة معاصرة، وبشكل يتناسب مع مقتضيات العصر الحديث، والتحليل الفكري.

أكثر ما يهمّ الإنسان في الحياة هو أن يعرف حقيقة مبدئه ومعاده، والغاية من وجوده، ومن أين جاء، وإلى أين ينتهي ، ولماذا وجد؟

هذه الأسئلة التي يطرحها الإنسان على الدوام، تحتاج إلى إجابات شافية، لكي يتخذ على ضوئها موقفاً من الحياة، يحدِّد من خلاله السلوك، ويقيم لمجتمعه نظاماً صالحاً يرتضيه.

وقد أجابت العقيدة الإسلامية عن كلِّ ذلك بمنتهى الصدق والعمق، عندما أعلنت أنّ للإنسان خالقاً حكيماً قادراً لا يُنال بالحواس ولا يقاس بالناس، وأنّ الإنسان وجد لغاية سامية وهي عبادة الله تعالى والوصول من خلالها إلى أرفع درجات التكامل والخلود.

ومّا ينبغي التركيز عليه في هذا الإطار:

أولاً: تعريف الإنسان المسلم بعقيدته الحقة عن طريق منابع المعرفة الصافية.

ثانياً: ترسيخ قناعته بصوابها وصلاحيتها للعصر الراهن، وإبراز عناصر تفوّقها على العقائد الأُخرى.

ثالثاً: العمل على إعادة دور العقيدة في بناء الإنسان المسلم، لتتجسّد في فكره إيماناً عميقاً، وفي سلوكه عملاً صالحاً وأخلاقاً حميدة، كما كانت تتفاعل عطاءً وجهاداً في نفوس المؤمنين السابقين ومن تبعهم بإحسان.

وهذا ما نسعى إلى معالجة الجزأ الأهم منه في هذا الكتاب، من خلال طرح قضية ابتلاء الإنسان بالذنوب والمعاصي كونها ترتبط بالطاعة المتفرّعة عن التوحيد.

ومن الواضح أن الذنوب والمعاصي ترتبط بالمباحث العقدية من عدة جهات، فهي تجسّد مدى التزام الإنسان بطاعة ربه سبحانه وتعالى وتجسيده لمبدأ التوحيد.

وهذا الكتاب (مآب المذنبين) هو الكتاب الرابع ضمن سلسلة رافد للتأهيل الثقافي؛ يمتاز بمجموعة من الخصائص يمكن إيجازها بالنقاط الآتية:

أولاً: في المضمون:

١- يعالج الكتاب قضيّة حساسة ومصيرية عند الإنسان؛ ترتبط بالذنوب والمعاصي وآثارها الدنيوية والأخروية على الفرد والمجتمع، إضافة إلى سبل الوقاية منها.

٢- اعتمدنا في إعداد المضامين على الكتاب والسنة، والتحقيقات المعتبرة لعلمائنا في التفسير؛ والحديث، والعقيدة، والأخلاق والتربية، وذلك ليتسنّى لدارسه التعرّف العلمي الصحيح على الذنوب والمعاصي لما لهذا الأمر من آثار مباشرة على الإنسان.

ثانياً: في المنهج:

١- قسّمنا الكتاب إلى أربعة محاور يتضمّن كل محور مجموعة من الدروس، وقد وضعنا كفايات لكل محور، وأهداف خاصة بكل درس.

٢- لمساعدة الأستاذ والطالب على تركيز بعض المطالب المهمة، استخلصنا من كل درس مجموعة مفاهيم رئيسة تمّ إفرادها في صفحة خاصة ختام كل درس.

٣- وضعنا ختام كل درس صفحة مطالعة مقتبسة من التوجيها الأخلاقية والمعنوية للإمام الخميني قدس سره، تنسجم في أغلب مضامينها مع مضمون الكتاب.

٤- وضعنا لكل درس مجموعة من التطبيقات والتمارين، راعينا فيها التنوّع، وتعزيز تحقيق الكفايات، وقد تمّت طباعتها بشكل مستقل عن المتن.

٥- تعمّدنا التوسعة في مضامين بعض الدروس نظراً لحساسية موضوعاتها

وأهميتها، مع العلم أن الطلاب ملزمين بمطالعة المادة العلمية للدروس بشكل مفصّل لكي يتمكنّوا من الإجابة على أسئلة التمارين.

٦- في الختام نلفت نظر الأساتذة الكرام إلى أن تدريس هذا النوع من المضامين يحتاج إلى التخطيط المسبق والتحضير الجيد من أجل تحقيق الأهداف العلمية والتربوية المتوخاة.

والحمد لله رب العالمين.

المحور الأول

الذنوب حقيقتها وأنواعها

الكفايات:

١. بيان حقيقة الذنب وأنواعه ومراتبه.

٢. بيان الفرق بين صغائر الذنوب وكبائرها، والضابطة في معرفة كل منهما.

٣. بيان الأسباب والدوافع التي تؤدّي إلى الوقوع في المعصية، والوقاية منها.

المحتويات:

الدرس الأول: ماهيّة الذنب وأنواعه.

الدرس الثاني: كبائر الذنوب.

الدرس الثالث: صغائر الذنوب.

الدرس الرابع: الأسباب والمناشئ الداخلية للذنوب.

الدرس الخامس: الأسباب والمناشئ الخارجية للذنوب.

الدرس الأول:

ماهية الذَّنب وأنواعه

أهداف الدرس:

أن يكون الطالب مع نهاية الدرس قادراً على أن:

١. يحدِّد معنى الذنب في اللغة والمصطلح الشرعي.

٢. يسمّي المصطلحات ذات الصلة بالذنب بحسب الاستخدام القرآني.

٣. يتعرَّف على ضوابط تقسيم الذُّنوب بحسب القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام .

تمهيد:

قال الله تعالى مخاطباً النبي محمد ﷺ: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1]، وروي عنه ﷺ أنَّه قال: «**إنَّما بُعثتُ لأتمِّم مكارمَ الأخلاق**»[2].

إنَّ الغاية من التكليف الإلهي وبعثة الأنبياء والرُّسل مبشِّرين ومنذرين للنَّاس هي تحقيقُ الكمال الروحيّ والنَّفسي للإنسان، وإنشاء المجتمع الإسلامي الفاضل؛ الذي تتوازن فيه علاقات أفراده وتتكامل، لذا نجد أن الشريعة الإسلامية قد حفلت بالكثير من الإرشادات والنصائح والتعاليم في مجال الأخلاق التي تكفل صناعة المجتمع الإنساني المنشود وتكفل تربية النفس الإنسانية وتزكيتها بما يحقِّق لها كمالها ورفعتها، ولم تكتف الشريعة بهذه الإرشادات فحسب، بل إنها صبغت الفرائض بصبغة ذات أبعاد روحية لتنعكس في حياة الإنسان كلها؛ فالصلاة مثلاً إضافة إلى كونها فريضةً إلهيةً تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإنّها تربّي المصلّي على الممارسات الأخلاقية الإيجابية، ما يحصِّنه من الوقوع في الذنوب، وهكذا باقي الفرائض.

ومن هذا المنطلق ركَّزت الشريعة الإسلامية -قرآناً وسنَّة- على اجتناب الذُّنوب كلِّها وبالأخصّ الكبائر منها، لكي لا يؤدِّي ذلك إلى انغماس الإنسان في مستنقع الرَّذيلة، ويحرم نفسه من فرصة التكامل المعنوي ويعيش حالة الشقاء الدنيوي والعذاب والخسران الأخروي، ومن هنا وجب على الإنسان مجاهدة نفسه

١- القلم، ٤.

٢- بحار الأنوار، ج١٦، ص٢١.

وترويضها وإبعادها عن الوقوع في المعصية، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**جاهد نفسك وحاسبها محاسبة الشريك شريكه، وطالبها بحقوق الله مطالبة الخصم خصمه، فإن أسعد الناس من انتدب لمحاسبة نفسه**»[1].

معنى الذَّنب:

1. الذنب لغةً:

الذَّنب لغةً بمعنى الإثم والجرم والمعصية، والجمع ذنوب، وأذنب الرجل أي صار ذا ذَنبٍ. وقوله عز وجل في مناجاة موسى عليه السلام ﴿**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**﴾[2]، عنى به قتل الرجل الذي وكزه موسى عليه السلام فقضى عليه، وكان ذلك الرجل من آل فرعون[3]. وفي قوله تعالى: ﴿**فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِم**﴾[4]، أي أخذهم الله بسيِّئات أعمالهم بمعنى تبعة العمل، فالذَّنب معناه التّابع. فكلُّ عملٍ مخالف للقرآن الكريم وروايات النّبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام يتبعه نوع من الجزاء الدنيوي أو الأخروي أو كلاهما معاً[5].

2. الذَّنْبُ اصطلاحاً:

الذنب: هو مخالفةُ الأوامر الإلهيَّة الواردة في الشَّريعة الإسلاميَّة من خلال ترك الواجبات أو ارتكاب المحرَّمات التي يعاقب الله تعالى عليها.

فكلُّ مخالفة لتلك الأوامر والنواهي تعدُّ ذنباً، حتَّى لو كان هذا الذنب في نفسه هيّناً وبسيطاً، فهو عظيم لمخالفته الأوامر والنواهي الربّانية، والخروج عن رَسْمِ الطَّاعة والعبوديَّة.

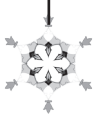

١- مستدرك الوسائل، ج١٢، ص١٥٣-١٥٤.
٢- الشعراء، ١٤.
٣- راجع: تاج العروس، ج١، ص٤٩٩.
٤- غافر، ٢١.
٥- مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الذال وما يتصل بها، ص ١٨١.

الذّنب في القرآن الكريم:

إنَّ المصطلحات التي وردت في القرآن الكريم حول الذَّنب وأقسامه متعدِّدة ومتنوِّعةٌ، وكلُّ مصطلحٍ يكشف عن بُعدٍ من الأبعاد الخاصَّة «للذَّنب»، وتلك هي طريقة القرآن الكريم وأسلوبه في تنوّع الاستعمال والمصطلحات المستخدمة، لأن الأهداف والرسائل التي يريد إيصالها إلى الناس متنوِّعةٌ هي الأخرى. وقد بيّن القرآن الكريم الآثار السيئة للذنوب بطرق مختلفة من خلال هذه الاستعمالات.

والاستعمالات التي وردت في القرآن الكريم تعبيراً عن «الذنب» هي الآتية[1]: «الذَّنب، المعصية، الإثم، السيِّئة، الجُرم، الحرام، الخطيئة، الفسق، الفساد، الفجور، المنكر، الفاحشة، الخَبَطُ، الشرُّ، اللّمم، الوِزْرُ، والثِّقل، الحِنْثُ، الحَوْبُ».

1- الذَّنب: ومعناه التَّابع، وحيث إنَّ كلّ عملٍ مخالفٍ للشَّريعة يتبعه نوعٌ من الجزاء الدُّنيوي أو الأخروي، كما في قوله تعالى: ﴿**...فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً[2] آخَرِينَ**﴾[3].

2- المعصية: ومعناها التمرُّد والخروج عن الأوامر الإلهيَّة، وتعبِّر عن تعدِّي الإنسان لحدود العبوديّة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللّه وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[4].

3- الإثم: ومعناه الخمول، والعجز، والحرمان من الأجر والثواب. وهو دلالة على أنّ الآثم شخصٌ عاجزٌ ومحرومٌ ولا ينبغي له أن يتوهّم بأنه فطنٌ، وهو قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ**﴾[5].

4- السيّئة: ومعناها العمل القبيح والسيّئ الموجب للهوان والذلّة، وتُقابلها الحسنة التي تعني السَّعادة والفلاح، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا**﴾[6].

5- الجُرم: ويعني في الأصل انفصال الثمرة عن الشجرة وكذلك تعني

١- راجع: الذنب وأسبابه وعلاجه، ص١٠.

٢- القرن: القوم والجماعة في زمان معين، والقرن: الاقتران بمعنى التقارب، وبالنظر لأن أهل العصر الواحد، أو العصور المتقاربة، قريبون من بعضهم، يطلق عليهم وعلى زمانهم اسم القرن، راجع: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٤، ص٢١٦.

٣- الأنعام، ٦.

٤- النساء، ١٤.

٥- البقرة، ٢١٨.

٦- يونس، ٢٧.

الانحطاط، والجريمة والجرائم اشتقت من نفس هذه المادة، والتلوّث بالجرم يبعد الإنسان عن الحقيقة، والسعادة، والتكامل، والهدف، كما في قوله تعالى ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ**﴾[1]، [2].

6- الحرام: وتعني هذه الكلمة المنع والحظر. كلباس الإحرام الذي يرتديه الإنسان في الحج والعمرة فيحرم عليه ممارسة بعض الأعمال. والشهر الحرام هو الشهر الذي يحرّم فيه القتال. والمسجد الحرام يعني المسجد الذي له قدسيّة وحرمة خاصة ويحرم على المشركين الدخول فيه، كما في قوله تعالى ﴿**...وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ...**﴾[3].

7- الخطيئة: وتعني الذَّنب غير المتعمّد، وقد تعني أحياناً الذَّنبَ الكبير، كما أشير إليها في آيتين في القرآن الكريم: ﴿**بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحاطَتْ بِهِ خَطيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدُون**﴾[4]، وقوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿**وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ**﴾[5]. فارتكاب الخطيئة يقطع على الإنسان طريقَ النَّجاة ويمنعُ حلول الأنوار الإلهية في قلبه. فالخطيئة إذاً، هي حالةٌ تحصلُ للإنسان نتيجةَ اقترافه الذَّنب فتمنعه من بلوغ سبيل النَّجاة وتحجبُ نفوذَ أنوار الهداية إلى قبله.

8- الفسق: ويعني في الأصل خروج نوى التَّمر عن قشوره، وهو كنايةٌ عن خروج المذنب عن طريق الطَّاعة والعبوديَّة لله سبحانه وتعالى. أي أنَّ الفاسق قد انتهكَ حرمةَ الأوامر الإلهيَّة، وفي النتيجة يبقى هذا المذنبُ عارياً وبدون حصنٍ يحصِّنه وحافظٍ يحفظه، كما في قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّه**﴾[6].

9- الفساد: ويعني الخروج عن حد الاعتدال، ونتيجته الضياع وتبذير القوى، ويضاده الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن

١- يبلس: مأخوذة من مادة(إبلاس) وتعني في الأصل الغم والحزن المترتبان على أثر شدة اليأس والقنوط. راجع: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢، ص٤٨٣.

٢- الروم، ١٢ .

٣- البقرة، ٨٥.

٤- البقرة، ٨١.

٥- الحاقة، ٣٧.

٦- الكهف، ٥٠.

الاستقامة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[1].

10- الفجور: ومعناه شقّ الشيء شقّاً واسعاً. والفجور يعني تمزّق ستار الحياء والسمعة والدين، وعاقبته الافتضاح، كما في قوله تعالى: ﴿**كَلاَ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ**﴾[2].

11- المنكر: وأصله من الإنكار بمعنى غير المعروف وضدّه العرفان. وذلك لكون الذنب غير مأنوس لدى الفطرة والعقل السليم، بل يعدّانه قبيحاً أجنبياً، كما في قوله تعالى: ﴿**وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ**﴾[3].

12- الفاحشة: هي الكلامُ والعملُ القبيحُ الذي لا شكَّ في قُبحه. وقد تستعمل بمعنى العمل الشَّديد القبح، وبمعنى العار، والتضجّر. كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ**﴾[4].

13- الخبط: ومعناه عدم التعادل والتوازن في القيام والقعود، وكأن المذنب يتحرّك حركات غير موزونة ولا معقولة يتبعها خمول وانحطاط. كما في قوله تعالى: ﴿**يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾[5].

14- الشر: ومعناه كل شيء قبيح يرفضه الناس، والعكس منه اصطلاح الخير، بمعنى العمل المحبوب لدى الناس، وكأن الذنب هو على خلاف الفطرة والإحساس الداخلي للبشر. وهذا الاصطلاح يستعمل غالباً في مورد البلاء والنوائب، ويستعمل أحياناً في مورد الذنب، حيث ورد في قوله تعالى بمعنى الذنب: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[6].

15- اللّمم: وهو على وزن قلم بمعنى القرب من الذَّنب، وبمعنى الأشياء القليلة أيضاً. ويستعمل في الذُّنوب الصغيرة، ووردت في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَ**﴾[7].

١- البقرة، ٢٠٥.
٢- المطففين، ٧.
٣- العنكبوت، ٢٩.
٤- النور، ١٩.
٥- البقرة، ٢٧٥.
٦- الزلزلة، ٨.
٧- النجم، ٣٢.

16- الوِزْرُ: ومعناه الثِّقلُ ويأتي أكثر الأحيان بمعنى تحمُّل ذنوب الآخرين. فالوزير يطلق على من يتحمّل عبءَ الحكومة الثَّقيل، والمذنب غافلٌ عن أنَّه سيحملُ على عاتقه حِمْلاً ثقيلاً، كما في قوله تعالى: ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَ**﴾[1].

17- الحِنْث: على وزن جنس وأصله التمايل والانحراف نحو الباطل، وأكثر ما تستعمل هذه الكلمة للذنوب الناتجة من عدم الوفاء بالوعد، ونقض العهد بعد الالتزام به، التي تعدّ من الذنوب الكبيرة. كما في قوله تعالى: ﴿**وَكانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ**﴾[2].

18- الحَوب: الحوب بمعنى الإثم، فالجامع لما يطلق على الخطيئة والإثم يقال له: حِبتَ بكذا، أي أثِمت، وفي الدعاء «ربّ تقبّل توبتي واغفر حوبتي»، وفي كتاب الله العزيز: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً**﴾[3].

وجاء في الروايات استعمالات أخرى للذُّنوب مثل: الجريرة، الجناية، الزلَّة، العثرة، والعيب و...

أقسام الذُّنوب وأنواعها:

الكبائر والصغائر:

لقد قسّم القرآن الكريم والروايات الشريفة الذنوب إلى نوعين هما: الكبائر والصغائر.

ويدلُّ على صحّة هذا التقسيم الآية الشريفة التالية، في قوله تعالى: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ**﴾[4].

يستفاد من الآية أن الكبائر يقابلها ما هو أدنى منها رتبةً أي الصَّغائر، فالمنهي عنها هي المعاصي صغائرُ وكبائرُ، وأمَّا السيِّئات فهي الصَّغائر لمناسبة المقابلة بينها وبين الكبائر. وكبر المعصية إنّما يتحقّق بأهمية النهي عنها إذا قيس إلى النهي المتعلّق بغيرها، ولا يخلو قوله تعالى: ﴿**مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ**﴾ من دلالة على ذلك.

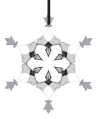

١- النحل، ٢٥.
٢- الواقعة، ٤٦.
٣- النساء، ٢ .
٤- النساء، ٣١.

وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ**﴾[1]، و«اللَّمَمَ» عبارة عن الصغائر أو نوع خاص منها.

رُوي عن الإمام الصَّادق عليه السلام: (في تفسير الآية) قال: «**الفواحش: الزِّنا والسّرقة، واللمم: الرّجل يلمّ بالذَّنب فيستغفر الله منه. قلت: بين الضَّلال والكفر منزلةٌ؟ فقال: ما أكثر عرى الإيمان**»[2].

فاللِّمَم هو ما يلم به العبد من ذنوبٍ صغيرةٍ بجهالةٍ ثمَّ يندمُ ويستغفرُ ويتوبُ فيُغفَرُ له.

ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾[3].

ومن مجموع هذه الآيات يظهر لنا أن الذنوب على نوعين: صغيرة وكبيرة، بالرغم من أن كل ذنب مخالف للأوامر الإلهية يعتبر كبيراً وثقيلاً، ولكن هذا الموضوع لا ينافي كون بعض الذنوب من حيث آثارها الوخيمةُ أكبر من البعض الآخر، وبالتالي يمكن لنا تقسيمها إلى كبيرة وصغيرة.

الذُّنوب كلُّها شديدة:

روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**الذّنوب كلّها شديدة، وأشدُّها ما ينبت عليه اللّحم والدَّم لأنَّه إمَّا مرحومٌ وإمَّا معذَّبٌ والجنَّة لا يدخلها إلا طيّب**»[4].

فالذّنوب كلّها شديدةٌ أي بحسب ذواتها، لأنَّها مخالفةٌ للأوامر الإلهية وهذا هو وجه شدّتها وإن كان بعضها أشدّ من بعض، وأشدّها - حسب الرواية - ما ينبتُ عليه اللحم والدم الذي قد يشمل أكل الحرام والإصرار على المعصية من دون تكفيرها بالتوبة.

لأن الإنسان المرحوم هو من كفّرت ذنوبه بالتوبة أو البلاء في الدنيا، ويقابله المعذّب وهو الذي لم تكفّر ذنوبه بأحد الوجوه المتقدّمة، والجنة لا يدخلها إلا طيّبٌ:

١- النجم، ٣٢.
٢- راجع: أصول الكافي، ج٢، ص٢٧٨.
٣- الكهف، ٤٩.
٤- أصول الكافي، ج٢، ص٢٧.

أي طاهرٌ وخالصٌ من الذُّنوب[1].

وعليه فالذنوب كلّها شديدةٌ، وجميعها كبائر ولا فرق بينها من جهة مخالفة المولى سبحانه وتعالى، وإنّما الكبائر والصَّغائر هي أمورٌ نسبيةٌ لا ذاتيةٌ وإنما نُطلِقُ عليها لفظ الصغائر بالإضافة إلى ما هو أكبر منها ونطلق عليها لفظ الكبائر بالإضافة والنسبة إلى ما هو أصغر منها[2].

فالجرح بالنسبة إلى القتل صغيرةٌ، وبالنسبة إلى اللطم كبيرةٌ، والزنا بالنسبة إلى النظرة المحرَّمة كبيرةٌ[3].

وعليه يُفهم من الرواية المتقدِّمة ضرورة تجنُّب كل ذنب يُعلَم كونه ذنباً حسب ما نصَّت عليه الشريعة الإسلامية، بل ينبغي تجنُّب كلّ ما يُحتمل أنّه كذلك وذلك لعظمة مقام الله تعالى وحقّ طاعته، فإن الجرأة على ذاته المقدَّسة محتملة حتَّى مع وجود الاحتمال، فمن احتمل أن في الكأس خمراً فعليه عقلاً أن يمتنع من شربه لا لمفسدة الخمر وضرره فحسب، بل لعظمة الله ووجوب طاعته في كل الموارد المحتملة.

محقّرات الذنوب:

للشيطان أبوابٌ كثيرةٌ ومداخل مختلفةٌ يأتي منها ابن آدم ويستدرجه إلى المعاصي، وإنَّ أكثر بابٍ يتسلَّلُ منه إلى قلوب الناس هو باب احتقار الذُّنوب واستصغارها من قبلهم، وذلك بعد أن ييأس الشيطان من إسقاطهم في كبائر الذنوب يسعى جاهداً لإيقاعهم في الصغائر؛ بل قد يصرُّون عليها، لأنّها بحسب تصنيفهم من صغائر الذنوب. لكنّه لو علم مدى خطورتها عليهم لما وقعوا فيها ولما أصرّوا عليها، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تنظروا إلى صغر الذنب، ولكن انظروا إلى من اجترأتم**»[4].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**اتقوا المحقّرات من الذنوب فإنها لا تغفر، قلت: (أي الراوي): وما المحقّرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب**

١- راجع: شرح أصول الكافي، ج٩، ص٢٤٤.

٢- راجع: الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، ص١٤٤ (بتصرف).

٣- وممن يذهب إلى هذا الرأي: الشيخ المفيد، وابن البراج الطرابلسي، وأبو الصلاح الحلبي، وابن إدريس الحلّي، و الشيخ الطوسي بل نسبه الطبرسي في تفسيره مجمع البيان إلى أصحابنا مطلقاً.

٤- بحار الأنوار، ج ٧٤، ص١٦٨.

فيقول: طوبى لي لم يكن لي غير ذلك»[1]. وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**اتقوّا المحقّرات من الذنوب فإن لها طالباً**»[2].

وروي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في وصيته لأبي ذر (رض): «**يا أبا ذر: إنّ الرجل ليعمل الحسنة فيتكل عليها، ويعمل المحقّرات حتّى يأتي الله وهو عليه غضبان، وإنّ الرجل ليعمل السيئة فيفرق منها يأتي آمناً يوم القيامة**»[3].

فالمحقّرات من الذُّنوب هي الذُّنوب التي يحتقرها الإنسان ويستصغرها، ويستهين بها، ويقول حسب ما ورد في بعض الروايات «أُذنِب وأَستغفر»، والله تعالى يقول: ﴿**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾[4].

فالذي يحقّر ذنبه ويستسهل أمره، ألا يدري أن الذنب مهما كان صغيراً أو حقيراً فإنَّه من حيث كونه معصيةً لله العظيم فإنه يُعد أمراً عظيماً، فلا ينبغي للمؤمن أن يحقّر شيئاً من الذنوب فقد لا يُغفر له بسبب تحقيره واستخفافه بها.

والصغيرة قد تقترن بقلّة الحياء وعدم المبالاة بها، وترك الخوف والاستهانة بالله العظيم والإصرار عليها، وهذا بالمناسبة ما يمنع من شمول الشَّفاعة للمذنب، فتتحول هذه الصغيرة إلى كبيرةٍ من الكبائر كما صرّحت الروايات[5].

١- أصول الكافي، ج٢، ص٢٨٧.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص٢٧٠.
٣- مكارم الأخلاق، ص٤٦٢.
٤- يس، ١٢.
٥- كما سيأتي في الدروس اللاحقة.

١. الغاية من التكليف الإلهي وبعثة الأنبياء والرُّسل مبشرين ومنذرين للنَّاس هي تحقيقُ الكمال الروحيّ والنَّفسي للإنسان، وإنشاء المجتمع الإسلامي الفاضل.

٢. ركَّزت الشريعة الإسلامية على موضوع اجتناب الذُّنوب لكي لا يؤدِّي ذلك إلى انغماس الإنسان في مستنقع الرَّذيلة وبالتالي حرمانه من فرصة التكامل.

٣. الذنب هو مخالفةُ الأوامر الإلهيَّة الواردة في الشَّريعة الإسلاميَّة والتي يعاقب عليها الباري عزّ وجل.

٤. المصطلحات التي وردت في القرآن الكريم حول الذَّنب وأقسامه متعدّدةٌ ومتنوِّعةٌ، وكلُّ مصطلحٍ يكشف عن بُعدٍ من الأبعاد الخاصَّة للذَّنب وعن آثاره السيئة.

٥. قسّم القرآن الكريم والنصوص الشريفة الذنوب إلى كبائر و يقابلها ما هو أدنى منها رتبةً وهي الصَّغائر وكلاهما ورد النهي عنهما.

٦. الذّنوب في الحقيقة كلّها كبائر ولا فرق بينها من جهة مخالفة المولى سبحانه وتعالى، وإنّما الكبائر والصَّغائر هي أمورٌ نسبيةٌ، وإنما نُطلِقُ عليها لفظ الصغائر بالإضافة إلى ما هو أكبر منها.

العزم على ترك المعاصي

هناك مقام آخر يواجه الإنسان المجاهد بعد التفكّر، وهو مقام العزم... يقول أحد مشايخنا أطال الله عمره: «إنَّ العزم هو جوهر الإنسانية، ومعيار ميزة الإنسان، وأن اختلاف درجات الإنسان باختلاف درجات عزمه».

والعزم الذي يتناسب وهذا المقام، هو أن يوطِّن الإنسان نفسه على ترك المعاصي وأداء الواجبات، ويتّخذ قراراً بذلك، ويتدارك ما فاته في أيام حياته، وبالتالي يسعى على أن يجعل من ظاهره إنساناً عاقلاً وشرعياً، بحيث يحكم الشرع والعقل حسب الظاهر بأن هذا الشخص إنسان. والإنسان الشرعي هو الذي ينظِّم سلوكه وفق ما يتطلَّبه الشرع، يكون ظاهره كظاهر الرسول الأكرم ﷺ، يقتدي بالنبي العظيم ﷺ ويتأسّى به في جميع حركاته وسكناته، وفي جميع ما يفعل وما يترك. وهذا أمر ممكن، لأن جعل الظاهر مثل هذا القائد أمر مقدور لأيّ فرد من عباد الله.

واعلم... أن طي أي طريق في المعارف الإلهية، لا يمكن إلاّ بالبدء بظاهر الشريعة، وما لم يتأدّب الإنسان بآداب الشريعة الحقّة، لا يحصل له شيء من حقيقة الأخلاق الحسنة، كما لا يمكن أن يتجلّى في قلبه نور المعرفة وتتكشّف له العلوم الباطنية وأسرار الشريعة. وبعد انكشاف الحقيقة، وظهور أنوار المعارف في قلبه لا بد من الاستمرار في التأدّب بالآداب الشرعية الظاهرية أيضاً.

أيها العزيز... اجتهد لتصبح ذا عزم وإرادة، فإنك إذا رحلت من هذه الدنيا دون أن يتحقّق فيك العزم (على ترك المحرمات) فأنت إنسان صوري، بلا لب، ولن تحشر في ذلك العالم (عالم الآخرة) على هيئة إنسان، لأن ذلك العالم هو محل كشف الباطن وظهور السريرة، وإن التجرّؤ على المعاصي يفقد الإنسان تدريجياً، العزم ويختطف منه هذا الجوهر الشريف. يقول الأستاذ المعظم (دام ظله): «إنَّ أكثر ما يسبب على فقد الإنسان العزم والإرادة هو الاستماع للغناء»[1].

١- الأربعون حديثا، الإمام الخميني قدس سره، الحديث الأول، ص ٣٤.

الدَّرس الثَّاني:
كبائر الذنوب

أهداف الدَّرس:

أن يكون الطَّالب مع نهاية الدَّرس قادراً على أن:

١. يميّز بين الكبائر والصغائر وفق ما ورد في النصوص الشريفة.

٢. يعرّف الكبائر بشكل دقيق وواضح.

٣. يعدّد أنواع الكبائر وأقسامها.

تمهيد:

الكبائر جمعُ كبيرةٍ، وهي كلُّ ما كبُر من المعاصي وعَظُم من الذُّنوب من قبيل الشِّرك بالله تعالى، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وغير ذلك من الأمور التي شدَّدت الشَّريعة المقدَّسة في النَّهي عنها.

وقد اختُلف في تحديد الضَّوابط والمعايير للكبائر، إذ تواجهنا بعض الروايات بتعبير «السبع الموبقات» أي المهلكات والتي هي من جملة الكبائر لا كلّها، وبعضها تذكر أعداداً معيّنة، ما دفع بالبعض إلى ذكر أعدادٍ محدَّدةٍ من الذُّنوب، بل اكتفى البعض الآخر بطرح عناوين يعتبرها الأبرز حسب القرآن والسنَّة الشَّريفة دون ذكر أي عدد للكبائر. ونحن هنا سنذكر الضَّوابط التي طُرِحت لهذه الكبائر مع بيان أهميتها، والهدف الأساس من كلِّ ذلك تأمين الحصانة اللازمة عند المكلّف مع الالتفات إلى أنَّ عدم ذِكر بعضها لا يعني أنَّها ليست من الكبائر.

فعلى المؤمن أن يستعدّ دائماً للابتعاد عن كل ما يُحتمل أنه معصيةٌ سواءً كانت صغيرة أم كبيرة فكيف إن كان يحتمل أنها من الكبائر فضلاً عن علمه بذلك.

كيف نَعرف الكبائر؟

هناك اختلافٌ كبيرٌ في تحديد المعيار الذي على أساسه نحدِّد الكبائر، فذهب بعضهم أنّه لمعرفة الفرق بين الكبائر والصغائر لا بدّ من ملاحظة المعصية وإضافتها إما إلى معصية كبيرة منصوص عليها، وإما إلى الطاعة، وإما إلى نفس

الفاعل، فالكلام إذاً على ثلاثة أقسام:

١- الإضافة إلى الطَّاعة: بمعنى أنَّ المعصية إن زاد عقابها على ثواب تلك الطاعة فهي كبيرة بالنسبة إليها، وإن نقص فهي صغيرة، وواضح أن هذه الإضافة غير صحيحة إذ لا تُقارن طاعة بمعصية، ولا يُنسب عقاب إلى ثواب.

٢- الإضافة إلى معصية أخرى: بمعنى أن عقابها إن زاد على عقاب تلك المعصية فهي كبيرة بالنسبة إليها وإن نقص فهي صغيرة.

٣- الإضافة إلى فاعلها: بمعنى أنَّها إن صدرت من شريف له علم وزهد فهي كبيرة، وإن صدرت ممن هو دون ذلك فهي صغيرة.

وبعبارة أوضح: الفرق بين الصغيرة والكبيرة يتم من خلال عرض الذنب على الكبائر المنصوص عليها: فإن نقصت عن أقلّها فهي من الصَّغائر وإلا فهي من الكبائر. مثل تعريف الكفَّار على نقاط الضُّعف عند المسلمين ونحو ذلك ما يفضي إلى القتل والسبي والنهب، فإن مفسدته أعظم من مفسدة الفرار من الزحف، ومن هنا قد نفهم السبب الذي أدى ببعض العلماء إلى عدم حصر الكبائر بعددٍ معين، فقد نُقل عن ابن عباس أنه قال : «هي (الكبائر) إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع»[١].

وعليه يمكن تطبيق هذه القاعدة على كل معصية لم يرد نصٌّ من الشريعة على كونها من الكبائر.

ورغم ذلك حاول جملة من العلماء إعطاء ضوابط للذُّنوب الكبيرة منها:

١- كلُّ فعل تثبت حرمته ووعد الله تعالى له في القرآن والروايات عذاباً وأوجب عليه النار، يعتبر من الكبائر.

٢- كل ذنب وصف في الروايات والآيات بأنه من الذنوب الكبيرة، (كالربا، الغيبة، الكذب، الفرار من الزحف، التعرُّب بعد الهجرة،...).

٣- كلُّ ذنبٍ عيَّن له الشارع المقدّس حدّاً معيناً (كشارب الخمر، والزاني، والسارق،..) وقد حذّر القرآن منه.

٤- كلُّ ذنبٍ يدلُّ على الاستهانة بالدّين واللامبالاة به.

١- جواهر الكلام، ج١٣، ص٢١٩.

٥- أن يَرِد النَّص بعدم قبول الشَّهادة من مرتكبه.

٦- ما حكم العقل بأنَّه كبيرة، بمعنى تطبيق المفهوم على المصداق.

وعليه ما يمكن أن نخلص إليه هو التالي:

إنَّ المعيار لكون معصيةٍ ما كبيرةً، هو كون مفسدتها شديدةً إلى الدَّرجة التي يترتَّب عليها مبغوضيةٌ شديدةٌ وعقوبةٌ عظيمةٌ، فكبر المعصية إنما يُعلَم من شدّة النَّهي الواقع عنها بإصرارٍ أو تهديدٍ بالعذاب.

أنواع الكبائر وعددها:

اختُلف في أنواع الذُّنوب الكبيرة وعددها، ونقصد بالأنواع: العنوان العام الذي قد يشتمل على أنواعٍ متعدِّدة من الذُّنوب، بدليلِ أنَّ هناك أمثلةً كثيرةً من الذُّنوب يحكم العقل المستقلّ بقبحها وكونها من الكبائر، وأنَّها مما يوجب دخول النَّار مع أنَّها لم تُذكر بعناوينها الخاصَّة في الرّوايات كحبس المحصنة للزّنا بها، أو الدلالة على عورات المسلمين المفضية إلى قتلهم وأسرهم والتي هي أعظم عند الله من الفرار من الزحف، وكذا الوشاية بالمؤمن إلى الظَّالم المفضية إلى قتله فهي أعظم من غيبته.

وقد يُفهم أنَّ الذُّنوب التي ذكرت كلها تعتبر من أكبر مصاديق الظُّلم الذي توعَّد الله عليه النار، قال تعالى: ﴿**ولا تَرْكَنُوا إلى الذينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُم النَّارُ**﴾[1]، فحينئذٍ تتَّسعُ دائرةُ الكبائر فيصبح الظُّلم كبيرةً نوعيةً تندرجُ تحتها مصاديقُ كثيرةٌ لا عدَّ لها ولا حصرَ.

أمَّا من ناحية عدد الكبائر فتراوحت الأقوال بين: سبعة، وعشرة، واثنتي عشر، وعشرين، وأربع وثلاثين، وأربعين، وأنهاه آخرون إلى سبعين كبيرة.

علماً بأنّ منشأ الاختلاف في العدد راجعٌ إلى الاختلاف الوارد في الرِّوايات، ما قد يُفهم منها أنَّ الكبائرَ ليست بمستوىً واحدٍ، ولهذا نكتفي بما ورد في بعض الرِّوايات الشريفة:

١- هود، ١١٣.

1. الكبائر السبع:

عن ابن محبوب قال: «**كتب معي بعض أصحابنا إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الكبائر كم هي وما هي؟ فكتب عليه السلام : من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفّر عنه سيئاته إذا كان مؤمناً والسبع الموجبات: قتل النفس المحترمة، عقوق الوالدين، أكل الربا، التعرّب بعد الهجرة، قذف المحصنات، أكل مال اليتيم، الفرار من الزحف**»[1].

فالواضح من الرواية أنّ الإمام عليه السلام قد عدّد الكبائر وذكرها بالاسم، ووصفها بأنها من موجبات دخول النار أو وعد عليها النار، وإن اجتنبها كفّر عنه ما دونها من السيّئات.

2. الكبائر التسع:

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**الكبائر تسع: أعظمهن الإشراك بالله عز وجل، وقتل النفس المؤمنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، واستحلال البيت الحرام، والسحر، فمن لقي الله عز وجل وهو بريء منهنّ كان معي في جنة مصاريعها من ذهب**»[2].

3. الكبائر واحد وعشرون:

روي عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال حدّثني أبو جعفر عليه السلام قال: «**سمعت أبي يقول: دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله عليه السلام فلما سلم وجلس تلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾[3] ثم أمسك، فقال أبو عبد الله عليه السلام : ما أسكتك؟ قال: أحبُّ أن أعرف الكبائر من كتاب الله تعالى، فقال: هم يا عمرو، أكبر الكبائر:**

١- الإشراك بالله: يقول الله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾[4].

١- أصول الكافي، ج٢، ص٢٩٦.

٢- كنز الفوائد، ص١٨٤-١٨٥.

٣- الشورى، ٣٧.

٤- المائدة، ٧٢. يدخل في مفهوم الشرك عبدة الأوثان، والملاحدة، وعبدة النار، والمجسمة من الفرق الضالّة، والغلاة وأمثالهم.

٢- وبعده الإياس من روح الله: لأن الله عزّ وجل يقول: ﴿...إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[١].

٣- ثم الأمن لمكر الله: لأن الله عزّ وجل يقول: ﴿...فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٢].

٤- ومنها عقوق الوالدين: لأن الله سبحانه جعل العاق جبّاراً شقياً.

٥- وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق: لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فيها وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظيماً﴾[٣].

٦- وقذف المحصنة: لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿... لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤].

٧- وأكل مال اليتيم: لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿..إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[٥].

٨- والفرار من الزحف: لأن الله يقول: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٦].

٩- وأكل الربا: لأن الله عزّ وجل يقول: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...﴾[٧].

١٠- والسحر: لأنّ الله عزّ وجلّ: ﴿...وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ...﴾[٨].

١١- والزنا: لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ۝ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾[٩].

١- يوسف، ٨٧.

٢- الأعراف، ٩٩.

٣- النساء، ٩٣.

٤- النور، ٢٣.

٥- النساء، ١٠.

٦- الأنفال، ١٦.

٧- المس هو الجنون، والخبط حركة على غير النحو الطبيعي ومن غير اتساق. وقيل لا يقومون من قبورهم بسبب الربا ووزره وثقله عليهم قياماً مثل قيام صحيح العقل بل مثل قيام المجانين فيسقطون تارة ويمشون على غير استقامة تارة ولا يقدرون على القيام أخرى.

٨- البقرة، ١٠٢.

٩- لا يبعد إلحاق اللواط والسحاق والزنا من باب المثال على كبائر الفرج.

١٢- واليمين الغموس الفاجرة: لأنّ اللّه عزّ وجل يقول: ﴿...الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ...﴾[١].

١٣- والغلول: لأنّ اللّه عزّ وجل يقول: ﴿...وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾[٢].

١٤- ومنع الزكاة المفروضة: لأنّ اللّه عزّ وجل يقول: ﴿...فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ...﴾[٣].

١٥- وشهادة الزور[٤].

١٦- وكتمان الشهادة: لأنّ اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿...وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ...﴾[٥].

١٧- وشرب الخمر: لأنّ اللّه عزّ وجلّ نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان.

١٨- و١٩- وترك الصلاة متعمداً أو شيئاً مما فرض اللّه: لأنّ رسول اللّه ﷺ قال: من ترك الصلاة متعمّداً فقد برئ من ذمّة اللّه وذمّة رسول اللّه ﷺ.

٢٠- ونقض العهد.

٢١- وقطيعة الرحم: لأنّ اللّه عزّ وجلّ قال: ﴿...أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[٦] قال: فخرج عمرو وله صراخ من بكائه؛ وهو يقول: هلك من قال برأيه، ونازعكم في الفضل والعلم»[٧].

١- اليمين الغموس تعني اليمين الكاذبة على ما مضى وليس فيها كفارة لشدة الذنب فيها فكأنه مغموس في الذنب لحلفه كاذباً على علم منه.
٢- الغلول لغة يعني الخيانة هي في الأصل الخيانة في المغنم (غنائم الحرب) والسرقة منها قبل القسمة ولا يبعد إلحاق الغصب والسرقة في مفهوم الغلول.
٣- التوبة، ٣٥.
٤- الشهادة بغير علم سواء طابقت الواقع أم لا.
٥- البقرة، ٢٨٣.
٦- الرعد، ٢٥.
٧- أصول الكافي، ج٢، ص٢٨٥-٢٨٧.

أقسام الكبائر:

لقد قسِّمت الكبائر إلى أقسام متعدِّدة ومن زوايا مختلفةٍ، نشير هنا إلى تقسيمها بلحاظ الجهة التي تصدر منها، وهي على قسمين:

1. الكبائر المتعلِّقة بالجوارح:

وهي ستّة أنواع متعلّقة:

- باللسان: الشِّرك بالله، شهادة الزُّور، تعليم السِّحر، القذف.
- باليد: القتل، السَّرقة.
- بالبطن: أكل الرّبا، أكل أموال الأيتام ظلماً، شرب الخمر.
- بالفرج: الزّنا.
- بالرِّجل: الفرار من الزَّحف.

2. الكبائر المتعلِّقة بالجوانح:

كالشِّرك بالله تعالى، والأمن من مكر الله، واليأس من روح الله، والعجب ونحوها.

١. الكبائر جمعُ كبيرةٍ، وهي كلُّ ما كبُر من المعاصي الأمور التي شدَّدت الشَّريعة المقدَّسة بالنص الصريح في النَّهي عنها.

٢. يوجد اختلافٌ كبيرٌ في تحديد الضَّوابط والمعايير الواضحة للكبائر، لذا على المؤمن من الناحية الروحية أن يستعد دائماً للابتعاد عن كل ما يُحتمل أنه معصيةٌ.

٣. اختُلف في أنواع الذُّنوب الكبيرة وعددها ومنشأ الاختلاف في العدد راجعٌ إلى الاختلاف الوارد في الرِّوايات، مما قد يُفهم منها أنَّ الكبائرَ ليست بمستوىً واحدٍ.

٤. الكبائر على نوعين؛ كبائر بلحاظ الجوارح المرتبطة بالبدن، وكبائر بلحاظ الجوانح المتعلّقة بالقلب.

٥. من ناحية عدد الكبائر تراوحت الأقوال بين: سبعة، وعشرة، واثنا عشر، وعشرون، وأربع وثلاثون، وأربعون، وأنهاه آخرون إلى سبعين كبيرة.

المشارطة والمراقبة والمحاسبة

من الأمور الضرورية للمجاهد: «المشارطة والمراقبة والمحاسبة». فالمشارط هو الذي يشارط نفسه في أول يومه على أن لا يرتكب اليوم أي عمل يخالف أوامر الله، ويتّخذ قراراً بذلك ويعزم عليه. وواضح أن ترك أوامر الله، ليوم واحد، أمر يسير للغاية، ويمكن للإنسان بكل سهولة أن يلتزم به. فاعزم وشارط وجرِّب، وأنظر كيف أن الأمر سهل يسير...

وبعد هذه المشارطة عليك أن تنتقل إلى «المراقبة»، وكيفيتها هي أن تنتبه طوال مدة المشارطة إلى عملك وفقها، فتعتبر نفسك ملزماً بالعمل وفق ما شارطت. وإذا حصل ـ لا سمح الله ـ حديث لنفسك بأن ترتكب عملاً مخالفاً لأمر الله، فاعلم أن ذلك من عمل الشيطان وجنده، فهم يريدونك أن تتراجع عمَّا اشترطته على نفسك، فالعنهم واستعذ بالله من شرهم، واخرج تلك الوساوس الباطلة من قلبك، وقل للشيطان: «إني اشترطت على نفسي أن لا أقوم في هذا اليوم ـ وهو يوم واحد ـ بأ ي عمل يخالف أمر الله تعالى، وهو ولي نعمتي طول عمري، فقد أنعم وتلطّف عليَّ بالصحة والسلامة والأمن وألطاف أخرى، ولو أني بقيت في خدمته إلى الأبد لما أدَّيت حق واحدة منها، وعليه فليس من اللائق أن لا أفي بشرط بسيط كهذا»، وآمل ـ إن شاء الله ـ أن ينصرف الشيطان، ويبتعد عنك، وينتصر جنود الرحمن.

وأما «المحاسبة» فهي أن تحاسب نفسك لترى هل أدّيت ما اشترطت على نفسك مع الله، ولم تخن ولي نعمتك في هذه المعاملة الجزئية؟ إذا كنت قد وفيت حقاً فاشكر الله على هذا التوفيق، وإن شاء الله ييسر لك سبحانه التقدم في أمور دنياك وآخرتك، وسيكون عمل الغد أيسر عليك من سابقه، فواظب على هذا العمل فترة، والمأمول أن يتحوَّل إلى ملكة فيك بحيث يصبح هذا العمل بالنسبة إليك سهلاً ويسيراً للغاية، وستحسُّ عندها باللذة والأنس في طاعة الله تعالى وترك معاصيه، وفي هذا العالم بالذات[1].

١- الأربعون حديثا، الإمام الخميني قدس سره، الحديث الأول، ص ٣٥.

الدَّرس الثالث:
صغائر الذّنوب

أهداف الدَّرس:

أن يكون الطالب مع نهاية الدَّرس قادراً على أن:

١. يحدّد أهم الموارد التي من خلالها تتبدّل الصغائر إلى كبائر.

٢. يبيّن خطورة وآثار ارتكاب الذّنوب مهما صغُرت.

٣. يتعرَّف على أهمّ المخاطر والآثار السَّلبيّة للذنوب.

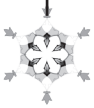

تمهيد:

إنّ المؤمن يفرح بطاعته لله عزّ وجلّ، ويحزن لمعصيته ويندم عليها، ويحاول الخروج من أسرها والعودة إلى الطاعة من جديد، فيستغفر من ذنبه ويُتبِع سيّئته بحسنة لعلَّها تمحوها، ولا يزال العبد في قلقٍ ما دام يغلب على عمله الخلط بين الحسنات والسيّئات، ولا ريب أن فرحه بالطاعة لا يكتمل حتَّى يخرج من دائرة الحزن والقلق التي تشُدُّه إليها ذنوبه.

والخطر الأكبر على المؤمن يكمن في ارتكابه الكبائر من الذّنوب التي تُشكِّل أزمةً حقيقيةً في سلوكه إلى الله، ولكن الصغائر أو اللمم - التي قد يتجاوز الله عنها - ربما تُوهِمُ بعضَ النَّاس أن المساحة بينها وبين الكبائر شاسعةٌ جداً، فهو حين ارتكابه للصغيرة سيكون في مأمن من ارتكابه للكبيرة، وهذا حتماً من تسويلات النَّفس الأمَّارة بالسُّوء ووسوسة الشَّيطان. ذلك أنّه ثمّة تجاذُبٌ وتبادلٌ بين الكبائر والصغائر يسقط فيها الغافلون، ويتهشَّم في إطارها ذلك الفاصل الزجاجي الرقيق بين صغائر الذّنوب وكبائرها فلا يصحوا أولئك الغافلون عن خطر بعض الصغائر إلا وقد تلبَّسوا بالكبائر؛ فالصَّغائر ممهّداتٌ للكبائر وخطواتٌ على طريق الوقوع فيها، ولعلَّ أبلغ تعبيرٍ في القرآن في هذا المجال قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[1].

فعلى المؤمن أن يتجنَّبَ الصَّغائر، وأن يلتفت إلى الموارد التي تنقلب فيها هذه الصَّغائر إلى كبائر كما يُستفاد من بعض الرِّوايات، إذ وردَ عن الإمام الرِّضا عليه السلام:

١- البقرة، ١٦٨.

«**الصَّغائر من الذّنوب طرقٌ إلى الكبائر، ومن لم يخَف اللّه في القليل لم يَخَفْهُ في الكثير...**»[1].

الصغائر طرق إلى الكبائر:

ذكرت الأخبار الواردة عن العترة الطاهرة عليهم السلام العديد من الموارد التي تتبدّل فيها الصغائر إلى كبائر، نذكر منها:

1- الإصرار على الذَّنب:

يستفاد من الآيات القرآنية والأحاديث الشَّريفة أنَّ ممارسةَ الذَّنب لعدّة مرَّاتٍ وعدمَ المبادرة إلى التوبة يُعدّ إصراراً على الذَّنب الذي هو عين المعصية للّه تعالى، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام قوله: «**إيّاك والإصرار فإنّه من أكبر الكبائر، وأعظم الجرائم**»[2].

مثاله: العين بحسب الروايات قد تزني، وزناها النظر، ولكن زنا النظر أصغر من الزِّنا المصطلح، فمع الإصرار والمواظبة على هذا النظر يصبح هذا النوع من الزنا كبيرة؛ فقد قال اللّه تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[3].

فالآية كما هو واضح تشترط أنه إذا ترك الإنسان الإصرار صحّت توبته وغفر اللّه ذنبه. فالإصرار على الذَّنب يستوجب الاستهانة بأمر اللّه تعالى وعدم رعاية مقامه تعالى، سواءً أكان الذَّنب المذكور من الصَّغائر أم من الكبائر[4].

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار**»[5]. وروي عن الإمام علي عليه السلام: «**من أصرّ على ذنبه؛ اجترأ على ربه**»[6].

فالإصرار لا يُبقي الصَّغيرة على حالها؛ لأنَّ الإصرار عليها معصيةٌ أخرى

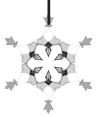

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٩٣.
٢- وسائل الشيعة، ج١١، ص٣٦٨.
٣- آل عمران، ١٣٥.
٤- راجع: الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص٢١.
٥- أصول الكافي، ج٢، ص٢٨٨.
٦- وسائل الشيعة، ج١١، ص٣٦٨.

تنضمُّ إلى الأولى، فما دام مصرّاً على ما يفعله توالت المعاصي وتكاثرت وتراكمت حتَّى تغدو كبيرةً، ولاسيّما إذا كان الإصرارُ يتضمَّنُ الاستهانةَ باللّه تعالى وأوامره.

والسبب في تحويل الصَّغيرة إلى كبيرة هو تراكم الظلمة على القلب الذي هو أشبه بالصدأ الذي يصيب الحديد، وينتشر فيه شيئاً فشيئاً، ويشتدّ كلّما تراكم الصدأ عليه فيؤدّي إلى تلفه، وهكذا ارتكاب الصغائر والإصرار عليها.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إنَّ رسول اللّه نزل بأرض قرعاء، فقال لأصحابه: ائتوا بحطب، فقالوا: يا رسول اللّه، نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب! قال: فليأتِ كلّ إنسان بما قدر عليه. فجاؤوا به حتَّى رموا بين يديه بعضه على بعضه، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: هكذا تجتمع الذّنوب، ثم قال: إيّاكم والمحقّرات من الذّنوب؛ فإنّ لكل شيء طالباً، ألا وإنّ طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين**»[1].

معاني وأوجه الإصرار:

ذُكِر للإصرار عدة أوجه منها:

- أن يذنب الذَّنب فلا يستغفر منه أصلاً.
- أن لا يحدّث نفسه بتوبة، فذلك إصرار أيضاً.
- الإكثار من الذّنوب، سواء أكانت من نوع واحد أو أكثر.
- المداومة على نوع واحد منها.

والمحصّلة التربوية من فكرة الإصرار على الذَّنب، أن الاستغفار لا ينفع مع الإصرار على الذّنب المتكرِّر منه مهما كان الذنب صغيراً، وهذا معنى قولهم: «لا كبيرة مع الاستغفار «(طبقاً لشروط الاستغفار)! كما أنَّ من يكرّر الصَّغيرة ولا يتبعها استغفاراً فإنَّ ذلك يحوِّلُها إلى كبيرةٍ، وهو معنى قولهم: «لا صغيرة مع الإصرار».

2- الاستهانة بالذَّنب:

قد مرَّ هذا الموضوع تحت عنوان المحقَّرات من الذّنوب، وقيل إنّ هذه الذُّنوب لا تُغفر بسبب تحقيرِها والاستهانةِ والاستخفافِ بها.

١- أصول الكافي، ج٢، ص٢٨٨.

فلو فرضنا أنَّ أحداً رمى شخصاً عمداً بالرَّصاص فجرحه، وبعد ذلك أراد أنْ يتوبَ من ذنبه، فندم واعتذرَ من الشَّخص المضروب، فمن الممكن أن يسامحَهُ ويصفحَ عنه، مع أن ما ارتكبه كبيرةٌ!

ولكن لو فرضنا أنه رماه بالحصى الصغير عمداً مراراً، ولم يعتذر منه بحجَّة أنّها مسألةٌ بسيطةٌ وليست سبباً مهمّاً للاعتذار، واستخفَّ بهذا الأمر واستصغره، فمن الطَّبيعي أن لا يسامحَه ولا يصفحَ عنه؛ لأنّ ما فعلَهُ نابعٌ من تكبُّره واستهانته بذنبه.

وقد روي عن سماعة، أنه قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «**لا تستكثروا كثيرَ الخير، ولا تستقلّوا قليلَ الذّنوب؛ فإنّ قليلَ الذّنوب يجتمعُ حتَّى يكون كثيراً. وخافوا الله في السرّ حتَّى تقطعوا من أنفسكم النَصَف**[1]»[2].

فينبغي على المؤمن أن لا يلتفت إلى قَدْرِ المعصية وحجمها، ولكن إلى قَدْرِ من عصى، فلا ينتهك حرمات الله تعالى.

3- الابتهاج والسُّرور واللذّة عند الابتلاء بالذَّنب:

الابتهاج هو الإحساس باللذّة والسُّرور عند اقتراف الذَّنب، كأنْ يشعرَ براحةٍ خاصَّةٍ لما يصدر عنه من معاصٍ، فإنَّ المعصية -وإن كانت صغيرةً- قد تتحوَّلُ إلى كبيرةٍ بسبب الابتهاج بها. فبعضهم يقع في المعصية فيسعد بها أو يتظاهر بالسَّعادة أمام الآخرين، فهذا السُّرور بالذَّنب أكبر من الذَّنب نفسه؛ فقد روي عن الإمام علي عليه السلام: «**شرُّ الأشرار من يتبجَّحُ بالشرّ**»[3]، وعنه عليه السلام أيضاً: «**من تلذَّذ بمعاصي الله أورثه الله ذلاً**»[4].

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**إيّاك والابتهاج بالذَّنب؛ فإن الابتهاج به أعظم من ركوبه**»[5]. وعنه عليه السلام أيضاً: «**حلاوةُ المعصية يفسدُها أليم العقوبة**»[6].

١- النَصَف والنصفة (بفتحتين): اسم من الإنصاف، وهو لزوم العدل في المعاملات مع الله تعالى وغيره.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص٢٨٧.
٣- غرر الحكم، ص٤٦٢.
٤- غرر الحكم، ص١٨٦.
٥- بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٥٩.
٦- غرر الحكم، ص١٨٦.

4- اقتراف الذَّنب عند الطُّغيان:

إنّ من الأسباب التي تبدِّل الصَّغائر إلى كبائر هو صدور الذَّنب عن حالة من الطُّغيان، والطُّغيان يعني تجاوز الحدّ. فتهاون الإنسان وارتكابه للصغيرة من غير أن يعبأ بأمرها هو مصداق للطُّغيان والاستهانة بأمر الله تعالى؛ فقد قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنيا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[1]، وبالمقابل قوله تعالى: **فَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفس عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[2].

فالطُّغيان، إذن، وإيثار الحياة الدُّنيا يؤدّيان إلى الجحيم، ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[3] فإنَّ ذلك يؤدّي إلى الجنة.

قال رسول الله ﷺ في وصيّته لابن مسعود: «**ولا تؤثرون الحياة الدُّنيا على الآخرة باللذات والشهوات؛ فإنّه تعالى يقول في كتابه: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنيا...﴾**[4]»[5].

يقول الله متحدِّثاً عن جزاء الطغيان والطغاة: **هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[6]، ويقول أيضاً: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً ۝ لِلطَّاغِينَ مَآباً**﴾[7].

5- الاغترار بالسِّتر الإلهي:

من الموارد التي تحوّل الذَّنب الصَّغير ذنباً كبيراً، أن يخالج المذنبَ تفكيرٌ بأنّ عدم مجازاة الله السريعة له تدلّ على عدم سخطه عليه، وأنه تعالى أمهله في الدُّنيا وسترَ عليه، ولن يعاقبَهُ في الآخرة.

وقد جاء معنى ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[8]، فهم كانوا يقولون لو كان

١- النازعات، ٣٧-٣٩.
٢- النازعات، ٤٠-٤١.
٣- النازعات، ٤٠-٤١.
٤- النازعات، ٣٧- ٣٨.
٥- مكارم الأخلاق، ص٤٥٥.
٦- ص، ٥٥- ٥٦.
٧- النبأ، ٢١- ٢٢.
٨- المجادلة، ٨.

محمد ﷺ نبياً لعذّبنا الله، فقال تعالى: ﴿**حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ**﴾ أي يكفيهم ذلك عذاباً، وهذا دليل على اغترارهم بعدم تعرّضهم للعذاب في هذه الدُّنيا، وطمعهم بأن يكون ذلك هو مصيرهم يوم القيامة أيضاً!!

6- التَّجاهر بالمعصية:

إنّ التَّجاهر بالذَّنب أمام النَّاس يبدِّلُ الذُّنوب الصَّغيرة إلى كبيرة؛ لأنَّ هذا التجاهر يعبِّر عن صفة التجرّؤ على الأوامر الإلهية والاستهانة بها.

فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «**المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيِّئة مخذولٌ، والمستتر بالسيِّئة مغفورٌ له**»[1].

فالمذيع بالسيِّئة مخذولٌ؛ لأنَّ في إذاعتها استخفافٌ بالدِّين، واستهانة بالذَّنب، وتبجّحٌ به، واستحسان له، وترويج له بين العوام، وهتكٌ لما ستره الله عليه بفضله، وكلُّ ذلك مذموم عقلاً ونقلاً، وفضلاً عن ذلك أنّه يقرب من الكفر.

روي عن الإمام علي عليه السلام: «**إيّاك والمجاهرة بالفجور؛ فإنّه من أشد المآتم**»[2].

وعن رسول الله ﷺ: «**كلّ أمتي معافى إلا المجاهرين الذين يعملون العمل بالليل فيستره ربه، ثم يصبح فيقول: يا فلان، إنّي عملت البارحة كذا وكذا، فيكشف ستر الله عزوجل**»[3].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّي لأرجو النّجاة لهذه الأمّة لمن عرف حقنا منهم إلا لأحد ثلاثة: صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى أو الفاسق المعلن**»[4].

7- ذنوب المؤمنين:

من خلال مراجعة الروايات نرى أنَّ أئمَّة أهل البيت عليهم السلام تحدّثوا عن هذا النوع من الذّنوب بشكلٍ خاص، لأنَّ له بعدين:

- البُعد الفردي: وهو الذي يكون نطاق أثره محصوراً بشخص المذنب.
- البُعد الاجتماعي: وهو الذي يتعدى نطاق تأثيره الجانب الفردي ليطال

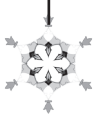

١- أصول الكافي، ج٢، ص٤٢٨.
٢- مستدرك الوسائل، ج١١، ص٣٦٨.
٣- كنز العمال، ج٤، ص٢٣٩.
٤- الكافي، ج٨، ص١٢٨.

المجتمع لأن المذنب ليس فرداً عادياً.

فصاحب المقام الاجتماعي مثلاً، لو ارتكب ذنباً ما - وكان من الصغائر- فبالنسبة لشخصه فإنه يُعتبر صغيرةً، وأمّا بالنسبة إلى بُعده الاجتماعي فإنه يُعتبر كبيرةً؛ لأنه يوفّر الأرضية والبيئة للانحراف والإغواء للآخرين ما قد يؤدّي تدريجياً إلى الاستهانة بالأوامر المولوية لله تعالى. فقد رُوي أنّ الإمام الصادق عليه السلام خاطب شيعته قائلاً: «**فإنّ الرجل إذا ورع في دينه، وصدق في الحديث، وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري، فيسرّني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير دلك دخل عليّ بلاؤه، وعاره، وقيل: هذا أدب جعفر**»[1].

ومن هنا كان ذنب المؤمن الذي يدّعي التولّي لأهل البيت عليهم السلام واتّباعهم هو أشدّ من غيره، لأن ذنب الموالي ينسب لهم بالعنوان العام بنظر العرف، ولو كان على نحو التلميح والإشارة، وكفى بذلك توهيناً لأئمة الدِّين عليهم السلام وما يمثّلونه من قيادة إلهية للناس.

فقد روي عن الشَّقراني مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: **خرج العطاء أيام أبي جعفرٍ المنصور ومالي شفيعٌ، فبقيتُ على الباب متحيّراً، وإذا أنا بجعفر الصادق** عليه السلام، **فقمت إليه، فقلت له: جعلني الله فداك، أنا مولاك الشَّقراني، فرحَّبَ بي، وذكرتُ له حاجتي، فنزلَ ودخلَ، وخرج، وأعطاني من كمّه فصبّه في كمّي، ثم قال: «يا شقراني، إن الحَسَن من كلِّ أحدٍ حَسَنٌ، وإنّه منك أحسن لمكانك منّا، وإنّ القبيح من كلّ أحدٍ قبيح، وإنّه منك أقبح»**[2].

فالمفهوم من الرواية أن المقام الاجتماعي أو الديني، هو أحد أسباب شدّة قبح الذنوب، وأن فعل الخير والحسن، والطاعة التزاماً وتمسّكاً بالولاية، يترتّب عليه ثواب يتناسب مع هذا القرب والولاء والتمسُّك بهم، وهو ما عبَّرت عنه بعض الرِّوايات بعبارةِ «لمكانك منّا»أو «قربك منّا».

١- أصول الكافي، ج٢، ص٦٣٦.

٢- بحار الأنوار، ج٤٧، ص٣٥٠.

١. المؤمن بالله يفرح بطاعته لله عزّ وجلّ، ويحزن لمعصيته ويندم عليها، ويتجنَّبَ الصَّغائر دائماً، ويلتفت بحرص على الموارد التي يمكن أن تنقلب فيها هذه الصَّغائر إلى كبائر.

٢. الإصرار على الذنوب الصغيرة وعدم المبادرة إلى التوبة، من الأمور التي يمكن بسببها أن تنقلب هذه الصغائر إلى كبائر.

٣. الاستهانة والاستخفاف بأمر الله تعالى وعدم رعاية الحرمات الإلهية مهما صغرت أو قلّ شأنها من العوامل التي تحوِّل الصغائر إلى كبائر.

٤. السُّرور والابتهاج بالذَّنب أعظم من ركوبه، فالذي يفرح بما اقترفته يداه من الآثام مهما كانت صغيرة لن يمرَّ وقت حتى تنقلب آثامه الصغيرة إلى كبائر.

٥. اغترار الإنسان بعدم مجازاة الله السريعة له، وأنه تعالى أمهله في الدُّنيا وسترَ عليه، ولن يعاقبَهُ في الآخرة من الموارد التي تحوَّل الذَّنب الصَّغير ذنباً كبيراً.

٦. المجاهرة بالذَّنب أمام النَّاس يبدِّلُ الذُّنوب الصَّغيرة إلى كبيرة؛ فهو يكشف عن صفة التجرّؤ على الأوامر الإلهية والاستهانة بها.

سقر تحرق جهنّم

إن جميع نيران جهنم، وعذاب القبر والقيامة وغيرها مما سمعت، هي جهنم أعمالك التي تراها هناك كما يقول تعالى: ﴿... **وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا...**﴾[1].

لقد أكلت مال اليتيم وتلذَّذت بذلك ولكن الله وحده يعلم ما هي صورة هذا العمل في ذلك العالم والتي ستراها في جهنم، وما هي نتيجة اللذة التي ستكون نصيبك هناك؟ الله يعلم أي عذاب شديد ينتظرك بسبب تعاملك السيّء مع الناس وظلمك لهم في ذلك العالم؟ ستفهم أي عذاب قد أعددت لنفسك بنفسك، عندما اغتبت؟ فإنّ الصورة الملكوتية لهذا العمل قد أعدت لك وسترد عليك وتحشر معها، وستذوق عذابها، وهذه هي جهنّم الأعمال وهي يسيرة وسهلة وباردة وملائمة للعاصين، وأما الذين زرعوا في نفوسهم الملكة الفاسدة والرذيلة السيئة الباطلة كالطمع والحرص والجدال والشره وحب المال والجاه والدنيا وباقي الملكات، فلهم جهنم لا يمكن تصوّرها، لأن تصوّر تلك لا يمكن أن تخطر في قلبي وقلبك، بل تظهر النار من باطن النفس ذاتها، وأهل جهنم أنفسهم يفرون رعباً من عذاب أولئك، وفي بعض الروايات الموثقة أن هناك في جهنم وادياً للمتكبرين يقال له «سقر»، وقد شكا الوادي إلى الله تعالى من شدة الحرارة وطلب منه سبحانه أن يأذن له بالتنفّس، وبعد أن أذن له تنفس، فأحرق سقر، جهنم[2].

وأحياناً تصبح هذه الملكات سبباً في أن يخلد الإنسان في جهنّم لأنها تسلبه الإيمان كالحسد الذي ورد في رواياتنا الصحيحة عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: «**إنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الإيمَانَ كَمَا تَأْكُلَ النَّارُ الحَطَبَ**»[3]. وكحب الدنيا والجاه والمال...[4]

١- الكهف،٤٩.

٢- عن أبي عبدالله عليه السلام أن في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له سقر، شكا إلى الله عز وجل شدة حرّه فسأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنم. أصول الكافي، المجلد الثاني، باب الكبر ـ ح ١٠.

٣- أصول الكافي،ج٢ ،باب الحسد، ح٢.

٤- الأربعون حديثا، الإمام الخميني قدس سره ،الحديث الأول، ص ٤٩.

الدَّرس الرابع:

الأسباب والمناشئ الداخلية للذنوب

أهداف الدَّرس:

أن يكون الطالب مع نهاية الدَّرس قادراً على أن:

١. يبيّن المناشئ والأسباب الداخلية المؤدّية للوقوع في الذَّنب.

٢. يتعرَّف على القوى المختلفة للنّفس.

٣. يتعرَّف على محوريّة القلب في السلوك الإنساني.

تمهيد:

لكي نستطيع التعرُّف على أسباب الابتلاء بالذّنوب والوقوع بها، ينبغي التنبّه إلى أنَّ هناك أسباباً داخليةً للذنب، وأخرى خارجيةً، ولكلّ واحدٍ من هذه الأسباب عوامل متعدِّدة تؤثِّر بها.

نعرض أولاً للأسباب الداخلية أو ما يمكن أن نسميه بالعدوّ الداخلي، وهي: ضعف الإيمان، قوى النَّفس (الشّهويّة، والغضبيّة، والوهميّة، والعاقلة).

ثمّ نعرض للعدوّ الخارجي، ونعني به الشيطان وجنوده وأعوانه من الفِرَق الضّالة والبيئة المحيطة، ومن وسائل الاتصال الحديثة، والإعلام المضلِّل، وغير ذلك.

على أنّ هناك تلازم واضح بين الأسباب والمناشئ الداخلية والخارجية، فإن ضعف الرادع الدِّيني وعدم التقوى يؤدّيان إلى ارتكاب المعاصي، كمجالسة أهل السوء. وهذه المعاصي بنفسها تؤدّي إلى ضعف الرَّادع الدِّيني، فالذي يجعل النَّفس أمّارة[1] أو لوّامة[2] أو مطمئنةً[3] هو طبيعة العمل الذي يقوم به الإنسان، ولكن – ولأهداف تعليمية – صنّفنا الأسبابَ إلى داخليةٍ وخارجيةٍ، وقسّمنا الدّروس انطلاقاً من هذا التصنيف.

١- ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يوسف، ٥٣.
٢- ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ القيامة، ٢.
٣- ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الفجر، ٢٧.

الأسباب الداخلية للذنوب

ضعف الإيمان:

إنَّ أهمَّ سببٍ من أسباب الوقوع في المعاصي هو ضعف الرَّادع الدِّيني عند الإنسان، أو ما يسمَّى بـ «ضعف الإيمان».

فالإيمان أمرٌ يقبل الزيادة أو النقصان، والشدّة أو الضعف، فنحن نشاهد في مجتمعنا كثيراً من النَّاس يشكون من قسوة قلوبهم، ومن قلّة خشوعهم في صلاتهم، ونرى من سلوكيَّات بعضهم غلبةَ حرصهم على الدُّنيا ويأسهم وقنوطهم وحزنهم في الظُّروف والمصائب القاسية، بالإضافة إلى الأنانيَّة والغرور والتعصُّب، إلى غيرها من الأمراض المتعدِّدة والتي ترجع إلى سببٍ واحدٍ وهو ضعفُ الإيمان، الذي يزدادُ ويشتدُّ عبر الطاعات وينقص ويضعف بالمعاصي، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَماتُوا وَهُمْ كافِرُونَ**﴾[1]. ولا شكّ أنّ هذا الضعف أو القوة في الإيمان لا يولد مع الإنسان ولا يُجبر عليه أحد، فهذا ينافي مبدأ الاختيار وعقيدة «أمر بين أمرين «التي تعني نفي الجبر والتفويض للنّاس، وإثبات اختيارية التكليف الذي تؤمن به مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

فمن خلال هذا البيان نفهم أنّ هناك أسباباً تؤدّي إلى ضعف الإيمان، بل إلى تلاشيه في بعض الأحيان وكأنّه غير موجود.

من أسباب ضعف الإيمان:

إن أهم الأسباب المؤدّية إلى ضعف الإيمان هي:

١- الجهل وعدم المعرفة، فإنّها من أعظم أسباب ضعف الإيمان.

٢- غلبةُ الهوى وطولُ الأمل، فغلبة الهوى تجعل الإنسان يميل إلى الشّهوات،

١- التوبة، ١٢٤- ١٢٥.

وطول الأمل يُنسيه الآخرة ويجذِبُه إلى الدُّنيا.

٣- ارتكاب الكبائر والفواحش.

٤- مصاحبة السفهاء والفجّار.

٥- ارتياد أماكن المعصية.

٦- ترك تعاهد القرآن وعدم الذهاب إلى المساجد والأماكن المقدَّسة.

٧- ترك مجالسة العلماء وأهل العبادة.

وهناك أمور أخرى ذكرت في الروايات يؤدّي فقدانها أو نقصانها إلى ضعف الإيمان ممّا يدفع بالإنسان إلى ارتكاب المعاصي، ومنها ما روي عن الإمام الصَّادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الإيمان له أركان أربعة: التوكُّل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم بأمر الله عز وجل**»[1].

وسُئِل إمامنا الصادق عليه السلام: بأيّ شيء يعلم المؤمن بأنه مؤمن؟ قال عليه السلام: «**بالتَّسليم لله والرِّضا فيما ورد عليه من سرورٍ أو سخطٍ**»[2]. فهذه الرِّوايات الشَّريفة وغيرها تشير بشكلٍ صريحٍ وواضحٍ إلى أنَّ للإيمان أركاناً، ومن المعلوم أنَّ الأركان هي الرَّكائز والأسس التي يُبتنى عليها الشّيء؛ فلو فُقِدت هذه الأركان أو بعضها تخلخل بنيان هذا الشيء وزال استقراره.

والإيمان محلّه وموطنه القلب، وهو نوعٌ من المعرفة القلبيَّة التي ينبغي أن تكون مصحوبةً بالعمل بالأركان، كما في الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان**»[3]، فمن أراد أن يرسِّخ إيمانه بالله ويحافظ عليه ويستكمله، يجب أن يرسّخ هذه الأركان في عقله وقلبه معاً، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**لا يُكمِل عبدٌ الإيمانَ بالله حتَّى يكون فيه خمسُ خصالٍ: التوكّل على الله، والتّفويض إلى الله، والتّسليم**

١- أصول الكافي، ج٢، ص٤٧.

٢- بحار الأنوار، ج٧٢، ص٣٣٦.

٣- بحار الأنوار، ج١٠، ص٢٢٨.

لأمر الله، والرِّضا بقضاء الله، والصّبر على بلاء الله، إنّه من أحبّ في الله، وأبغضَ في الله، وأعطى في الله، ومنعَ في الله، فقد استكمل الإيمان»[1].

والأركان هي:

1- التوكّل على الله تعالى: وهو الاعتماد عليه والوثوق به في الرِّزق وغيره، وقطع تعلُّق القلب بغيره من الأسباب والمسبِّبات، وهذا يوجب قوّة الإيمان وثباته، وعكسه يوجب ضعف الإيمان وعدم استقراره، ولا يعني التوكّل الاستغناء عن السعي والأسباب المادية أبداً، بل هي من مقوِّمات التوكّل التي لا غنى عنها.

2- تفويض الأمر إلى الله تعالى: وذلك في دفع شرِّ الأعداء وكيد الخصماء ومكائد النَّفس ووساوس الشَّيطان.

3- الرضا بقضاء الله تعالى: وذلك في الشدّة والرخاء ونزول المصيبة والبلاء.

4- التسليم بأمر الله تعالى: والانقياد له في الشرائع والحدود وكل ما أنزله على رسوله ﷺ، وهذا التسليم أصلٌ عظيمٌ لرسوخ الإيمان؛ إذ لو انتفى استولى ضدّه – وهو الشكّ – على القلب، والشكّ ينافي الإيمان، ويؤدِّي إلى ارتكاب المعاصي بلا أيّ رادع.

سيطرة القوى والغرائز الإنسانية:

نقصد بها مجموعة الغرائز والقوى الموجودة في باطن الإنسان التي إن لم يعرفها ولم يسعَ إلى تعديلها فإنها ستؤدّي به إلى هلاكه الحتمي، ووقوعه في المعاصي. فينبغي عليه أوّلاً معرفتها والسعي إلى تعديلها بمعنى إخراجها عن حدِّ الإفراط والتفريط؛ لأنّ عدم ذلك سيؤدّي إلى طغيانها وعدم استقرارها، وهو ما سيدفع بالإنسان إلى ارتكاب المعاصي.

١- بحار الأنوار، ج٧٧، ص١٧٧.

إنّ هذه القوى الباطنية المودعة في الإنسان قد تؤثّر سلباً أو إيجاباً على سلوكه وعلاقته بالله تعالى، فالله تعالى أوجد في الإنسان «قوّة العقل» وأعطاها جنوداً، وأوجد فيه «قوّة الجهل»أيضاً وأعطاها جنوداً.

فالإنسان في حركته التصاعدية العقلية قد يصل إلى درجة أعلى من درجة الملائكة إذا ابتعد عن الذَّنب بإرادته واختياره وتحكيمه لعقله وسيطرته على غرائزه، وقد يصل في حركته التنازلية من خلال اتّباعه للشهوات إلى درجةٍ يصبح فيها كالأنعام، بل أضل سبيلاً، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[1]، وما ذلك إلا لأنّه حكَّم هواه على عقله، واتَّبع غرائزه وشهواته النَّفسية.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ الله خصّ المَلَك بالعقل دون الشهوة والغضب. وخصّ الحيوانات بهما دونه، وشرّف الإنسان بإعطاء الجميع، فإن انقادت شهوته وغضبه لعقله صار أفضل من الملائكة؛ لوصوله إلى هذه المرتبة مع وجود المنازع، والملائكة ليس لهم مزاحم...**»[2].

وقد ذكر العلماء أنّ للنفس أربع قوى، هي: القوّة الشهوية، القوّة الغضبيّة، القوّة الوهميّة، القوة العاقلة.

أ. القوّة الشهويّة: وهي القوّة التي لا يصدر عنها إلا أفعال البهائم من عبوديّة الفرج والبطن والحرص على الجماع والأكل. وتوصف بالقوى البهيميّة؛ لوجودها الأصلي في البهائم، ومن خواصّها أنَّها تُنْزِل الإنسان إلى درجة الأنعام، إن لم يوجّهها ضمن الضوابط التي حدّدتها الشريعة. وهي من القوى العنيدة التي لا تهدأ بسرعة، وتقوم بعملين أساسيين، هما:

الأوّل: الأكل، وله فائدتان، هما:

١. حفظ البدن.

١- الفرقان، ٤٤.

٢- جامع السعادات، ج١، ص٥٦.

٢. والمساعدة على الوصول إلى الكمالات المرتبطة بالنَّفس.

الثاني: الجماع، ولهذا العمل فائدتان أيضاً، هما:

١. حفظ النسل الإنساني واستمراره.

٢. تحصيل الكمالات المرتبطة بالعفّة.

ب. القوة الغضبيّة: وهي القوّة التي تكون منشأً لصدور أفعال السباع من الغضب والبغضاء والتوثّب على النَّاس بأنواع الأذى. ولهذه القوة فائدة مهمّة وهي: الدِّفاع، حيث تعتبر القوّة الغضبيَّة منشأ حصول الحميّة والغيرة لدى الإنسان. فالشَّجاعة التي تدفع إلى جهاد العدوّ هي من القوى الغضبيّة، التي تترفَّع من جهةٍ عن الجبن والخوف المذموم، وعن الذلّة والدناءة والضِعة، ومن جهةٍ أخرى تتريّث عن التهوّر والتعجُّل، وعن الكلمة التي لا تمرّ بتحليل الفكر الناضج. فإذا اعتدلت القوة الغضبيّة واتّسمت بالعقل كانت شجاعةً، وكانت صفةً شريفةً، وطاقةً نافعةً، روي عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «**السخاء والشجاعة غرائز شريفة، يضعها الله فيمن أحبّه وامتحنه**»[1].

وتمتاز القوّة الغضبيّة بأنّها قوّةٌ تهدأ بسرعةٍ بخلاف القوَّة الشَّهويّة، ومع أنَّها تمتازُ بشدَّتها من ناحيةٍ، لكنها سرعان ما تهدأ من ناحية أخرى.

ج. القوّة الوهميّة: وهي القوّة التي من شأنها استنباط وجوه المكر والحِيَل، والتوصّل إلى الأغراض بالتَّلبيس والخُدَعِ، فهي من أهمّ قوى الإنسان، بل إنّ قواه الأخرى تحت سلطان القوّة الوهميّة، ويمكن القول بأنها القوّة التي تحكم في غير المحسوسات بأحكام تناسبُ المحسوسات. ويضيف بعض العلماء قيد الشيطانية، أي القوّة الوهميّة الشيطانيّة، إشارةً إلى الأهواء النَّفسانيّة، وهي التي تحمل الإنسان على الجدال في الله وصفاته وأفعاله، وهي الباعثة للإنسان على منازعة النَّاس ومجاراتهم والمخاصمة معهم في كلِّ شيءٍ.

١- غرر الحكم، ص٣٧٥.

فإن كانت هذه القوّة في خدمة القوّة الغضبيّة أصبح الإنسان جبّاراً في الأرض، وأمّا إذا كانت في خدمة القوّة الشهويّة فإنّها تهيّئ لها كلّ الوسائل والطرق التي توصلها إلى غرضها وهو تحصيل تلك الشهوة.

وأما إن كانت هذه القوّة في خدمة القوّة العاقلة، فإنّها سوف تبحث لها عن طرق الوصول إلى القرب الإلهي، وسُبُل الرقي في درجات الكمال.

د. القوّة العاقلة: بما أنّ القوى الثلاث، الشهويّة والغضبيّة والوهميّة، لا تميّز مفسدةً من مصلحةٍ، ولا حلالاً من حرامٍ، ولا ما يُبعِدُ عن الله ولا ما يقرّب إليه، احتاج الإنسانُ إلى ما يركن إليه في تحديد مصيره، فأوجد الله فيه القوّة العاقلة، وأوكل إليها القيامَ بهذا الدَّور المهمّ والخطير في مسيرة الإنسان نحو الحق تعالى[1].

«فالقوّة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء كما هي، وهي التي يتجلى فيها نور معرفة الله، ويشرق فيها ضوء كبريائه، وهو الذي يطّلِع على أسرار عالمي الخلق والأمر، وهذه القوّة من سنخ الجواهر القدسيّة، والأرواح المجرَّدة»[2].

ولو حقّقنا ودقّقنا في معرفة الذَّنب لوجدنا أن كل الذّنوب سببها هذه القوى الثلاث (الشهوة، الغضب، الوهم)، لذلك يجب السيطرة عليها وتنظيمها وتوجيهها وأن لا نتركها في طريق الإفراط والتفريط فنقع في مستنقع الآثام والذّنوب.

مرض القلب:

روي عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «**ما من قلبٍ إلا وله أذنان: على أحدهما ملكٌ مُرشدٌ، وعلى الأخرى شيطانٌ مُفتنٌ، هذا يأمره وهذا يزجره، الشَّيطان يأمره بالمعاصي، والملك يزجره عنها، وهو قول الله عزّ وجل: ﴿...عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾**[3]»[4].

١- التربية الروحية، ص١٥٣-١٧٠ (بتلخيص وتصرف).
٢- راجع: بحار الأنوار، ج٥٧، ص٢٧٠.
٣- ق، ١٧-١٨.
٤- أصول الكافي، ج٢، ص٢٦٦-٢٦٧.

وعنه عليه السلام: «**ما من مؤمنٍ إلا ولقلبه أذنان في جوفه: أذنٌ ينفثُ فيها الوسواس الخنَّاس، وأُذنٌ ينفث فيها الملك، فيؤيّد الله المؤمن بالملك، فذلك قوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾**[1]»[2].

وروي عنه عليه السلام أنه قال لسليمان بن خالد: «**يا سليمان، إنّ لك قلباً ومسامع، وإنّ الله إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قلبه، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه، فلا يصلح أبداً، وهو قول الله تعالى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾**[3]»[4].

فهذه الرّوايات وغيرها - كما هو واضح - تشير إلى أنّ القلب هو مركز الأوامر والإدراك، فالقلب السَّليم الطَّاهر هو مركز الأفعال الحسنة. وعلى العكس من ذلك فالقلب غير السَّليم والمظلم هو مركز الأفعال الفاسدة، فمن أراد السَّير في طريق طاعة الله سبحانه وتعالى يجب أن يُطهِّرَ قلبه، ويحافظ على طهارته.

والأمراض التي تصيبُ القلبَ كثيرةٌ: كالشِّرك، والكفر، والحقد، والعجب، وسوء الظَّن، وقول السّوء، والتّهمة، والرّياء، وحبّ الجاه، وغيرها من الصِّفات السيِّئة.

وهي، أي الأمراض، كلّما ازدادت أدّت إلى اسوداد القلب وإصابته بالآفات، وإنّ الإيمان والعمل الصَّالح ينير القلبَ، ويدفع عنه الأمراض.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**القلوب ثلاثة: قلبٌ منكوس لا يعي شيئاً من الخير، وهو قلب الكافر. وقلبٌ فيه نكتة سوداء فالخير والشر يعتلجان، فأيّهما كانت منه غلب عليه، وقلبٌ مفتوح فيه مصباح تزهر ولا يطفأ نوره إلى يوم القيامة، وهو قلب المؤمن**»[5].

فالقلب - حسب الحديث الشريف - ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

قلب الكافر: قلب انحرف عن فطرته فلا خير فيه، ولم يعد له هدف إلا الدُّنيا وأعرض عن ربه، فأصيب بالعمى وغشيته الظلمة.

١- المجادلة، ٢٢.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص٢٦٧.
٣- محمد، ٢٤.
٤- بحار الأنوار، ج٥، ص٢٠٣.
٥- أصول الكافي، ج٢، ص٤٢٣.

قلب المؤمن: قلب قبلَه الله، فأضاء فيه مصباح الإيمان، يرغِّب في العمل الصالح ومكارم الأخلاق، عيناه مبصرتان بنور إيمانه.

القلب المنكت: وهو قلب فيه من نور الإيمان، لكن فيه أيضاً من سواد المعصية، وخيره وشرّه في حالة صراع، فما غلب منهما سيطر على هذا القلب.

١. هناك أسباب داخلية للذنب، وأخرى خارجيةً، ولكلّ واحدٍ من هذه الأسباب عوامل متعدِّدة تؤثِّر بها.

٢. من الأسباب الداخلية أو ما نسميه بالعدوّ الداخلي الذي يكون سبباً في اقتراف الذنب؛ ضعف الإيمان، وخضوع الإنسان لسلطان قوى الشّهوة، والغضب، والوهميّة.

٣. الجهل وغلبة الهوى وترك التوكّل على الله والرضا بحكمه والتسليم لأمره من أهم أسباب ضعف الإيمان في النفس والوقوع في الأخطاء والآثام.

٤. سيطرة شهوة الفرج والبطن على الإنسان تقود إلى الخضوع لهما، وصيرورة حياة الإنسان أشبه بحياة الأنعام، وبالتالي الوقوع في المخالفة لأوامر الله وأحكامه.

٥. سيطرة القوة الغضبية على الإنسان تفقده القدرة على السيطرة على نفسه، وتحوِّله إلى سبع ضار يتوثّب على الناس بأنواع الأذى، وبالتالي يضعف الرادع الديني في النفس.

٦. القلب السَّليم الطَّاهر هو مركز الأفعال الحسنة، فإذا تلوّث القلب وأصابته الأمراض القلبية كالعجب والتكبّر والرياء وغيرها من الصفات أدى ذلك إلى المعصية حتماً.

في كيفية معالجة المفاسد الأخلاقية

أيها العزيز؛ انهض من نومك، وتنبّه من غفلتك، واشدد حيازيم الهمة، واغتنم الفرصة ما دام هناك مجال، وما دام في العمر بقية، وما دامت قواك تحت تصرّفك، وشبابك موجوداً، ولم تتغلّب عليك ـ بعد ـ الأخلاق الفاسدة، ولم تتأصّل فيك الملكات الرذيلة، فابحث عن العلاج، أعثر على الدواء لإزالة تلك الأخلاق الفاسدة: القبيحة، وتلمّس سبيلاً لإطفاء ثائرة الشهوة والغضب.

وأفضل علاج لدفع هذه المفاسد الأخلاقية، هو ما ذكره علماء الأخلاق وأهل السلوك، وهو أن تأخذ كلّ واحدة من الملكات القبيحة التي تراها في نفسك، وتنهض بعزم على مخالفة النفس إلى أمد، وتعمل عكس ما ترجوه وتطلبه منك تلك الملكة الرذيلة.

وعلى أيّ حال؛ أطلب التوفيق من الله تعالى لإعانتك في هذا الجهاد، ولا شك في أن هذا الخلق القبيح، سيزول بعد فترة وجيزة، ويفرّ الشيطان وجنوده من هذا الخندق، وتحلّ محلهم الجنود الرحمانية.

فمثلاً من الأخلاق الذميمة التي تسبِّب هلاك الإنسان، وتوجب ضغطه القبر، وتعذّب الإنسان في كلا الدارين، سوء الخلق مع أهل الدار والجيران أو الزملاء في العمل أو أهل السوق والمحلة، وهو وليد الغضب والشهوة، فإذا كان الإنسان المجاهد يفكّر في السمو والترفّع، عليه ـ عندما يعترضه أمر غير مرغوب فيه حيث تتوهّج فيه نار الغضب لتحرق الباطن، وتدعوه إلى الفحش والسيّء من القول ـ عليه أن يعمل بخلاف النفس، وأن يتذكّر سوء عاقبة هذا الخلق القبيح، ويبدي بالمقابل مرونة، ويلعن الشيطان في الباطن ويستعيذ بالله منه.

إني أتعهّد لك بأنك لو قمت بذلك السلوك، وكرّرته عدّة مرّات، فإن الخلق السيّء سيتغيّر كلياً، وسيحلّ الخلق الحسن في عالمك الباطن، ولكنك إذا عملت وفق هوى النفس، فمن الممكن أن يبيدك في هذا العالم نفسه[1].

١- الأربعون حديثا، الإمام الخميني قدس سره، الحديث الأول، ص ٥٢.

الدَّرس الخامس:

الأسباب والمناشئ الخارجية للذنوب

أهداف الدَّرس:

أن يكون الطالب مع نهاية الدَّرس قادراً على أن:

١. يشرح المناشئ والأسباب الثقافية والتربوية للوقوع في الذَّنب.

٢. يبيّن المناشئ والأسباب الاجتماعية والبيئية للوقوع في الذَّنب.

٣. يعرِّف المناشئ والأسباب الأسرية والعائلية للوقوع في الذَّنب.

مثلث الشخصية:

أشرنا في الدَّرس الرابع إلى وجود عوامل وأسباب متعدِّدة للذنوب، منها داخلية – وقد تحدّثنا عنها – وأخرى خارجيّة، وهي مورد اهتمامنا في هذا الدَّرس.

يوجد أسباب عديدة ومتنوّعة خارج إرادة الإنسان واختياره، وهي تقوم بتهيئة الأرضية للذنب، وعلى الإنسان الانتباه إلى هذه الأسباب وتشخيصها ومعرفتها جيّداً، ليصار إلى معالجتها.

إنّ فعل الإنسان يعبّر عن شخصيّته المتأثّرة بعوامل متعدِّدة، يعبّر عنها بمثلث الشخصية، وإنّ كلّ ضلع من أضلاع هذا المثلث له تأثير في بناء شخصيّة الفرد، وهذه الأضلاع هي:

أ. الوراثة.

ب. التربية.

ج. البيئة.

أمّا الوراثة: فهو أمر اعترف به العلم والتجربة ويلمسه كل إنسان واع، فالولد كما يرث الصِّفات الجسمانية من الوالدين فإنه كذلك قد يرث بعض طبائعهما الخُلقية وينشأ عليها. فالأبناء لا يرثون من الآباء المال والثروة والأوصاف الظاهرية كملامح الوجه ولون العيون وكيفيات الجسم فحسب، بل قد يرثون ما يتمتّع به الآباء كلياً أو جزئياً من خصائص روحية، وطبائع أخلاقية عن طريق الوراثة.

وأمّا التربية: فيأتي دورها بعد الوراثة، لتكون حاكمة عليه أو موجِّهة للسلبي

والسيّئ منها، حيث إنّ الأبوين في المنزل، والمعلِّم في المدرسة التربوية، أو أي قدوة تعليمية في ميادين الحياة المختلفة، تؤثّر بالغ الأثر في قلب الطفل وعقله، ولها الدور الأهم في البنية التربوية للإنسان.

وأما البيئة: فلأن الإنسان يتأثّر في سلوكه وخلقه بالبيئة التي يعيش فيها[1]. ويقصد بالبيئة العامل المؤثّر في الشخصية، والمحيط العام الذي يعيش فيه الإنسان، والذي تتكوَّن فيه الصِّفات الخُلُقية لدى الفرد، سواء عن طريق المنزل أو المدرسة أو المجتمع أو الإعلام ونحوه.

العوامل الثقافية والتربوية:

تلعب العوامل الثقافية والتربويّة دوراً أساسياً في تهيئة الأرضيَّة والبيئة الصَّالحة أو الفاسدة التي تنعكس إيجاباً أو سلباً على أخلاق الإنسان وسلوكه، وإن كانت على نحو المؤثِّر غير الإلزامي لا العلَّة التامّة، وإلا لزم منه الجبر، ونقصد به سلبَ الاختيار عن الإنسان، وهو مخالف لمدرسة أهل البيت عليهم السلام. ولا يشكُّ أحدٌ – على سبيل المثال – بمدى تأثير التلقين والتقليد والمتابعة والاقتداء على فكر الإنسان وسلوكه، إذ يتعلَّم ضروباً سلوكيَّة متعدِّدة من خلال المدرسة والمجتمع والبيت، وهو ما يطلق عليه اسم البيئة. وعليه فإنّ عامل التربية والتعليم له تأثيره البالغ على الفرد.

والعوامل التربوية متعدِّدة، نذكر منها:

أولاً: البيئة المعرفية:

إنّ الدِّين الإسلامي أعطى أهميّة قصوى للفكر والوعي والمعرفة من أجل بناء المجتمع الفاضل الذي يصبو إليه، وحذّر من مغبّة الوقوع تحت تأثير الجهل وتعطيل الفكر. فالجهل من الصِّفات الذميمة، وإنّ أكثر ما يؤدّي إلى وقوع العبد في المعاصي هو الجهل بالله تعالى، وما يجب له من الطاعة.

وإنّ أخطر أنواع الجهل هو الجهل المركب، فهو مركب من جهلين: جهل بالواقع؛ لأنّ ما يعتقده لا يطابق الواقع، وجهلٌ بجهله وعدم معرفته؛ فيعتبر نفسه من أهل العلم.

١- رسالة الإنسان بين الجبر والتفويض، ص ٣٣- ٣٧ (بتصرف).

وإذا دقّقنا في قضية وقوع الذَّنب من العبد نجده محفوفاً بجهلين:

الأول: جهل بحقيقة الأسباب الصارفة عن الذَّنب.

الثاني: جهل بحقيقة المفسدة أو المفاسد المترتّبة عليه.

روي عن الإمام الحسن عليه السلام في جواب أبيه لما سأله عن تفسير الجهل: «**سرعة الوثوب على الفرصة قبل الاستمكان منها، والامتناع عن الجواب، ونِعْم العون الصَّمت في مواطنَ كثيرةٍ، وإن كنت فصيحاً**»[1].

فالجهل مصدر لكل المفاسد الفردية والاجتماعية، وما لم تُستأصل هذه الآفة لن يتسنّى للفضيلة أن تسود، ولن يتحقّق المجتمع الإنساني المنشود.

فقد يجهل الإنسان أموراً كثيرةً لا تؤثِّرُ على حياته العمليَّة والدِّينية بشكلٍ مباشر، ولكنّ المشكلة في جهل الإنسان بالمعارف الضَّرورية له، والتي على رأسها معرفة المبدأ والمعاد، المعرفة التي تكشف له السبيل إلى بلوغ الحكمة والهدف من وجوده، و بالتالي تدخلُه في إطار المعارف الضروريَّة لحياته الدنيويَّة والأخرويّة.

فالإنسان يجب أن يعرف كيفية ظهوره في الوجود؟ وما هي الغاية من خلقه؟ وكيف يجب أن يعملَ حتَّى يصل إلى الحكمة المرجوّة من وجوده؟ وما هو مصيره؟ وما هي المخاطر التي تهدِّده؟

والمعارف التي تتكفَّل بالإجابة عن هذه الأسئلة تكمن بمعرفة الأصول والفروع التي جاء بها نبيُّ الإسلام صلى الله عليه وآله، أما الجهل بها فيوقع الفرد بالرنحراف والمجتمعَ الإنسانيَّ في المحن والابتلاءات.

ثانياً: التَّلقين والتقليد:

التَّلقين هو أحد وسائل التعليم، وبغض النظر عن نجاعته وعدمها، وأنّه هل يعيق التَّفكير الإبداعيَّ أم لا؟ لكنَّه أحدُ العوامل المهيّئة للأرضيَّة والمؤثّرة في ثقافة الإنسان. فإن كان التَّلقين والتَّقليد صحيحاً ولائقاً فإنه يهيّئ الأرضية للأعمال الحسنة، وإلا فالعكس.

والتَّقليد -الأعمى- هو أحد شُعب الجهل، وهو من الأمور التي تهيّئ الأرضية المناسبة لارتكاب الذُّنوب.

١- بحار الأنوار، ج١، ص١١٦.

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾[1].

التقليد الأعمى ناشئ عن عدم التعقّل والتأمّل، وهو نابعٌ من الجهل، ودليله واضح، فإنّ ذوي العلم يتمتّعون باستقلالٍ فكري، واستقلالهم الفكري هذا لا يسمح لهم بالتَّقليد الأعمى، بينما الجاهلون تراهم مرتبطون بهذا وذاك وبشكلٍ أعمى، فيتَّبعون الآخرين على غير بصيرةٍ.

وعندما نراجعُ القرآن الكريم نجدُ أقواماً أهلكَهُم تقليدُهم الأعمى للآباء والأجداد، الأمرُ الذي حجبهم عن نور المعرفة التي جاء بها الأنبياء والرُّسل عليهم السلام، وكان منطقهم: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾[2].

وهكذا انتقلت عاداتهم القبيحة إلى الأجيال اللاحقة، ما أوجد حجاباً بينهم وبين الحقّ تعالى ورسله.

والتَّقليدُ على أنواعٍ متعدِّدة، نذكر منها:

١- تقليد الجاهل للعالم.

٢- تقليد العالم للعالم.

٣- تقليد العالم للجاهل.

٤- تقليد الجاهل للجاهل.

وفي الأقسام الأربعة فقط القسم الأول هو المنطقي، وهو ما أشار إليه القرآن بالأسوة الحسنة، أما باقي الأقسام الثلاثة الباقية فكلّها باطلة، ولا أساس منطقي لها.

أسباب التقليد الأعمى:

1. عدم النُّضوج الفكري: فالإنسان الذي لا يمتلك الوعي الفكري، أو المعارف والعلوم الكافية سيعاني من ضيق الأفق والوعي الفكري، وسيعتمد على غيره، ويكون تابعاً ومقلِّداً له، وفي أكثر الأحيان أيضاً لا يمتلك القدرات اللازمة التي تسمح له بتشخيص التَّقليد الصَّحيح من غيره.

١- البقرة، ١٧٠.

٢- الزخرف، ٢٢.

2. التأثّر بالشَّخصيّة: إنّ الانبهار ببعض الشَّخصيات بشكلٍ أعمى ودون تتبّعٍ ودليلٍ كافيين سوف يحمل الإنسان على اتّباعهم والسَّير خلفهم دون تفكيرٍ، وهذا ما سوف يترك انعكاساتٍ سلبيةً على شخصيّته وسلوكه.

3. التعلّق بالتراث والأسلاف الماضين: إنّ مثل هذا التعلُّق قد يجعل من بعض الشّخصيات أناساً مقدَّسين حتَّى لو لم يكونوا بهذا المستوى، بل وقد يكونون على العكس من ذلك. وهو ما رأيناه من تمسُّك بعض النَّاس بأسلافهم وبموروثاتهم وبتراثهم القديم في مواجهة دعوة الحقّ للأنبياء عليهم السلام، كما حصل مع نبي الله نوح عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام وغيرهم من الأنبياء، وصولاً إلى نبينا محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم.

4. التعصّب: قد يدفع التعصّب بفريقٍ من النَّاس لاتّباع شخصيّةٍ أو طائفةٍ أو حزبٍ دون تفكير أو تعقُّل، ما يجعل الأتباع أشبه بالآلات الميكانيكية، يردّدون الأفكار والشعارات التي يحملها الآخرون دون تفكير.

إنّ هذه العوامل المتقدّمة وغيرها تُعدّ سبباً لانتقال الكثير من الخرافات والعقائد والعادات إلى الآخرين، وهي من أهم أسباب تهيئة الأرضيّة للانحراف الفكري والسلوكي[1].

ثالثاً: البيئة والمحيط الاجتماعي:

يمكن أن نقسّم البيئة والمحيط إلى عاملين أساسيين:

العامل الأول: عوامل بيئيّة مرتبطة بالمجتمع.

العامل الثاني: عوامل بيئيّة مرتبطة بالأسرة.

ولكلٍّ من العاملين دوره الخاص وتأثيره في صياغة شخصية الفرد، وتهيئة الأرضية الصَّالحة أو الطَّالحة له.

العامل الأول: العوامل المرتبطة بالمجتمع:

جلساء السوء:

من الأمور الخطيرة التي توقع الإنسان بالمعصية مصاحبة الأشرار (جلساء السوء)؛ لأنهم يزيّنون لصاحبهم، وشيئاً فشيئاً يصبح مثلهم. فالإنسان يتأثّر

١- نفحات القرآن، ج١، ص٢٦٨- ٢٧٥ (بتصرف، تلخيص).

بمن يصاحب، والصديق يترك تأثيراته السَّلبيّة والإيجابية بشكلٍ لاشعوريٍّ على صديقه، ما يجعل مسألة الصَّداقة ذات ارتباطٍ وعلاقةٍ قويَّةٍ بمصير الإنسان في كثيرٍ من المجالات.

وهذا ما نقرأه في قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۝ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً ۝ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً**﴾[1].

فهذا نموذجٌ للإنسان الذي يعيش الحسرةَ والنَّدامةَ يوم القيامة بسبب الخطِّ المنحرف الذي سلكه، وذلك انطلاقاً من تأثُّره بصداقةِ بعض النَّاس الذين حبّبوا له المعصية وزيّنوها.

والقرآن الكريم في بعض آياته يعطي قانوناً أشمل من العلاقات التي تجمع الأصدقاء عندما يتحدَّثُ عن التَّابعين والمتبوعين. فنفهم معنىً أكثر شمولاً في نطاق من يتبع أيّما إنسانٍ، ولو من النَّاحية العاطفية سواء كان اتّباع الزّوج لزوجته أو العكس، أو اتّباع الصّديق لصديقه.

قال الله تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾[2].

يبيّن الله تعالى في هذه الآية أنَّ التَّابعين يتحمّلون المسؤوليّة مهما كان نوع الضَّغط الذي مارسه أولئك عليهم، سواء أكان ضغطاً مادياً أو عاطفياً. فلا شيء يَفرض عليهم أو يَجبرهم على هذا الإتباع المنحرف. إنّ هذه التَّربية القرآنية تعلّمنا مدى تأثّر الإنسان بالإنسان الآخر، وضرورة أن يلتفت الشَّخص إلى علاقاته وكيفيَّة اختيارها، وأن يتخلَّص من الأجواء الضَّاغطة مهما كان نوعها.

ولذلك يقول الله تعالى: ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾[3].

هؤلاء سيقفون أمام المحكمة الإلهيَّة، كلٌّ أمام مصيره المحتوم، ليُحمِّل كلُّ واحدٍ

١- الفرقان، ٢٧- ٢٩.
٢- البقرة، ١٦٦- ١٦٧.
٣- الزخرف، ٦٧.

منهم مسؤوليَّة الضَّلالة للآخر، ومن الطَّبيعي أن تنقلب الصَّداقة إلى عداوةٍ عندما يكتشف الإنسان الذي كان خاضعاً لتأثيرات الصَّداقة المنحرفة أنّ صديقه كان عدوّاً في ثوب صديق. أمّا المتّقون الذين كانوا يتعاونون على البرّ والتقوى فمن الطبيعي أن تبقى صداقتهم في الآخرة؛ لأنّها كانت صداقة ورعٍ وتُقىً وصلاحٍ في الدُّنيا.

وهناك مضارّ كثيرةٌ تترتّب على عشرة أصحاب السّوء ومجالستهم، نذكر منها:

- أنَّهم قد يشكّكون بعقائدك الحقّة ويصرفوك عنها إلى العقائد المنحرفة.
- أنَّهم يدعون جلساءهم إلى مماثلتهم في ارتكاب المحرمات والمنكرات.
- أنك قد تتأثّر بعاداتهم السلوكية والأخلاقية؛ فالمرء بطبعه يتأثّر بصديقه.
- أنّ رؤيتهم تذكّر بمعصية الله تعالى.
- أنك بسببهم قد تُحْرم من مجالسة الصالحين.
- أنّ صحبتهم معرّضة للزوال في أيّ لحظة؛ لأنها مبنية على المصالح الشَّخصية.
- أنّ مجالسهم لا تخلو من فعل المحرمات والمعاصي من غيبة ونميمة ...
- أنّ مجالستهم فيها هدرٌ ومضيعةٌ للوقت الذي يُحَاسب عليه المرء يوم القيامة.

الإعلام المضلّل:

الإعلام في أبسط صُوَره هو تواصلٌ بين مرسِل ومستقبِلٍ، ووسيلةُ اتصال، ومضمونُ رسالة لإحداث أثرٍ في قضية من قضايا الحياة التي تهم النَّاس.

والإعلام المضلِّل يعمل على عدّة محاور لإبعاد النَّاس عن النهج الحقّ والسلوك السليم. وإذا رجعنا إلى التاريخ لنقرأ الصراع بين الحقّ والباطل، نجد أن ما استخدمه فرعون من طرق إعلامية متعدِّدة في معركته مع النبي موسى عليه السلام نموذجاً واضحاً لذلك، ونورد منها:

- تخويف النَّاس، وبثّ الدعايات الكاذبة، لصرف النَّاس عن الالتحاق بدين موسى عليه السلام، قال تعالى حكاية عن ذلك: **﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[1].

١- الأعراف، ١٢٣-١٢٤.

- بثّ روح التشاؤم من موسى عليه السلام وأتباعه، وأنّهم هم سبب الويلات التي نزلت على المملكة وما فيها، قال تعالى حكاية عن ذلك: ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾[1].

وهذا ما يعتمده الإعلام المضلّل اليوم من خلال تنفير النَّاس من الحق، وإلحاق التّهم بأهله.

القيادة الضالَّة والمُضلَّةُ:

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم، وبالأخصّ إلى سورة نوح عليه السلام، نرى كيف تمَّ التَّركيز على خطورة القيادة الضّالة ومدى تأثيرها في تضليل الجمهور، وتهيئة الأرضية المناسبة للابتعاد عن الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾[2].

فالقيادة الضالَّة بحسب ما يظهر من دعاء النّبي نوح عليه السلام تؤدّي إلى الانحراف عن الفطرة السَّليمة التي يولد عليها الإنسان، وهذا ما دفع النَّبي نوح عليه السلام إلى الدّعاء بأن لا يبقى للكافرين باقية.

العوامل المرتبطة بالأسرة:

من الأمور التي تهيّئ الأرضيَّة المناسبة لارتكاب المعاصي هي التَّربية التي يتلقّاها الطِّفل من أبويه، ففي الحديث عن النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله: «**كل مولود يولد على الفطرة، حتَّى يكون أبواه يهودانه أو ينصّرانها**»[3]. فالأسرة الملوّثة بالذنوب والآثام تؤثّر سلباً في سلوك الأبناء وأخلاقهم، وكذا الأسرة الطَّاهرة لها الأثر البالغ في اجتناب أبنائها للذُّنوب والمعاصي. ولهذا فالأسرة هي اللَّبِنَة الأولى في بناء المجتمع وترشيده، ولها الدور الكبير في دَرْء الانحرافات التي قد يصاب بها الأبناء في المستقبل.

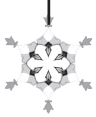

١- الأعراف، ١٢٧.
٢- نوح، ٢٦-٢٧.
٣- بحار الأنوار، ج٣، ص٢٨١.

فالتوجيه العقائدي والقيمي والأخلاقي يبدأ من الأسرة، ففيها يتعلَّم الأطفال التمييز بين الحقّ والباطل، وبين الخير والشرّ، لذا على الآباء والأمهات تجاه أبنائهم الالتفات إلى الأمور الآتية:

١. عامل القدوة الحسنة، وذلك بأن يلتفتَ الآباءُ إلى ضرورة تربية أنفسهم أولاً؛ لكونهم القدوةُ والمثلُ الأعلى الأوَّل لأبنائهم.

٢. تعريفهم على الحقّة.

٣. تعليمهم القرآن الكريم، وتأديبهم بآدابه.

٤. التّعريف بأهل البيت عليهم السلام، من خلال ذكر أخلاقهم وفضائلهم ومقاماتهم عند الله سبحانه وتعالى.

٥. التَّنشئة على حبّ النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام.

٦. التّهيئة الروحيّة والفكريّة للتّمهيد لدولة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

٧. بثّ الشعور بالمراقبة الإلهيّة في نفوسهم.

٨. تعويدهم على مبدأ المراقبة الذاتية.

٩. تحذيرهم من المعاصي، وبيان مدى خطورتها على الفرد والمجتمع.

١٠. القيام بكلّ البرامج الوقائيّة اللازمة لتفادي وقوعهم في شرك الذّنوب والمعاصي.

١١. المبادرة لإجراء العلاج التّربوي الصَّحيح في حال ارتكاب الأبناء للذنوب أو تعرُّضهم للانحراف.

١٢. حثّهم على أداء الواجبات الدِّينية، واصطحابهم منذ الصغر إلى أماكن العبادة.

١. يوجد أسباب عديدة ومتنوّعة هي خارج إرادة الإنسان واختياره، وهي تقوم بتهيئة الأرضية للذنب، كعامل الوراثة والتربية والبيئة المحيطة.

٢. تلعب العوامل الثقافية والتربويّة دوراً أساسياً في تهيئة الأرضيَّة والبيئة الصَّالحة أو الفاسدة التي تنعكس إيجاباً أو سلباً على أخلاق الإنسان وسلوكه.

٣. الجهل مصدر لكل المفاسد الفردية والاجتماعية، وما لم تُستأصل هذه الآفة لن يتسنّى للفضيلة أن تسود، ولن يتحقّق المجتمع الإنساني المنشود.

٤. التَّقليد الأعمى هو أحد شُعب الجهل، وهو من الأمور التي تهيّئ الأرضية المناسبة للارتكاب الذُّنوب.

٥. رفقاء السوء، والإعلام المضلِّل، والقيادة غير الحكيمة من العوامل الاجتماعية التي تمهِّد الأرضية السيّئة لارتكاب المحرّمات الإلهية.

٦. من الأمور التي تهيّئ الأرضيَّة المناسبة لارتكاب المعاصي هي التَّربية التي يتلقّاها الطِّفل من أبويه، فالأسرة السيّئة تؤثّر أثراً سيّئاً في سلوك الأبناء وأخلاقهم.

إشاعة الفحشاء من أعظم الكبائر

إن كل ما ذكر واعتبر ممنوعاً، لا علاقة له بالقضايا المرتبطة بالمؤامرات والجماعات المعارضة للإسلام ونظام الجمهورية الإسلامية، والتي تلتقي في الأوكار السرية للتخطيط لإسقاط نظام الجمهورية الإسلامية واغتيال الشخصيات المجاهدة والناس الأبرياء في الشارع والسوق، وكذلك التخطيط للأعمال التخريبية والإفساد في الأرض ومحاربة الله ورسوله. بل ينبغي التصدي لكل هؤلاء بحزم وقوة أينما وجدوا بما في ذلك المراكز الحكومية والأجهزة القضائية والجامعات وغيرها. ويجب العمل باحتياط تام ووفقاً للمعايير الشرعية وبما ينسجم مع توجيهات القضاة والمحاكم، لأن تعدي الحدود الشرعية غير جائز حتى بالنسبة لأمثال هؤلاء، مثلما أن المسامحة والتساهل غير مقبولين أيضاً. ويجب على الجميع الالتزام بالضوابط والمعايير المنصوص عليها ومراعاة الأحكام الشرعية.

وقد تم التأكيد مراراً بأنه إذا ما تم الدخول خطأ إلى منزل أو مكان عمل شخص ما بدافع الكشف عن الأوكار السرية ومراكز الفساد والتجسّس ضد الجمهورية الإسلامية، وعثر هناك على وسائل اللهو والقمار والفحشاء وغيرها من الأمور المنحرفة كالمخدرات، فلا يجوز إفشاء ذلك للآخرين، لأن إشاعة الفحشاء تعتبر من أعظم الكبائر، ولا يحق لأحد انتهاك حرمة المسلم وتجاوز الضوابط الشرعية. وإنما يجب العمل فقط بواجب النهي عن المنكر بالنحو الذي نصّ عليه الإسلام ولا يحق لهم اعتقال أصحاب المنزل وسكنته أو ضربهم وشتمهم، وإنّ تعدّي الحدود الإلهية يعتبر ظلماً يوجب التعزير وأحياناً القصاص.

غير أن الذين يتضح من عملهم المتاجرة بالمخدرات وتوزيعها بين الناس، فهم بحكم المفسد في الأرض ومصداقاً للساعي في الأرض للإفساد وإهلاك الحرث والنسل، ولا بد من تقديمهم للسلطات القضائية فضلًا عن مصادرة ما تم كشفه[1].

١- صحيفة الإمام الخميني،ج١٧،ص١٢٢.

المحور الثاني:

آثار الذّنوب

الكفايات:

١. التعرّف على أهمّ الآثار المترتّبة على الذّنوب التي تظهر في عوالم الوجود الثّلاث: عالم الدُّنيا، عالم البرزخ، عالم الآخرة.

٢. بيان الصّلة الوثيقة بين الذّنوب وآثارها السَّلبيّة والخطيرة في الدُّنيا؛ لتشكّل رادعاً يحول دون التّساهل بها في دار الدُّنيا.

٣. التَّركيز في الآثار على الجوانب الابتلائية التي تمَسّ حياة الإنسان الإيمانيّة في علاقته مع الله، وحياة الإنسان الأخرويّة في الدّار الآخرة.

المحتويات:

الدَّرس السادس: آثار الذّنوب في الدُّنيا (١).

الدَّرس السابع: آثار الذّنوب في الدُّنيا (٢).

الدَّرس الثامن: الآثار البرزخية للذّنوب.

الدَّرس التاسع: الآثار الأخروية للذنوب.

الدَّرس السَّادس:

آثار الذّنوب في الدُّنيا (1)

أهداف الدَّرس:

أن يكون الطالب مع نهاية الدَّرس قادراً على أن:

١. يبيّن معنى الذنوب في الدنيا وحقيقتها.

٢. يتعرَّف على بعض الآثار العامة للذنب في الدُّنيا.

٣. يحدّد أهميّة ترك الذنوب من خلال بيان آثارها السَّلبيّة.

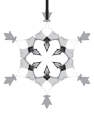

المراحل الثلاث للعمل:

إنّ مخالفة الإرشادات الصحيّة التي يصفها الطّبيب، وعدم اعتماد العلاج المناسب يؤدّيان إلى ظهور آثار وعوارض على صحة الإنسان قد تودي بحياته. وكذا مخالفته للأوامر الربّانية وارتكابه للذّنوب فإنَّهما يؤدّيان إلى ظهور آثار وعوارض على صحّته النَّفسيّة.

ولتوضيح هذه الفكرة أكثر نقول: إنّ ارتباط الإنسان بأعماله السيِّئة أو الحسنة يمرُّ بمراحل ثلاث، هي[1]:

المرحلة الأولى: الحال

ونعني بها حصول حالة معينة لدى الإنسان بعد قيامه بعمل ما، لكن سرعان ما تزول هذه الحالة بزوال المؤثّر. من قبيل أن يسمع الإنسان موعظةً في المسجد، أو كلمةً حماسيَّةً، فتحصل لديه رغبة في الإنفاق أو الجهاد أو غير ذلك، ولكنّها سرعان ما تزول بمجرَّد خروجه من المسجد، ومرور فترةٍ زمنيّةٍ قصيرةٍ على الموعظة.

المرحلة الثّانية: الملكة

ونقصد بها اشتداد الحالة السَّابقة وقوّتها في نفس الإنسان بحيث يتعسَّر زوالها، كملكة الشَّجاعة في الشُّجاع، وملكة العدالة في العادل. وإذا تزلزلت هذه الملكات فإنّها سرعان ما تعود.

المرحلة الثالثة: الاتّحاد

وهي المرحلة التي تكون فيها الملكة جزءاً من وجود الإنسان بحيث لا يمكن زوالها منه، وهي أول درجات العصمة، ولذا لا يمكن تصوُّر صدور المعصية من المعصوم؛

١- التّربية الروحية، ص ١٤٠- ١٤٤ (بتصرف).

لأنّ ملكة العدالة قد اشتدّت فيه حتّى صارت جزءاً من وجوده المبارك.

فارتباط الإنسان بعمله يمرّ بهذه المراحل الثلاث، والإنسان في أيّ مرحلة كان، فإنّ لعمله ظاهرٌ وباطنٌ، فأكل مال اليتيم قد يبدو في ظاهره مصدرَ نفْعٍ لمرتكبه، ولكنّه في باطنه «نارٌ»، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾[1]، وإذا افترضنا أنّ هذا الجزاء صار جزءاً من وجود الإنسان فسيكون هو قطعةُ نارٍ وسيدخل النّار خالداً فيها.

فذنوب الإنسان حينما تكون «حالاً» قد يكفي في عقابه ضغطة القبر أو عذاب البرزخ، فيَطْهُر من تبعات ذنوبه ليأتي يوم القيامة وهو طاهرٌ، أمّا إذا اشتدَّت هذه الحالة وتحوَّلت إلى «ملكة» فقد لا تكفي ضغطة القبر ولا عذابات البرزخ كلُّها لتطهيره، بل لا بدَّ من أن يدخل النّار يوم القيامة لكي يَطَّهر بها إن كان موحِّداً. وهكذا بمقدار اشتداد الملكات الطالحة فينا وتراكم الأعمال السيّئة، يتحدّد مقدار عذابنا من حيث الشدّة وطول المدّة.

آثار الذنوب العامّة:

إنّ لكلّ ذنبٍ من الذُّنوب آثاراً، ولكن تارةً نتحدَّثُ عن الآثار التي وضعتها وحدَّدتها الشَّريعة المقدَّسة، كمن يشرب الخمر فإنه يجلد، والسارق تقطع يده، وهكذا، وهذا ما يتحدّث عنه الفقهاء، ونجده في الرسائل العملية، ونطلق عليه اسم الآثار الشرعيّة، والتي ليست مورد بحثنا.

وأخرى نتحدّث عن الآثار الوضعيَّة التكوينيَّة، وهي المقصودة في هذا البحث.

ومن خلال ما تقدّم نستنتج الآتي:

١. إنّ آثار الذّنوب تحصل بمجرد ارتكابها؛ لأنّ الجزاء هو باطن العمل.

٢. إنَّ تخلُّص الإنسان من آثار الذنوب وتبعاتها مرتبطٌ بنوعيَّة علاقته بذنبه كونها «حالاً، ملكةً، أو اتحاداً».

٣. إنّ الذّنوب تؤثِّر على باطن الإنسان وقلبه.

٤. إنّ طبيعة آثار الذّنوب تختلف من عالَم إلى عالَم، فعندما نقول إنّ الذَّنب الفلاني له أثر، فلا بدّ من تحديد طبيعة العالَم الذي نتحدّث عنه، فمن آثار الذّنوب في الدُّنيا مثلاً حرمان العلم أو الرِّزق وغيرها من الأمور التي تتناسب مع طبيعة

١- النساء، ١٠.

عالم الدُّنيا، أمّا آثار الذّنوب في عالم البرزخ فإنّها تتناسب مع طبيعة ذلك العالم، كوحشة القبر وظلمته والمساءلة فيه الخ. وأيضاً آثار الذّنوب في الآخرة تتناسب مع طبيعة عالم الآخرة، من غضب الله، والحسرة والندامة، والعمى يوم القيامة الخ.

وفيما يلي نشرع في بيان بعض الآثار الخطيرة للذنوب في الدُّنيا، وهي:

1- الفساد في الأرض:

قال الله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[1].

من آثار الذّنوب والمعاصي أنّها تُحْدِث في الأرض أنواعاً من الفساد في الماء والهواء والزّرع والثّمار وغير ذلك. فالآية الكريمة تدعو للاتّعاظ بما حلَّ بالأمم السَّابقة من المصائب التي ما كانت إلا بما كسبت أيديهم، من الفساد والذّنوب والآثام، فيوشك أن يحلّ بالمخاطبين مثل ما حلّ بأولئك.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**ما من سنة أقلّ مطراً من سنة، ولكنّ الله يضعه حيث يشاء. إنّ الله عزّ وجلّ إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدّر لهم من المطر في تلك السنة إلى غيرهم، وإلى الفيافي والبحار والجبال، وإنّ الله ليعذّب الجُعَلَ[2] في جحرها بحبس المطر عن الأرض التي هي بمحلّها خطايا من بحضرتها، وقد جعل الله لها السبيل في مسلك سوى محلّة أهل المعاصي. قال: ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: فاعتبروا يا أولي الأبصار**»[3].

ويعلّق العلامة الطباطبائي على الآية الكريمة ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾ بالقول: «الحوادث الكونية تتبع الأعمال بعض التبعية، فجري النوع الإنساني على طاعة الله سبحانه وتعالى وسلوكه الطريق الذي يرتضيه يستتبع نزول الخيرات، وانفتاح أبواب البركات، وانحراف هذا النوع عن صراط العبودية وتماديه في الغيّ والضلالة وفساد النيّات وشناعة الاعمال يوجب ظهور الفساد في البر والبحر، وهلاك الأمم بفشو الظلم وارتفاع الأمن وبروز الحروب وسائر الشرور الراجعة إلى الإنسان وأعماله، وكذا ظهور المصائب والحوادث المبيدة الكونية كالسيل والزلزلة

١- الروم، ٤١.

٢- الجعل، هي الحرباء.

٣- أصول الكافي، ج٢، ص٢٧٢.

والصاعقة والطوفان وغير ذلك، فالأمّة الظالمة إذا انغمرت في الرذائل والسيئات أذاقها الله وبال أمرها، وآلَ ذلك إلى إهلاكها وإبادتها...»[1].

2- نزول العذاب الإلهي:

يعتمد القرآن الكريم في طرقه وأساليبه التَّربوية المتعدِّدة طريقةَ ربط الماضي بالحاضر؛ لأنَّ الارتباط بين هذين الزَّمنين يوضِّح الحقائق التاريخيَّة، ويكشف عن مسؤولية الأجيال القادمة، ويوقفها على واجباتها تجاه خالقها اعتبارها بما حصل في الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾[2]، وهذا يعني أن لله في الأمم سنناً عامّة لا تختصّ بهم، إذ هي تجري على الحاضرين كما جرت على الماضين سواء بسواء، وهي سننٌ للتقدّم والبقاء، وسنن للتّدهور والاندحار، التقدّم للمؤمنين المجاهدين الواعين لقداسة عملهم وأهميّة جهادهم، والاندحار والتَّدهور للأمم الكافرة، والأمم البعيدة عن عزّ الجهاد المقدَّس، والغارقة في الذّنوب والآثام.

وقد ورد في القرآن الكريم آياتٌ تشيرُ بشكلٍ واضحٍ إلى وجود نوعٍ من الارتباط الوثيق بين الأعمال والذّنوب التي يقترفها الإنسان، وبين المصائب والابتلاءات التي تصيبه بسبب تلك الأعمال، قال الله تعالى: ﴿**وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْديكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثيرٍ**﴾[3]، وقال تعالى في آية أخرى ﴿**وَلا يَزالُ الَّذينَ كَفَرُوا تُصيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَةٌ[4] أَوْ تَحُلُّ قَريباً مِنْ دارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْميعادَ**﴾[5].

روي عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية، قال: «وهي النقمة، «أو تحلّ قريباً من دارهم «فتحلّ بقوم غيرهم فيرون ذلك ويسمعون به، والذين حلّت بهم عصاة كفّار مثلهم، ولا يتّعظ بعضهم ببعض، ولا يزالون كذلك حتَّى يأتي وعد الله الذي وعد المؤمنين من النصر ويخزي الله الكافرين»[6].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أنواعاً متعدِّدة من العذاب،

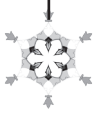

١- راجع: الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص١٨١.
٢- آل عمران، ١٣٧.
٣- الشورى، ٣٠.
٤- القارعة، الداهية المهلكة، وهي النازلة التي تزعج النّعمة.
٥- الرعد، ٣١.
٦- تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٥٠٧.

نزلت على الأقوام السابقة والقرى؛ جرّاء تماديهم في الذّنوب والمعاصي، ممّا جعلهم يستحقون ألوان العذاب.

نعرض فيما يأتي نماذج من هذه الابتلاءات:

قال الله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْرا**﴾[1].

وقال الله تعالى في وصف عذاب قوم نبي الله نوح عليه السلام: ﴿**وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً**﴾[2].

وكذا حينما ذكر عذاب قوم سبأ بالسيل والطوفان فقال: ﴿**فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ**﴾[3].

ومنها أيضاً ما عذّب الله تعالى به قوم عاد لما كفروا بربّهم: ﴿**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**﴾[4]، ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً...**﴾[5].

وعذاب قوم صالح عليه السلام بالصيحة: ﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾[6]، ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ**﴾[7].

ومنها الخسف أيضاً وهو الذهاب في الأرض. وهو العذاب الذي عذّب الله به قارون لما بغى وأفسد، قال تعالى: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ**﴾[8].

وغيرها من أنواع العذاب الذي نزل على الأقوام السالفة بعد أن أعرضت عن الحقّ وعصت أمره.

١- الطلاق، ٨.
٢- الفرقان، ٣٧.
٣- سبأ، ١٦-١٧.
٤- الحاقة، ٦.
٥- الريح الصرصر: الشديدة الصوت والبرد أو العاتية شديدة العصف.
٦- فصلت، ١٦.
٧- هود، ٦٧.
٨- القمر، ٣١.
٩- القصص، ٨١.

3- حبط الأعمال في الدُّنيا:

قال الله تعالى: ﴿**ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللّهَ وَكَرِهُوا رِضْوانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ**﴾[1].

من الآثار السَّلبيّة والخطيرة للذنوب أنها تحبط الأعمال في الدُّنيا. والحبط هو سقوط ثواب العمل الصالح بالمعصية المتأخّرة، والتكفير عكسه، أي سقوط الذّنوب المتقدّمة بالطاعة المتأخّرة. ومرجع هذه الفكرة هو معرفة مدى التأثير المتبادل بين الأعمال الحسنة والأعمال السيئة، فجميع الأعمال لها تأثير على بعضها، أي أنّ هناك تأثيرٌ وتأثُّرٌ وحبطٌ وتكفيرٌ بصورةٍ مستمرّةٍ.

إنّ رضا اللّه تعالى شرطٌ في قَبول الأعمال، بل وفي كلّ سعيٍ وجهد، وعليه من الطَّبيعي أن تُحبطَ أعمال أولئك الذين يُصرّون على إغضاب اللّه عزّ وجلّ وإسخاطه، ويخالفون ما يرتضيه، ويودِّعون هذه الدُّنيا وهم خالو الوفاض، قد أثقلتهم أوزارهم وأرهقتهم ذنوبهم.

وقد ورد في القرآن الكريم ذنوباً متعدِّدة توجب حبط العمل، نذكر منها على سبيل المثال:

1. الارتداد عن الإسلام: إن الارتداد عن الإسلام يوجب حبط العمل، لأن المعيار الأساسي في قبول الأعمال هو الإسلام، وعندما يرتد الإنسان تسقط جميع أعماله من ميزان القبول، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[2].

2. الشرك المقارن بالعمل: من مصاديق الشرك بالله تعالى هو الشرك بالعمل، وهذا الشرك يؤدّي إلى أن يرتد العمل على صاحبه، ولا أجر لصاحبه إلا ممن عمل له ذلك العمل، قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ**﴾[3]، ﴿**ذلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[4].

3. كراهة ما أنزل الله: إن كراهية ما أنزل الله تعالى هو كراهية لدينه

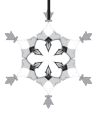

١- محمد، ٢٨.
٢- البقرة، ٢١٧.
٣- الزمر، ٦٥.
٤- الأنعام، ٨٨.

عزوجل، وهذه الكراهية طريق لترك الإنسان الالتزام بالأحكام الإلهية، وبالتالي وقوعه في شرك إبليس وأعوانه، ما يأخذ بيده إلى حبط أعماله عند الله عزوجل، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾[1].

4. الصدّ عن سبيل الله: الصد عن سبيل الله صد عن دينه، وعن طريق الهدى والصلاح، ثم إن أعداء الله وأعداء رسله لا عمل لهم لكي يوضع في الموازين يوم القيامة، بل إن جميع أعمالهم لا قيمة لها يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمالَهُمْ**﴾[2].

هذا بالإضافة إلى أن مخالفة أمر الرسول ﷺ ومشاقّته طريق لحبط الأعمال، لأن مخالفته هي مخالفة لله تعالى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ**﴾[3].

5. الكفر: إن من أهم أسباب الحبط هو الكفر، والكافر الذي سلك سبيل الغي، وسبيل البعد عن الله سبحانه وتعالى، أعماله كالسراب الذي يراه السائر عن بعد فيحسبه ماء، فأعماله لا قيمة لها، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ**﴾[4].

6. الإقبال على الدُّنيا والإعراض عن الآخرة: إن التعلّق بالدنيا وإرادتها لذاتها يبعد الإنسان عن ساحة الطاعة الإلهية، وبعده عن تلك الساحة الإلهية هو بعده عن الأعمال المقرِّبة لله عزوجل، فتعلّقه بالدنيا هو بعد عن الله، وبعده عن الله ترك لأوامره، وهذا ما يؤدّي به إلى الانغماس بالمعصية والذنب حتى تحبط أعماله، قال الله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنيا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[5].

١- محمد، ٨-٩.
٢- محمد، ٣٢.
٣- محمد، ٣٢.
٤- المائدة، ٥.
٥- هود، ١٥-١٦.

7. إنكار الآخرة ولقاء الله: إن تكذيب آيات الله تعالى سبب لحبط الأعمال، لأنها إنكار لدين الله عزوجل، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون**﴾[1].

8. النفاق: إن النفاق يحبط العمل، ويميث الإيمان من القلب، قال الله تعالى: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ**﴾[2].

قساوة القلب:

قال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...**﴾[3].

إنّ قسوة القلب وذهاب اللين والرحمة والخشوع مرض خطيرٌ جداً، قد ذم الله عليه بعض الأمم السابقة كبني إسرائيل، وإنّ صاحب القلب القاسي أبعد ما يكون عن الله تعالى، وصاحبه لا يميِّز بين الحقّ والباطل، ولا ينتفع بموعظة ولا يقبل نصيحة.

فالقلب إذا صَلُح استقام حال العبد، وصحَّت عبادته، وصار يعيش في سعادة وهناء، وذاق طعم الأنس ومحبة الله ومناجاته، ولكن إذا قسا القلب وأظلم، فسُد حال العبد، وخلت عبادته من الخشوع، وغلبت عليه مظاهر وآثار متعدِّدة، فتراه لا يخشع في صلاته وعبادته ولا يتأثّر بقراءة القرآن، ولا تنفعه المواعظ ولا يتأثَّر بها، ويحسّ بضيقٍ شديدٍ وفقرِ نَفْسٍ رهيب، حتَّى لو ملك الدُّنيا بأسرها.

رُوي عن رسول الله ﷺ: «**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنّ كثرة الكلام بغير ذكر الله يقسّي القلب، وإنّ أبعد النَّاس من الله القاسي القلب**»[4].

وعنه ﷺ قال: «**يا علي ثلاث يقسّين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان**»[5].

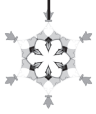

١- الأعراف، ١٤٧.
٢- المائدة، ٥٣.
٣- البقرة، ٧٤.
٤- بحار الأنوار، ج٩٠، ص١٦٤.
٥- مستدرك سفينة البحار، ج٨، ص٥٢٧.

وروي عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «**ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إنّ القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتَّى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله**»[1].

إنّ تراكم المعاصي وظلمتها على قلب الإنسان يصيّره طبعاً له؛ لأنّ الذّنوب لها ظلمات إنْ تراكمت صارت ريناً، كما قال تعالى: ﴿**كَلاَ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[2].

(ران): من (الرين) على وزن (عين)، وهو: الصدأ يعلو الشيء الجليل (كما يقول الراغب في مفرداته)، ويقول عنه بعض أهل اللغة: إنه قشرة حمراء تتكون على سطح الحديد عند ملامسته لرطوبة الهواء، وهي علامة لتلفه، وضياع بريقه وحسن ظاهره. وقيل: ران عليه: غلب عليه، ورين به: وقع في ما لا يستطيع الخروج منه ولا طاقة له به[3].

وإذا صارت هكذا طُبع على قلب الإنسان، وهذا ما قد يُعبّر عنه بالقلب الأسود أو المنكوس وغير ذلك. إذ يصبح هذا القلب قابلاً لكلّ أنواع الضلالة والانحراف؛ فلو فرضنا أنّ فيه نوراً ما، فإنّ ارتكابه الذّنوب ينزع من قلبه النّور، ولا يعود قابلاً لتلقّي الحقّ أبداً، بل يخرج منه ما كان فيه من الحقّ فيصبحُ خالياً قابلاً لكلِّ ضلالةٍ وانحراف؛ لأنَّها من سنخه المظلم.

ولذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا أذنب الرجل خرج من قلبه نكتة**[4] **سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت حتَّى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً**»[5].

وروي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما جفّت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قسّت القلوب إلا لكثرة الذّنوب**»[6].

١- أصول الكافي، ج٢، ص٢٦٨.
٢- المطففين، ١٤.
٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٢٠، ص٢٧.
٤- النكتة، النقطة، وكل نقطة في شيء بخلاف لونه فهي نكتة.
٥- أصول الكافي، ج٢، ص٢٧١.
٦- وسائل الشيعة، ج١٦، ص٤٥.

١. ارتباط الإنسان بعمله يمرّ بثلاث مراحل هي؛ الحال والملكة والاتحاد، وتخلُّص الإنسان من تبعات ذنوبه مرتبطٌ بنوعيَّة علاقته بذنبه كونها «حالاً، ملكةً، أو اتحاداً».

٢. للذنوب تبعات وآثار شرعية حدّدت أحكامها الشريعة، وآثار تكوينية في الدنيا والآخرة.

٣. من الآثار التكوينية للذنوب في الدنيا أنها عامل جوهري وأساسي في إفساد الأرض وخرابها.

٤. يوجد ارتباط وثيق بين الأعمال والذّنوب التي يقترفها الإنسان، وبين المصائب والابتلاءات التي تصيبه بسبب تلك الأعمال في الحياة الدنيا.

٥. من الآثار السَّلبيّة والخطيرة جداً للذنوب أنها تحبط الأعمال في الدُّنيا، بمعنى أنها تكون سبباً لسقوط ثواب العمل الصالح بسبب اقتراف المعاصي اللاحقة.

٦. صلاح دين الإنسان بصلاح نيته وقلبه، والأعمال السيئة تترك آثراً بالغاً على قلب الإنسان، حتى إذا تراكمت هذه السيئات وكثرتها تورث القلب الظلمة والقسوة.

وسوسات شيطانية

إنَّ الشّيطان يطردنا نحن الشيوخ بسلاح اليأس من الحضور وذكر الحاضر فوسوس لنا بأن الوقت قد فاتنا وأننا لا يمكن أن نصلح، وأن أيام الشباب التي هي وقت الزراعة والحصاد قد ولّت، وأن القدرة على الإصلاح قد فقدت في سني ضعف الشيخوخة، وأن جذور الأهواء والمعاصي قد نفذت في جميع أركان الوجود وترسخت وجعلتك لا تليق بمحضره- جل وعلا- وأن الأوان قد فات، فالأفضل أن تستغلَّ الدُّنيا أقصى الاستغلال في هذه الأيام القليلة من نهاية عمرك.

وقد يتصرّف الشيطان معنا نحن الشّيوخ كما يتصرّف معكم، فيقول لكم إنكم شباب وان فصل الشباب هذا هو وقت التمتّع والتلذّذ، فاشبع شهواتك، وفي أواخر العمر سيكون طريق التوبة وباب الرحمة مفتوحين إن شاء الله، والله أرحم الراحمين، وكلما كانت الذنوب أكبر وأكثر فإن الندم والرجوع إلى الحق في آخر العمر سيكونان أكثر وسيزداد التوجّه إلى الله تعالى والاتصال به -جل وعلا-، فما كان أكثر الناس الذين يتمتّعوا كثيراً في شبابهم ولكنهم أمضوا بقية العمر في سني الشيخوخة في العبادة والذكر والدعاء وزيارة الأئمة عليهم السلام والتوسّل بشفاعتهم ورحلوا عن هذه الدنيا سعداء. وهو يوسوس لنا نحن الشيوخ مثل هذه الوساوس أيضاً قائلاً لنا أن ليس من المعلوم أنَّكم سوف تموتون بهذه السرعة، وأنَّ هناك فرصة، فتب في الأيام القليلة المتبقية من العمر، ثم إنَّ باب شفاعة النبي صلى الله عليه وآله مفتوحٌ وإن المولى أمير المؤمنين- عليه السلام- سوف لا يسمح بأن يعذّب محبوه وأنك سوف تراه عند الموت وسوف يأخذ بيدك وما إلى ذلك من أقاويل كثيرة يلقيها في أذن الإنسان[1].

١- صحيفة الإمام الخميني،ج١٦،ص١٦٨.

الدَّرس السَّابع:

آثار الذّنوب في الدُّنيا (2)

أهداف الدَّرس:

أن يكون الطالب مع نهاية الدَّرس قادراً على أن:

١. يستنتج العلاقة بين ارتكاب الذّنوب ونزول العذاب والحرمان في الدُّنيا.

٢. يذكر بعض الآثار الدنيوية للذنوب.

٣. يبيّن أثر الذَّنب في الدُّنيا في الميادين العبادية والجهادية للإنسان.

في سياق ذكر الآثار العامَّة للذُّنوب في الحياة الدُّنيا، نكمل في هذا الدَّرس ذكر بعض الآثار المترتِّبة على اقتراف الذّنوب والمعاصي، فنذكر منها:

زوال النِّعمة:

«النِّعمة: هي الحال الحسن والعيش الرَّغيد، ونعمة العيش حسنه ونضارته، وزوالها عقوبة إلهية لمن لا يشكر الله على النِّعمة والعطاء، وارتكاب الذّنوب بشكلٍ عام يؤدِّي إلى زوال هذه النِّعمة، وإن كان هناك ذنوبٌ خاصَّة توجب تغيير النِّعمة مثل البغي على النَّاس، وترك اصطناع المعروف وكفران النِّعم وترك الشّكر»[1]، وهو ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل: «**اللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ العِصَمَ، اللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النِّقَمَ، اللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ**»[2].

فالله تعالى بمقتضى عدله المطلق وقصده في حكمه لا يغيِّر نعمةً أنعمها على أحدٍ ولا يسلبها أحداً إلا بسبب ذنبٍ ارتكبه، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[3].

قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[4].

١- معاني الأخبار، ص ٢٦٩.
٢- إقبال الأعمال، ج٣، ص٣٣٢.
٣- الأنفال، ٥٣.
٤- الأعراف، ٩٦.

روي عن الإمام علي عليه السلام: «**ما زالت نعمةٌ ولا نضارةُ عيشٍ إلا بذنوب اجترحوا، إنّ الله ليس بظلامٍ للعبيد، ولو أنّهم استقبلوا ذلك بالدّعاء والإنابة لم تزل**»[1].

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فسلبها إياه حتّى يذنب ذنباً يستحقّ السَّلب**»[2].

وقد ورد في بعض الرّوايات أنّ بعض الذّنوب قد توجب حبس المطر، ومن هنا تحدّث الفقهاء عن استحباب صلاة الاستسقاء، ومن ضمن آدابها ومستحبَّاتها خروج النَّاس كافَّةً إلى الصَّلاة.

فقد ورد أنّ النبي سليمان عليه السلام خرج ليستسقي، فرأى نملةً قد استلقت على ظهرها، وهي تقول: «اللهم إنّا خلقٌ من خلقك، لا غنى لنا عن رزقك، فلا تهلكنا بذنوب بني آدم»، فقال لها سليمان عليه السلام: «**ارجعوا؛ فقد سقيتم بغيركم**»[3].

وروي عن الإمام علي عليه السلام: «**ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم فيها إلا كان حقيقاً أن يزيلها عنه**»[4].

الحرمان من الرِّزق:

كما إنّ الطاعة مجلبةٌ للرزق، فإنّ الذنوب والمعاصي تمنع الرزق وتحبسه، وإذا بسط الله تعالى الرِّزق لمن عصوه فقط، فإن ذلك من باب الإمهال والاستدراج، إذ يقول تعالى: ﴿**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهينٌ**﴾[5].

على أنّه هناك فرقٌ كبيرٌ بين الرِّزق للمؤمن والرِّزق لغير المؤمن؛ لأنّ العبرة في البركة لا في الكثرة، فالمتأمِّل في حياة النَّاس يجدُ السَّعادة مع البركة وإن كان الرِّزقُ يسيراً، والشَّقاء هو مَحْقُ البركة وإن بلغ في الغنى ما بلغ، وعليه فإنّ الذّنوب قد تؤدّي إلى حرمان الرِّزق.

١- وسائل الشيعة، ج٥، ص١٧٨.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص٢٧٤.
٣- الكافي، ج٨، ص٢٤٦.
٤- بحار الأنوار، ج١٤، ص٩٤.
٥- آل عمران، ١٧٨.

وينبغي الالتفات إلى:

أنّ المقصود من الرِّزق المفهوم العام الذي يشمل الرِّزق المادّي والمعنوي، فقد يُحرَمُ الإنسان بسبب ذنوبه الرِّزق المادّي، وقد يُحرم الرِّزق المعنويّ الذي هو في كثيرٍ من الأحيان أهمّ من الرِّزق المادّي، بل هو أساس وجوده، كالحفظ، والأمن، والتَّسديد الإلهيّ، وغير ذلك.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ المؤمن ليأتي الذَّنب فيحرم به الرِّزق**»[1].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ العبد ليذنب الذَّنب فَيُزْوَى عنه الرِّزق**»[2].

وقد يكون انزواء الرِّزق أو تقتيره من باب العقوبة أو تكفير الذَّنب؛ لأنّ الحكمة الإلهية اقتضت تطهير المذنب بالمصائب والبلايا، وصرف الرِّزق من أعظم المصائب.

نسيان العلم:

إنّ نسيان العلم لعلّه من أصعب العقوبات التي تصيب أرباب العلم؛ لأنّ العلم -كما تعبّر بعض الروايات- هو نورٌ يقذفه الله في القلوب العامرة بطاعته، المنيبة إليه، والمعصية ظلمةٌ، ولا تنسجم الظّلمة مع النّور. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اتّقوا الذّنوب؛ فإنّها ممحقة للخيرات، إنّ العبد ليذنب الذَّنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه**»[3].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «**ليس العلم بالتعلّم، إنّما هو نورٌ يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه**»[4].

فالعلم على حدّ تعبير الإمام عليه السلام نورٌ يقذفه الله تعالى أو يقع في القلب، والمعصية ظلامٌ يطفئ ذلك النّور، فإذا أكرم الله تعالى العبدَ بنور العلم، فينبغي عليه أن لا يطفئه بظلمة المعصية.

١- الكافي، ج٢، ص٢٧٠.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص٢٧٠.
٣- بحار الأنوار، ج٧٠، ص٢٧٧.
٤- بحار الأنوار، ج١، ص٢٢٥.

نقصان العمر:

وقد تحدّثت بعض الرّوايات عمّا يوجب زيادة العمر والرِّزق ونقصانهما وعدم البركة فيهما، كبرِّ الوالدين وعقوقهما، وصلة الرحم وقطيعتها، روي عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**من يموت بالذّنوب أكثر ممن يموت بالآجال، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار**»[1].

فالله تعالى إذا أنعم على مجتمع أو فرد نعمة زيادة العمر، فذلك من أجل التكامل المعنوي والاستفادة من نعمة الحياة. فالحياة على قسمين: حياة الأبدان، وحياة القلوب، وعمر الإنسان الحقيقي ليس إلا أوقات طاعته وارتباطه بالله تعالى، وبالتقوى تزيد هذه الساعات التي هي عمره الأصلي، وإذا أعرض عن الله واشتغل بمعاصيه ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية، فالمعاصي تؤثّر على حياة الأبدان كما تؤثّر على حياة القلوب.

موت الفجأة:

من آثار الذّنوب أيضاً «موت الفجأة»، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة...**»[2]، وعنه صلى الله عليه وآله: «**إنّ موت الفجأة تخفيفٌ عن المؤمن، وأخذة أسف[3] عن الكافر**»[4]. إنّ الذّنوب بشكلٍ عام ممحقةٌ لبركة العمر، وبركة الرِّزق، وبركة العمل، فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله، وما مُحقت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق، وترك المعاصي والذّنوب سببٌ من أسباب نزول البركات.

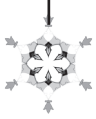

١- الكافي، ج٥، ص١٤٠.
٢- أصول الكافي، ج١، ص٣٧٤.
٣- أخذة أسف أي أخذة غضب.
٤- أصول الكافي، ج٢، ص١١٢.

عدم استجابة الدُّعاء:

فقد ورد في دعاء كميل: «**اللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ الدُّعاءَ. اللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الّذنُوبَ الّتي تُنْزِلُ البَلاَء**»[1].

إنّ الذّنوب مانعةٌ من استجابة الدُّعاء، كما في الحديث المروي عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «**إنّ العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً، فيقول الله تبارك وتعالى للمَلَك: لا تقضي حاجته واحرمه إيّاها؛ فإنّه تعرّض لسخطي واستوجب الحرمان مني**»[2].

«هذا يعني أنَّ للذّنوب والأعمال الخارجة عن طور الشَّريعة تأثيراً في سلب الرَّحمة؛ وذلك لأنّ الفيض الإلهي لا بُخْلَ ولا مَنْعَ من قِبَلِه، وإنّما ذلك بحسب عدم الاستعداد، وظاهر أنّ المذنب معرضٌ عنه غير معترض لرحمته، بل مستعد لضدّ ذلك أعني سخطه وعذابه، فاستحقّ بذلك أن لا ينال رحمته ويُحرم من الإجابة»[3].

ويحتمل أن يكون كلّ ذنب بنفسه مانعاً لقبول الدعاء، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[4]، وروي في نزول الآية أنّ أعرابياً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: أقريب ربك فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت الآية الكريمة. والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله، والتقدير: ﴿**فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾، وهو تعبير لكمال علمه بأفعال العباد، واطّلاعه على أحوالهم، فإذا سألك عبادي عنّي من جهة قُربي وبُعدي، فقل: إنّي عليمٌ أعلم دعاءكم، ولو كان في غاية الخفاء.

وفي الآية الكريمة تحريضٌ على الدُّعاء والتَّرغيب في التِّكرار، وتعريف الدَّاعي بالألف واللام إشارة إلى داعٍ خاص، وهو الذي يدعو متيقناً للإجابة ويطلب ما له فيه المصلحة[5]. وعليه فإنّ من أهم شروط الداعي عدم ارتكاب الذَّنب، وبعبارة

١- إقبال الأعمال، ج٣، ص٣٣٢.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص٢٧١.
٣- شرح أصول الكافي، ج٩، ص٢٤٨.
٤- البقرة، ١٨٦.
٥- راجع: زبدة البيان، ص١٦٧.

أخرى: إنّ مقتضي الإجابة - وهو مجرّد الدعاء - موجودٌ، ولكنّ المانع قد يمنع من تأثير المقتضي، والمانع في المقام هو الذّنب.

ذهاب الحياء:

الحياء هو: «الامتناع من الفعل مخافة أن يُعاب على فاعله»[1]. وقيل: «هو انقباض النَّفس عن القبيح مخافة الذمّ»[2].

الحياءُ في الإنسان المؤمن هو من أهمِّ وأفضل الأخلاق وأعظمها قدراً وأكثرها نفعاً، وهو الذي يؤدِّي إلى العفّة والعفاف.

ويعتبره العلماء مادّة حياة القلوب، وهو أصل كلِّ خيرٍ، وذهابه ذهاب الخير أجمعه؛ فإنّ حياة القلب هي المانعة من القبائح، بخلاف من لا يمتلك هذه الصّفة فلا حياء يمنعه ولا إيمان يزجره عن فعل القبائح.

روي عن الإمام الكاظم عليه السلام في وصيّته لهشام بن الحكم: «**رحم الله من استحيا حقّ الحياء فحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وذكر الموت والبلى، وعلم أنّ الجنّة محفوفةٌ بالمكاره، والنّار محفوفة بالشهوات**»[3]، والمراد بِـ «ما حوى «في الحديث أي ما حواه الرَّأس من العين والأذن واللسان وسائر الأعضاء، بأن يحفظها عما حرّم الله تعالى، والمراد بالبطن وما وعى، أي ما جمعه من الطَّعام والشراب بأن لا يكون من الحرام، والمراد بالبلى أي الاندراس والاضمحلال في القبر. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إنّ لكلّ دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء**»[4].

١- رسائل المرتضى، ص٢٦٩.
٢- ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، ج٣، ص٤٥٥.
٣- بحار الأنوار، ج١، ص١٤٢.
٤- مستدرك الوسائل، ج٨، ص٤٦٥.

نسيان النَّفس:

من آثار الذّنوب أيضاً نسيان النَّفس؛ لأنَّ من يبتلى بالمعاصي يكون بعيداً عن الله تعالى ويغفل عنه وينساه، فإذا نسي العبدُ الله فإنّ الله سوف يُنْسيه نفسه. وهذا من أعظم العقوبات الدنيوية وأكبر الخسائر الأخروية، بل هي حقيقة البؤس والشقاء. لأنّ كلّ شيء في الوجود متعلِّقٌ بالله تعالى ومحتاج إليه، والإنسان أحد أفراد هذا الوجود ومحتاج إلى الله وصفاته، فإذا نسي الله وصفاته وأسماءه وأفعاله، فمعناه أنّه قد نسي واقعيّته وهُويّته الشخصيّة؛ لأنّها مرتبطةٌ بالله تعالى، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[1]، ﴿**نَسُوا اللّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾[2].

فنسيان الأعمال الخيّرة هو نسيان النَّفس، وقد عبّر الله تعالى عنه بالخسران: ﴿**الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[3].

وقد فُسِّر نسيان النَّفس بأحد معنيين: «إمّا تنسيته نفسه، بمعنى إعراضه عن مصالحها وأسباب سعادتها وفلاحها وطلاحها، كمن له زرع فأهمله ونسيه، واشتغل بغيره، وضيّع مصالحه، وإنّه سيفسد قطعاً، فمن نسي مصالحه الأخروية يكون ناسياً لنفسه. وإمّا أن تكون بمعنى ينسيه عيوب نفسه وآفاتها، فلا يخطر بباله إزالتها وإصلاحها، فطول الأمل ينسي الآخرة - حسب ما ورد في الروايات - لأن طول الأمل يوقع في الأمور الماديّة والانغماس بالشهوات، وهذا يوجب نسيان النَّفس[4].

روي عن الإمام علي عليه السلام: «**من نسي الله سبحانه أنساه الله نفسه وأعمى قلبه**»[5].

١- الحشر، ١٩.
٢- التوبة، ٦٧.
٣- الأنعام، ١٢.
٤- راجع: الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص٢١٩ (بتصرف).
٥- غرر الحكم، ص١٩٠.

عدم التَّوفيق للعبادة:

ينبغي أن تكون حياة الإنسان في طاعة الله؛ لأنّ الله تعالى خلقنا وجعل طاعته طريقاً أساسياً لمعرفته، يقول تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[1]، فهناك تبادلٌ بين ارتكاب المعصية وحرمان الطَّاعة، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**استماع الغناء واللهو ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع**»[2].

وهكذا الذّنوب تؤثّر على الطاعات، فكلّما ازداد العبد معصيةً وبُعداً كلّما تثاقل عن الطاعة وحُرِمَها، وأحبّ المعصيةَ وألِفَها. ولو لم يكن للذَّنب عقوبةٌ وأثرٌ إلا أن يصدَّ عن الطَّاعة لكان في ذلك كفاية لما فيه من الحرمان، روي عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «**إنّ الرجل ليذنب فيحرم صلاة الليل، وإنّ العمل السيّئ أسرع في صاحبه من السكّين في اللحم**»[3]، فشبّه الإمام عليه السلام السيّئة في الرواية بالسكين؛ لسرعة النّفوذ وقوّة التأثير.

الهوان عند الله تعالى:

المعصية هي سبب لهوان العبد على ربّه وسقوطه. فالعصاة هانوا على الله فتركهم في معصيته، ولو عزّوا عليه لعصمهم. وإذا هان العبد على الله تعالى لم يكرِمْه أحدٌ، وإن عظَّمَه النَّاس في الظاهر وذلك إمّا لحاجتهم إليه، أو خوفاً من شرِّه، ولكنّه واقعاً لا يساوي شيئاً في قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾[4]، فالعبد لا يزال يرتكب الذَّنب حتَّى يهون عليه، ويصغر في قلبه، وذلك علامة هلاكه؛ فإنَّ الذَّنب إذا صغُر في عين العبد هلك عند الله.

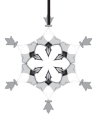

١- الذاريات، ٥٦.
٢- الكافي، ج٦، ح٢٠، ص٤٣٤.
٣- أصول الكافي، ج٢، ص٢٧٢.
٤- الحج، ١٨.

فالذّنوب إذاً هي التي تؤدّي بالعبد إلى الوصول لتلك الحالة من الهوان، وقد ورد في تعقيب الصَّلاة: «وإن أهنتني فمن ذا الذي يكرمني، وإن عذّبتني فمن ذا الذي يرحمني»[1].

الغفلة:

الغفلة لها مفهوم واسع وشامل لموارد كثيرة، فمنها الغفلة عن الله، والغفلة عن يوم القيامة، والغفلة عن وساوس إبليس، وللغفلة عواقب مشؤومة، نذكر منها:

1. تورث قساوة القلب: فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إيّاك والغفلة؛ ففيها تكون قساوة القلب**»[2].

2. تميت القلب: وهي درجة أعلى من القساوة، وفي هذه الصُّورة يوصد باب العودة والإنابة إلى الله تعالى، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «**من غلبت عليه الغفلة مات قلبه**»[3].

3. فساد الأعمال: نجد أحياناً أنّ الأشخاص الذين يعيشون الغفلة عن الله والآخرة لا يتحرّكون في سلوكياتهم في دائرة الخيرات، ولو أنّهم تحرّكوا في هذا السَّبيل فإنّ الغفلة لا تسوّغ لهم أن يتمتّعوا بحالة الإخلاص، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**إياك والغفلة والاغترار بالمهلة؛ فإنّ الغفلة تفسد الأعمال**»[4].

وبالتأمّل جيّداً في الآيات والروايات نلاحظ أنَّ الذّنوب سببٌ أساسٌ للوقوع في الغفلة؛ فهي تورث قساوة القلب؛ وهي الحالة التي يعبّر عنها القرآن بـ «الرّين» أو «الختم» أو «الغُلف»، وذلك إذا تكاثرت الذّنوب على قلب الإنسان. فالذّنوب تورث الغفلة، والغفلة تورث القسوة، والقسوة تورث البعد من الله، والبعد من الله يورث

١- مصباح المتهجد، ص١٩٤٠.
٢- بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٦٤.
٣- شرح غرر الحكم، ج٥، ص٢٩٣.
٤- شرح غرر الحكم، ج٢، ص٣١٢.

النّار. وإنّما يتفكّر في هذا الأحياء، أمّا الأموات فإنّهم قد أماتوا أنفسهم بحبّ الدُّنيا.

عن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ العبد إذا أخطأ خطيئةً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقُل قلبه، وإن عاد زيد حتّى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكره الله، كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**»[1]»[2].

الهزيمة العسكريَّة:

أحد أهم أسباب الهزيمة التي تصيب الأمّة في مقتلها وتؤدّي إلى ضعفها ووهنها هو بُعدٌ كثيرٍ من المسلمين عن دينهم، وانغماسهم بالذّنوب والمعاصي، وعدم اتّحادهم أمام عدوّهم، وعدم توحّدهم تحت قيادة واحدة.

والتاريخ الإسلامي حدّثنا عن نموذجٍ مهمّ وهو معركة أحد، التي انتهت بتحوّل نصر المسلمين إلى هزيمة، والسّبب الرّئيس الذي أدّى إلى ذلك هو المخالفة والمعصية التي ارتكبها بعض الجنود، قال الله تعالى: ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[3]. وقد أخبر الله تعالى في سياق بيان تلك الأحداث في غزوة أحد، فقال: ﴿**...وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنيا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ...**﴾[4]، فالله تعالى يحدّثنا في هذه الآية عن معصية تلك الفئة التي كانت ترمي النبال، وعن عصيان هؤلاء لأمر الوليّ، وما ترتب على هذا العصيان من آثار طالت الجميع.

فالله تعالى يريد أن يقدّم للمسلمين درساً في غاية الأهميّة والخطورة معاً، ألا وهو أنّ انشغال بعضكم بالدُّنيا وتقاسم الغنائم قبل أوانها وترك المواقع وعدم التقيد بأوامر رسول الله ﷺ أدّى إلى الهزيمة، وإلى استشهاد سبعين مجاهداً من

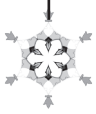

١- المطففين، ١٤.
٢- روضة الواعظين، ص٤١٤.
٣- آل عمران، ١٦٥.
٤- آل عمران، ١٥٢.

صفوة أصحاب رسول الله ﷺ، من بينهم الحمزة (رض) ومصعب بن عمير (رض)، ومخالفة أمر الرسول ﷺ كما هو معلوم ذنبٌ، بل ذنب عظيمٌ سرعان ما ظهرت نتائجه الرهيبة في تلك المعركة وحتَّى ما بعدها من أحداثٍ وبيلة عانى منها كيان الأمة الإسلامية[1].

١- حادثة بئر معونة: «أهل بئر معونة: هم سبعون رجلا من القراء وأصحاب رسول الله ﷺ، وأميرهم المنذر بن عمرو، بعثهم رسول الله ﷺ إلى بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليعلموا الناس القرآن والعلم، فقتلهم جميعا عامر بن الطفيل». بحار الأنوار، ج٢٠، ص٢١، و وكذا في غزوة الرجيع: «فقد بعث رسول الله ﷺ مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن الأقلح وخبيب بن عدي وزيد بن دثنة وعبد الله بن طارق، وأمير القوم مرثد، لما قدم عليه رهط من عضل والديش، وقالوا: ابعث معنا نفرا من قومك يعلموننا القرآن و يفقهوننا في الدين فخرجوا مع القوم إلى بطن الرجيع وهو ماء لهذيل فقتلهم حي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، وأصيبوا جميعاً». بحار الأنوار، ج٢٠، ص١٥٠-١٥١.

١. الله تعالى بمقتضى عدله وحكمته ورحمته الواسعة لا يغيِّر نعمةً أنعمها على أحدٍ أو يسلبها منه إلا بذنبٍ ارتكبه أو معصيته اقترفته يداه.

٢. كما إنّ الطاعة مجلبةٌ للرزق، فإنّ الحرمان من الرِّزق يُعدّ من الآثار المترتبة على الذّنوب.

٣. الذنوب ممحقة للخيرات، وعمر الإنسان والعلم الذي يتعلّمه من أعظم الخيرات وهو نور، بيد أن المعاصي تطفئ هذا النّور، وتورث العاصي النسيان، فينسى العلم الذي كان قد علمه.

٤. الذّنوب تؤثّر على الطاعات، فكلّما ازدادت معاصي العبد قلّت طاعته وتثاقل عنها وحرم من بركاته توفيقاتها، فلا يوفّق للدعاء، أو الصلاة وغيرها من أنواع العبادات.

٥. من العواقب الوخيمة للذنوب أنها تورث الإنسان النسيان والغفلة عن الله تعالى، وكل من يغفل عن الله يقسو قلبه، وكل من ينسى الله ينسيه نفسه ويعمي قلبه.

٦. المعصية هي سبب لهوان العبد على ربّه وسقوطه، وإذا هان العبد على الله تعالى أوكله إلى نفسه وأعدائه.

عدم الانخداع بالشفاعة

بني! لا تُضع الفرصة وأصلح نفسك في الشباب .. على الشيوخ أيضاً أن يعلموا أنَّهم يستطيعون ما داموا في هذا العالم أن يتلافوا الذنوب والمعاصي ولكن الأمر سيخرج من أيديهم إذا انتقلوا من هنا. إن التعلّق بشفاعة الأولياء عليهم السلام والتجرّؤ على المعاصي هما من الخدع الشيطانية الكبيرة. انظروا في حالات أولئك الذين علّقوا الآمال على شفاعتهم، انظروا إلى تأوّهاتهم وأدعيتهم ولواعجهم وخذوا العبر.

وفضلاً عن ذلك فإن من المحتمل أن تكون الشفاعة من نصيب الذين يكون ارتباطهم المعنوي مع الشَّفيع حاصلاً، والذين تكون رابطتهم الإلهية معهم بحيث يكون لديهم الاستعداد لنيل الشفاعة وإذا ما لم يحصل هذا الأمر في هذا العالم فربما يستحقّون الشفاعة بعد التصفيات والتزكيات في عذابات البرزخ، بل جهنم، والله يعلم مقدار أمدهم.

وفضلاً عن ذلك أيضاً، فقد وردت في القرآن الكريم آيات حول الشفاعة إذا أخذناها بنظر الاعتبار فإن من غير الممكن أن يكون هناك اطمئنان للإنسان، كقوله تعالى ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه**﴾ وكقوله ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ وأمثالها. ففي نفس الوقت الذي تكون فيه الشفاعة ثابتة إلا أننا لا نعلم لمن ستكون ولأي جماعة وفي أي ظروف وفي أي وقت، وهو أمر لا يمكنه أن يغري الإنسان ويشجّعه. نعم إن لنا الأمل بالشفاعة ولكن هذا الأمل يجب أن يقودنا إلى طاعة الحق تعالى لا إلى معصيته.

بني! ابذل جهدك من أجل أن لا ترحل عن هذه الدنيا بحق الناس ففي هذه الحالة سيكون أمرك صعباً للغاية. إن حق الله تعالى الذي هو أرحم الراحمين أسهل بكثير من حق الناس. وإنّي أعوذ بالله تعالى من ابتلائي أنا وأنت والمؤمنين في حقوق الناس ولن نكون مدينين للناس المبتلين. وهذا لا يعني أن نتسامح في حقوق الله والمعاصي![1]

١- صحيفة الإمام الخميني، ج١٦، ص١٦٩.

الدَّرس الثامن:

الآثار البرزخية للذنوب

أهداف الدَّرس:

أن يكون الطالب مع نهاية الدَّرس قادراً على أن:

١. يعدِّد أهم الآثار البرزخية للذنوب.

٢. يستدلّ على حتمية ظهور آثار الأعمال الدنيوية في عالم البرزخ.

٣. يحدِّد الأمور المسبّبة والمنجّية لكل من: سكرات الموت، وحشة القبر، ضغطة القبر، المساءلة في القبر.

حقيقة البرزخ:

البرزخ في اللغة: «الحاجز بين الشَّيئين والمانع من اختلاطهما وامتزاجهما»[1].

وقد جاء ذكر البرزخ في القرآن في ثلاثة مواضع، كلّها بالمعنى اللغوي المتقدِّم، قال تعالى: ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ**﴾[2]، و﴿**وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا**﴾[3]، و﴿**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[4].

فالقرآن الكريم أراد من هذا الاستخدام للفظ البرزخ أن يوضح أنّ هناك عالماً آخر يفصل بين الدُّنيا والآخرة، ولا بدّ للإنسان من المرور به كمقدّمة ليوم القيامة، وفي الرِّوايات ورد أنّ البرزخ هو القبر، وأنَّه عالم الثّواب والعقاب بين الدُّنيا والآخرة، روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**البرزخ القبر، وهو الثّواب والعقاب بين الدُّنيا والآخرة**»[5].

ولعالم البرزخ عقبات كثيرة وشديدة يمرّ بها الإنسان، روي عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «**إنّ بين الدُّنيا والآخرة ألف عقبة، أهونها وأيسرها الموت**»[6]، والآثار البرزخية هي تبعات الأعمال وعواقبها وآثارها التي قام بها الإنسان في نشأة عالم الدُّنيا، وذلك حسب ارتباطه، بعمله، وتظهر هذه الآثار بما

١- مجمع البحرين، ج١، ص١٨٦.
٢- الرحمن، ١٩- ٢٠.
٣- الفرقان، ٥٣.
٤- المؤمنون، ١٠٠.
٥- نور الثقلين، ج٣، ص٥٥٣.
٦- من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٣٦٢.

يتناسب مع طبيعة عالم البرزخ، وأنّ هذا العالم (البرزخ) محجوب عن الأحياء، فلو رُفع الحجاب لرأى الأحياء حياة أهل البرزخ، ولأدّى ذلك ربما إلى إقلاعهم عن ذنوبهم، وأنّ الحاجب بين عالم الدُّنيا وعالم البرزخ هو تعلّق الرُّوح بهذا البدن، وأنّ الحجاب يزول عند انفكاك هذا التعلّق، وهذا ما يصطلح عليه قبض الرُّوح.

آثار الذنوب في البرزخ:

1. سكرات الموت وشدة النزع:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[1].

سكرات الموت من العقبات الصعبة، فشدائدها تحيط بالمحتضر من جميع الجهات؛ فمن جهةٍ يواجه شدّة المرض والوجع وذهاب القوى من البدن، ومن جهةٍ أخرى يواجه مشهد العائلة من بكاء وعويل ووداع أحبة، ومن جهةٍ ثالثة فراق ما جمع في عالم الدُّنيا من مالٍ وأملاكٍ وغير ذلك، ومن جهةٍ رابعةٍ يواجه قدومه على نشأةٍ هي غير هذه النشأة، ثمّ إنّ عينيه تريان أشياء لم ترها من قبل، وقد اجتمع عليه إبليس وأعوانه ليوقعوه في الشك، وهم يحاولون جاهدين أن يسلبوه إيمانه؛ ليخرج من الدُّنيا بلا إيمان، هذا كلّه إلى جانب هول حضور ملك الموت، وبأيّ صورةٍ وهيئةٍ سيأتي، وبأيّ نحوٍ سوف يَقبض روحه[2].

فملك الموت عزرائيل عليه السلام لا يأتي بصورةٍ واحدةٍ لكلِّ النَّاس، فالصورة إمّا قبيحةٌ وإمّا جميلةٌ، بل إنّ شدّة قُبح صورته، أو شدّة جمالها مرتبطةٌ بأعمال الإنسان في الدنيا، فإذا كانت أعماله صالحةً أتاه الملك بصورةٍ جميلة، وإذا كان مبتلىً بالرذائل والمعاصي أتاه الملك بصورةٍ قبيحةٍ، يقول الإمام الخميني(رض) في موضع آخر: «إنّ لكلّ من الأعمال الحسنة والأفعال العبادية صورةً باطنيةً ملكوتيةً وأثراً في قلب العابد، أمّا الصورة الباطنية فهي التي تعمر العوالم البرزخية والجنّة

١- ق، ١٩.
٢- راجع: منازل الآخرة، ص١٠٧ (بتصرف).

الجسمانية؛ لأنّ أرض الجنّة قاع خاليةٌ من كلّ شيء، وإنّ الأذكار والأعمال مواد إنشاء وبناء لها»[1].

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**ما من الشِّيعة عبدٌ يقارف أمراً نهيناه عنه فيموت حتَّى يُبتلى ببليّة تُمحَّصُ بها ذنوبه، إمّا في مالٍ، وإمّا في ولدٍ، وإمّا في نفسه، حتَّى يلقى الله عزّ وجلّ وما له ذنبٌ، وإنّه ليبقى عليه الشيء من ذنوبه فيُشدَّدُ به عليه عند موته**»[2].

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله يشبِّه فيه الموت بالمصفاة، فيقول: «**الموت هو المصفاة تصفّي المؤمنين من ذنوبهم، فيكون آخر ألم يصيبهم كفّارة آخر وزرٍ بقي عليهم، وتصفّي الكافرين من حسناتهم، فيكون آخر لذّةٍ أو راحةٍ تلحقهم هو آخر ثواب حسنة تكون لهم**»[3].

وعليه فإنّ قبض روح الإنسان شدةً أو ضعفاً، وصورة الملك قُبحاً وحسناً مرتبطة بطبيعة الأعمال في نشأة الدُّنيا، والتي تظهر آثارها البرزخية من لحظة النّزع، وتستمر في كل عقبات البرزخ، فالإنسان لحظة سكرات الموت والاحتضار يشاهد صور أعماله وآثارها.

2. وحشة القبر وغربته:

كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر: «**يا عباد الله، ما بعد الموت لمن لا يُغفر له أشدّ من الموت، القبر فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته**»[4].

وحشة القبر هي أول المنازل التي يمرّ بها الإنسان، وقد عُبّر عنها في الروايات بتعبيرات متعدِّدة، وهذه التعبيرات إمّا أهوال مستقلّة بذاتها، أو تعبّر عن وحشة القبر لكن بألفاظ متعدِّدة، من قبيل:

- غمّ القبر.
- ضيق القبر.

١- الأربعون حديثاً، ص٤٧٠.
٢- بحار الأنوار، ج٦، ص١٥٧.
٣- بحار الأنوار، ج٦، ص١٥٣.
٤- بحار الأنوار، ج٦، ص٢١٨.

- ظلمة القبر.

- وحشة القبر[1].

وإنّ لهذا المنزل أهوال عظيمة ومنازل ضيّقة ومهولة، يصعب تصوّرها على العقل البشري؛ ولذا شرحها لنا أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

تبدأ المنازل بوحشة القبر، فضغطة القبر، ثم المسألة في القبر وهكذا. ونحن نذكر هذه الأمور باختصارٍ شديدٍ للفت النَّظر إلى علاقتها بطبيعة الأعمال في عالم الدُّنيا، فالذّنوب والمعاصي تظهر آثارها في ذلك العالم.

وما يؤيّد هذا الأمر (أهوال القبر) ما ورد في الروايات من استحباب التمهُّل في إنزال الميِّت إلى قبره، حيث روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**وإذا حُمل الميت إلى قبره فلا يفاجأ به القبر؛ لأن للقبر أهوالاً عظيمة، ويتعوّذ حامله بالله من هول المطّلع، ويضعه قرب شفير القبر، ويصبر عليه هنيهةً، ثم يقدِّمه قليلاً ويصبر عليه هنيهة؛ ليأخذ أهبّته، ثم يقدّمه إلى شفير القبر**»[2].

وليست الوحشة حال جميع النَّاس لزاماً، بل هناك فئةٌ من النَّاس يؤمنُها الله منها، كما ورد في الدعاء عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعلني وجميع إخواني بك مؤمنين، وعلى الإسلام ثابتين، ولفرائضك مؤدّين... وعند معاينة الموت مستبشرين، وفي وحشة القبر فرحين، وبلقاء منكر ونكير مسرورين، وعند مساءلتهم بالصّواب مجيبين...**»[3].

هذا الدُّعاء -وغيره من الرّوايات- يدلّ على التَّرغيب في فعل ما يُزيلُ وحشةَ القبر، وما تستأنس به النُّفوس، وهي الأخلاق الفاضلة والأعمال الحسنة، وذلك لما روي من أنّهما يظهران بصورةٍ حسنةٍ في القبر، وهكذا الأعمال السيّئة تؤدّي إلى وحشة القبر وشدّة أهواله، روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «**... فإذا**

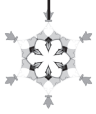

١- مصباح المتهجد، ص٥٦٢.

٢- من لا يحضره الفقيه، ج١، ص١٧٠.

٣- الصحيفة السجادية، دعاؤه رقم ٢٠٦، بحار الأنوار، ج٩١، ص١٢٣.

دخلها (أي حفرة القبر) عبدٌ مؤمنٌ، قال: مرحباً وأهلاً، أما والله لقد كنت أحبّك وأنت تمشي على ظهري، فكيف إذا دخلت بطني فسترى ذلك، قال عليه السلام: فيفسح له مدى البصر، ويفتح له باب يرى مقعده من الجنة، قال: ويخرج من ذلك رجلٌ لم تر عيناه شيئاً قطّ أحسن منه، فيقول: يا عبد الله، ما رأيت شيئاً قط أحسن منك! فيقول: أنا رأيك[1] الحسن الذي كنت عليه، وعملك الصالح الذي كنت تعمله...»[2].

أعمالٌ منجيةٌ من وحشة القبر:

الأعمال الحسنة تخفّف على الإنسان شدَّة نزع الرُّوح وسكرات الموت وعالم القبر، بخلاف الأعمال السيِّئة، وقد ورد في الرِّوايات بعض الأعمال المُنجية من وحشة القبر، نذكر منها:

- ولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا علي، أبشر وبشّر، فليس على شيعتك حسرةٌ عند الموت، ولا وحشة في القبور، ولا حزن يوم النشور، ولكأنّي بهم يخرجون من جدث القبور ينفضون التراب عن رؤوسهم ولحاهم، يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾**»[3][4].

- الصدقة، وصلاة ليلة الوحشة[5]:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا يأتي على الميت ساعة أشدّ من أول ليلة، فارحموا موتاكم بالصدقة، فإن لم تجدوا فليصلِّ أحدكم ركعتين، يقرأ في الأولى**

١- الرأي: يعني الاعتقاد والإيمان.

٢- الكافي، ج٣، ص١٣٠.

٣- فاطر، ٣٥.

٤- بحار الأنوار، ج٧، ص١٩٨.

٥- بحار الأنوار، ج٦، ص٢٤٤، وهي ركعتان في الأولى بعد الحمد آية الكرسي إلى « هم فيها خالدون» وفي الثانية بعد الحمد سورة القدر ١٠ مرات، وبعد السلام يقول: « اللهم صل على محمد وآل محمد وابعث ثوابها إلى قبر فلان ويسمي الميت، ولها كيفية أخرى تراجع في الرسائل العملية.

بفاتحة الكتاب مرّة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد مرتين، وفي الثانية بفاتحة الكتاب مرّة وألهاكم التكاثر عشر مرات ويسلم، ويقول: اللهم صلّ على محمد وآل محمد وأبعث ثوابهما إلى قبر ذلك الميت فلان ابن فلان، فيبعث الله من ساعته ألف ملك إلى قبره، مع كلّ ملك ثوب وحلّة، ويوسع في قبره من الضيق إلى يوم ينفخ في الصور... »[1].

- إتمام الركوع:

فقد ورد في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**من أتمّ ركوعه لم تدخله وحشة القبر**»[2].

- قراءة سورة ياسين:

رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ لكلّ شيء قلباً، وإنّ قلب القرآن يس، من قرأها قبل أن ينام أو في نهاره قبل أن يُمسي، كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتّى يُمسي، ومن قرأها في ليله قبل أن ينام وكّل الله به مئة ألف ملك يحفظونه من كلّ شيطان رجيم ومن كلّ آفة، وإن مات في يومه أدخله الله الجنّة**»[3].

- الصيام في شهر شعبان:

ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**من صام اثني عشر يوماً من شعبان زاره في قبره كلّ يوم سبعون ألف ملك إلى النفخ في الصور**»[4].

- عيادة المريض:

ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**أيّما مؤمن عاد مؤمناً في الله عزّ وجلّ في مرضه، وكّل الله به ملكاً من العوّاد يعوده في قبره، ويستغفر له إلى يوم القيامة**»[5].

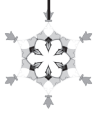

١- بحار الأنوار، ج٨٨، ص٢١٩.
٢- بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٠٧.
٣- وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٤٧.
٤- وسائل الشيعة، ج١٠، ص٤٩٨.
٥- الكافي، ج٣، ص١٢٠.

- صبر المرأة على زوجها:

ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ثلاثة من النساء يرفع الله عنهنّ عذاب القبر، ويكون محشرهنّ مع فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، امرأة صبرت على غيرة زوجها، وامرأة صبرت على سوء خلق زوجها، ومرأة وهبت صداقها لزوجها، يعطي الله كل واحدة منهنّ ثواب ألف شهيد، ويكتب لكلّ واحدة منهن عبادة سنة**»[1].

ضغطة القبر:

ورد في الرّوايات أنّ الميّت يتعرّض لضغطة القبر أو ضمّة الأرض، إلى الحدّ الذي تفري لحمه وتطحن دماغه وتذيب دهونه وتخلط أضلاعه، غير أنّ هذه الضَّغطة -حسب الرّوايات- درجاتٌ في الشدّة والألم، وهي متناسبةٌ تماماً مع عمل المؤمن ودينه في عالم الدُّنيا، وقلّما يسلم منها أحدٌ، إلا من استوفى شروط الإيمان، وبلغ درجات الكمال، سأله أبو بصير الإمام الصَّادق عليه السلام: أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ فقال عليه السلام: «**نعوذ بالله منها، ما أقلّ من يفلت من ضغطة القبر**»[2].

وقد تعرَّض لضغطة القبر الصَّحابي الجليل سعد بن معاذ (رض)، حيث جاء في الروايات: «**أنّه لمّا حمل على سريره شيَّعته الملائكة، وكان صلى الله عليه وآله قد تبعه بلا حذاء ولا رداء، حتَّى لحده وسوَّى اللُبن عليه، فقالت أمّ سعد: يا سعد، هنيئاً لك الجنة، فقال صلى الله عليه وآله: يا أمّ سعد، مه، لا تجزمي على ربّك؛ فإن سعد قد أصابته ضمّة، وحينما سُئل عن سبب ذلك قال صلى الله عليه وآله: إنّه كان في خلقه مع أهله (زوجته) سوءٌ**»[3].

١- وسائل الشيعة، ج ٢١، ص٢٨٥.

٢- الكافي، ج٣، ص٢٣٦.

٣- علل الشرائع، ج١، ص٣٠٩.

وقد حدّثنا أئمتنا عليهم السلام عن صعوبة ضغطة القبر، إذ ورد عن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة أنّه قال: «**وبادروا الموت في غمراته، وامهدوا له قبل حلوله، وأعدّوا له قبل نزوله، فإنّ الغاية القيامة، وكفى بذلك واعظاً لمن عقل، ومعتبراً لمن جهل، وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس[1]، وشدّة الإبلاس، وهول المطّلع، وردعات الفزع، واختلاف الأضلاع[2]، واستكاك الأسماع، وظلمة اللحد[3]، وضيقة الوعد، وضمّ الضريح[4]، وردم الصفيح[5]...**»[6].

مفهوم ضغطة القبر واختلاف درجاتها:

إنَّ ضغطة القبر تعني التَّضييق على الميِّت، وإنّ طبيعة الأعمال هي التي تحدّد شدّة هذا الشّعور بالضِّيق والأذى في عالم البرزخ، وهي تحدّد أيضاً أَمَدَ استمرار هذه الضَّغطة التي قد تكون شعوراً وأذى روحياً مؤقّتاً يزول بعد حين، وقد يستمر أمداً طويلاً، وقد يبقى إلى البعث والنشور.

فليس من الصحيح ما يتصوّره بعض النَّاس من أن ضغطة القبر تحصل في بداية دخول الإنسان في عالم البرزخ وتنتهي؛ فالمستفاد من النصوص الشريفة أنّها قد تستمر، وقد تنقطع، ثمّ تعود نتيجة لأعمال النَّاس في الدُّنيا، أو نتيجة لعواملَ خارجيةٍ تطرأ لاحقاً، كاستغفار ابنٍ لأبيه، فترفع عنه ضغطة القبر، أو وقوع أحد الذين أضلّهم بغير علم في متاهات عقائدية أو سلوكية، فتنعكس على الإنسان وهو في عالم البرزخ.

ويُفهم من الرِّوايات أنّ هذه الضَّغطة يختلف حالها من شخصٍ إلى آخر، وذلك حسب درجة إيمانه وطبيعة عمله في نشأة عالم الدُّنيا، وأنّ هذه الضَّغطة لا تشمل كلّ الأموات، ومنها ما دلَّت عليه الروايات بأنّ القيام ببعض الأعمال يؤدّي إلى النجاة من ضغطة القبر، كما سيأتي.

١- الأرماس: جمع الرمس وهو القبر، والإبلاس: اليأس والانكسار والحزن.
٢- اختلاف الأضلاع: كناية عن ضغطة القبر إذ يحصل بسببها تداخل الأضلاع واختلافها.
٣- اللحد: في الجانب.
٤- الضريح الشق في وسط القبر.
٥- الصفيح: الحجر. والمراد بردمه هنا سد القبر به.
٦- بحار الأنوار، ج٦٠، ص٢٤٤.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام «**قلت: جعلت فداك، فأين ضغطة القبر؟ فقال: «هيهات ما على المؤمنين منها شيء. والله، إنّ هذه الأرض لتفتخر على هذه، فتقول: وطأ ظهري مؤمن، ولم يطأ على ظهرك مؤمن، وتقول له الأرض: والله، كنت أحبّك وأنت تمشي على ظهري، فأمّا إذا وليتك فستعلم ماذا أصنع بك، فتفسح له مدّ بصره**»[1].

وتعبير الإمام الصادق عليه السلام في الرواية المتقدمة «**ما أقلّ من يفلت منها**» يدلّ على أنَّ بعض المؤمنين قد يفلت من ضغطة القبر، كما هو ثابت في حقّ السيّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام، وذلك حسب روايات أهل البيت عليهم السلام حيث رُفعت عنها ضغطة القبر ببركة نزول النبي صلى الله عليه وآله إلى قبرها الشَّريف.

وينبغي الإشارة إلى أنّ ضغطة القبر على المؤمن - لو حصلت - فهي من باب تطهيره من الذّنوب المتبقية في عالم الدُّنيا، فيخرج نقياً إلى عالم القيامة، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ضغطة القبر للمؤمن كفّارة لما كان منه من تضييع النِّعم**»[2].

الأعمال المؤدية إلى ضغطة القبر:

ورد في الروايات أنّ هناك أعمالاً تؤدّي إلى ضغطة القبر أو إلى شدّتها، نذكر منها ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**عذاب القبر يكون من النميمة، والبول، وعزب[3] الرجل عن أهله**»[4].

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله - عندما وصف سعد - قال: «**إنّما كان من زعارة[5] في خلقه على أهله**»[6].

١- الكافي، ج٣، ص١٣٠.

٢- بحار الأنوار، ج٦، ص٢٢١.

٣- عزب الرجل عن أهله معناه ابتعاده عن فراشه وطعامه، مع ظلمه لزوجته.

٤- علل الشرائع، ج١، ص٣٠٩.

٥- الزعارة:-بتشديد الراء وتخفيفها-شراسة الخلق، والرجل شرس أي سيء الخلق.

٦- بحار الأنوار، ج٦، ص٢٦١.

وعنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثٌ من الذّنوب تعجّل عقوبتها ولا تؤخّر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على النّاس، وكفر الإحسان**»[1].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**أُقعِد رجلٌ من الأخيار في قبره، فقيل له إنّا جالدوك مئة جلْدة من عذاب الله، فقال: لا أطيقها، فلم يزالوا به حتّى انتهوا إلى جلدة واحدة، فقالوا: ليس منها بُدّ، قال فبما تجلدونيها؟ قالوا: نجلدك لأنّك صلّيت يوماً بغير وضوء، ومررت على ضعيفٍ فلم تنصره، قال: فجلدوه جلدةً من عذاب الله عزّ و جلّ، فامتلأ قبره ناراً**»[2].

الأمور المنجية من ضغطة القبر:

ورد في الروايات الشريفة أنّ هناك أعمالاً وأموراً تنجي أو تخفّف من ضغطة القبر، نشير إلى بعضها:

1. زيارة الإمام الحسين عليه السلام: عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**لو يعلم النّاس ما في زيارة قبر الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً وتقطّعت أنفسهم عليه حسرات، (إلى أن قال) فإن مات سنته حضرته ملائكة الرّحمة، يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له، ويشيّعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مدّ بصر، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير أن يروّعانه، ويفتح له باب إلى الجنّة...**»[3].

2. الموت ليلة يوم الجمعة: روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من مات ما بين زوال الشمس من يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاذه الله من ضغطة القبر**»[4].

3. الحج أربع مرات: عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من حجّ أربع حجج لم تصبه ضغطة القبر أبداً**»[5].

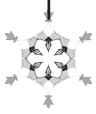

١- وسائل الشيعة، ج١٦، ص٣١٢.
٢- بحار الأنوار، ج٦، ص٢٢١.
٣- مستدرك الوسائل، ج١٠، ص٣٠٩، كامل الزيارات، ص٢٧١.
٤- الأمالي، ص٣٥٥.
٥- الخصال، ص٢١٦.

4. قراءة القرآن: عن الإمام علي عليه السلام: «**من قرأ سورة النساء في كل جمعة أؤمن من ضغطة القبر**»[1]. وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**من قرأ سورة يس أؤمن من ضغطة القبر أيضاً**»[2].

5. صلاة الليل: عن الإمام الرضا عليه السلام: «**عليكم بصلاة الليل؛ فما من عبدٍ يقوم آخر الليل فيصلّي ثماني ركعات، وركعتي الشفع، وركعة الوتر واستغفر الله في قنوته سبعين مرة، إلا أُجير من عذاب القبر ومن عذاب النّار، ومُدَّ له في عمره، ووُسِّع عليه في معيشته**»[3].

6. رشّ القبر بالماء أو وضع جريدة رطبة: قيل لأبي عبد الله عليه السلام: لأيّ شيء توضع مع الميّت الجريدة؟ قال عليه السلام: «**إنّه يتجافى عنه العذاب ما دامت رطبة**»[4].

وسُئِل الإمام الصادق عليه السلام أيضاً في علّة رشّ الماء على القبر، فقال عليه السلام: «**يتجافى عنه العذاب ما دام النّدى في التّراب**»[5].

ولا بدّ من الإلفات هنا إلى أن ما ورد في الروايات لم يرد على نحو الحصر، أو على نحو العلّة التامة لكل عمل؛ بل لا بدّ من اجتماع أحد هذه الأعمال أو مجموعة منها مع التزام الإنسان بباقي التكاليف في الحياة الدنيا.

المساءلة في القبر:

إنّ المساءلة في القبر، وما يتبعها من الرَّحمة أو العذاب هي من الأمور القطعيَّة عند المسلمين عامَّة وعند أهل البيت عليهم السلام خاصَّة، حتَّى عدَّ الإمام الصادق عليه السلام منكرها خارج عن التشيُّع، الإمام الصادق عليه السلام: «**من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا، المعراج، والمسألة في القبر، والشفاعة**»[6].

١- ثواب الأعمال، ص١٠٥.
٢- بحار الأنوار، ج٨٤، ص٣.
٣- بحار الأنوار، ج٨٧، ص١٦١.
٤- الكافي، ج٣، ص١٥٢.
٥- الكافي، ج٣، ص٢٠٠.
٦- مستدرك الوسائل، ج٦، ص٢٢٣.

وحسب روايات أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، يُسأل الإنسان عن أمرين أساسيين:

1. عقيدته: فيُسأل عن ربّه ودينه ونبيه وإمامه، فقد رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال: «**إذا مات المؤمن شيّعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أُدخل قبره أتاه مُنكَرٌ ونَكِيرٌ، فيقعدانه ويقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: ربّي الله ومحمّد نبيّي والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مدّ بصره. ثمّ قال عليه السلام: إذا مات الكافر شيّعه سبعون ألفاً من الزّبانية إلى قبره، وإنّه ليناشد حامليه بصوتٍ يسمعه كلّ شيء إلا الثّقلان، ... فإذا أُدخل قبره وفارقه النَّاس أتاه منكر ونكير في أهول صورة؛ فيقيمانه، ثمّ يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيتلجلج لسانه، ولا يقدر على الجواب، فيضربانه ضربةً من عذاب الله، يذعر لها كلّ شيء**»[1].

2. أعماله: يُسأل الإنسان - عند دخوله في قبره، وحضور الملكين عنده - عن أعماله، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**يُسأل الميّت في قبره عن خمس: عن صلاته وزكاته وحجّه وصيامه وولايته إيّانا أهل البيت، فتقول الولاية من جانب القبر للأربع: ما دخل فيكنّ من نقص فعليّ تمامه**»[2].

من يسأل العبد في قبره؟

دلَّت الروايات أنّ الملائكة تنزل على الموتى في قبوره؛ فتسألهم عن الأمور التي مرّ ذكرها، فإن أجاب بالحقّ سلَّموه إلى ملائكة النعيم، وإن ارتجّ -حسب تعبير الرِّوايات بمعنى استُغلق عليه الكلام- سلَّموه إلى ملائكة العذاب.

إن اسمي الملكين الذين ينزلان على الكافر هما ناكر ونكير، وعلى المؤمن مبشِّر وبشير، وقيل إنّما سُمّي ملكا الكافر ناكراً ونكيراً؛ لأنّه ينكر الحقّ وينكر ما يأتيانه به ويكرهه، وسُمّي ملكا المؤمن مبشّر وبشير؛ لأنّهما يبشّرانه من الله تعالى بالرضا

١- بحار الأنوار، ج٦، ص٢٢٢.
٢- الكافي، ج٣، ص٢٤١.

والثواب المقيم. وإنّ هذين الاسمين ليسا بلقبٍ لهما، وإنّما عبارة عن فعلهما. ولا ينزل الملكان إلا على حيّ، ولا يسألان إلا من يفهم المسألة ويعرف معناها، وهذا دلالة على أنّ اللّه تعالى يحي العبد بعد موته للمسألة، ويديم حياته لنعيمٍ إن كان يستحقّه، أو لعذابٍ إن كان يستحقه[1].

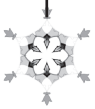

١- تصحيح اعتقادات الإمامية، ص٩٨- ٩٩.

١. البرزخ هو عالم يفصل بين الدُّنيا والآخرة، وهناك ارتباط وثيق بين أعمال الإنسان في الدنيا والآثار البرزخية التي سوف تظهر في ذلك العالم.

٢. الإطلالة الأولى على عالم البرزخ تبدأ منذ اللحظات الأولى لسكرات الموت، وهذه السكرات تتفاوت شدة وضعفا بحسب أعمال الإنسان الدنيوية.

٣. وحشة القبر هي أيضاً من الأهوال التي يمرّ بها الإنسان عند انتقاله من هذه الدنيا، والوحشة سببها الأساسي ذنوب الإنسان التي اقترفها في الدنيا بسبب حبه لها.

٤. ضغطة القبر أو التَّضييق على الميِّت هي من أهوال عالم البرزخ، وطبيعة أعمال الإنسان في الدنيا هي التي تحدّد شدّة هذا الشّعور بالضِّيق والأذى هناك أمَدَ هذه الضَّغطة.

٥. المساءلة في القبر، وما يتبعها من الرَّحمة أو العذاب هي من الأمور القطعيَّة عند المسلمين، ولن يتمكّن من الإجابة على هذه الأسئلة إلا من تنوّر قبله بالإيمان وتنزّه عمله من دنس الآثام.

رأس كل خطيئة

بُنيّ! لا تستصغر الذنوب مهما بدت صغيرة لك. (انظر إلى من عصيت) وبهذه النظرة تبدو الذنوب كلها كبيرة ولا تغترّ بشيءٍ ولا تنس حضور الله تبارك وتعالى في كل حال، إذ أن كل شيء منه ولو انقطعت عنايته الرحمانية عن كائنات عالم الوجود لحظة واحدة فلا يبقى أثر حتى من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين إذ أن جميع العالم تجلٍ لرحمانيته- جلّ وعلا- وإن رحمته الرحمانية- جلّ وعلا- مع قصر اللفظ والتعبير تُبقي نظام الوجود باستمرارية و(لا تكرار في تجليه جل وعلا) وقد يعبّر عنه ببسط الفيض وقبضه على سبيل الاستمرار. على كل حال فلا تنسه ولا تغترّ برحمته، كما عليك ألا تيأس وألا تغتر بشفاعة الشافعين عليهم السلام إذ أن لها موازين إلهية ونحن عنها غافلون وأن يكون أساس سلوكك وعملك التأمّل في أدعية المعصومين عليهم السلام وحرقتهم من خوف الحق وعذابه. إن أهواء النفس وشيطان النفس الأمارة تدفعنا إلى الغرور وتهلكنا بذلك.

بُنيّ! لا تكن وراء تحصيل الدنيا وإن كان من حلالها إذ أن حبّ الدنيا حتى الحلال منها رأس كل خطيئة، إذ هو الحجاب الأكبر ويسوق الإنسان نحو عالم الحرام. إنك شاب وتستطيع بنعمة الشباب التي منحها الله لك أن توقف الخطوة الأولى من الانحراف، وألا تسمح لها بأن تؤدّي إلى الخطوات التالية إذ أن وراء كل خطوة خطوات أخرى، وإن كل ذنب- مهما صغر- يجر الإنسان نحو الذنوب الكبيرة حتى تبدو الذنوب الكبيرة ضئيلة في رأي الإنسان بل يتباهى بعض الناس بارتكاب الكبائر وقد يتحوّل المنكر في نظره معروفاً والمعروف منكراً لشدة الظلمات والحجب الدنيوية عنده[1].

١- صحيفة الإمام الخميني، ج ١٨، ص ٤١٢.

الدَّرس التاسع:
الآثار الأخروية للذنوب

أهداف الدَّرس:

أن يكون الطالب مع نهاية الدَّرس قادراً على أن:

١. يستدلّ على حتمية ظهور آثار أعمال الإنسان في الآخرة ويوم القيامة.

٢. يعدِّد أهمّ الآثار الأخروية المترتّبة على الذّنوب.

٣. يشرح حقيقة تجسّم الأعمال في الحياة الآخرة.

العمل والجزاء:

إنّ الدُّنيا دار عمل ولا حساب فيها، والآخرة دار حساب ولا عمل فيها، إذ يُجزى كلّ إنسان حسب عمله، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ. فالله سبحانه وتعالى قد أمر عباده بطاعته ونهاهم عن معصيته، وأرسل إليهم الأنبياء والرسل لهدايتهم إلى طريق الحقّ، وإبعادهم عن طريق الغيّ والضلال. فمن عمل بإرشادات الأنبياء والرسل فقد وعده الله بالجنَّة خالداً فيها، ومن خالف إرشاداتهم فقد توعَّده الله بالنّار. فالله تعالى يثيب الإنسان أو يعاقبه وفقاً لعمله، فإن كان العمل موافقاً لإرادة الله وطاعته ورضاه نُعِّم صاحبه بأنواع النِّعم والكرامات الإلهية، وإن كان موافقاً لنهي الله وسخطه عُذِّب الإنسان بأنواع العذاب، وذلك حسب حاله ومآله، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[1].

في الحقيقة هناك علاقةٌ مباشرةٌ بين عمل الإنسان في الدُّنيا وحاله في الآخرة، فلا انفكاكَ بين العمل وجزائه، بل الجزاءُ هو باطنُ العمل، والآخرةُ هي ظرف ظهور الجزاء لا وجوده. فكلُّ عملٍ سوف يتجسَّمُ في الآخرة، فيراها الإنسان بصورةٍ مجسَّدةٍ تحاكي طبيعة عمله الدُّنيوي، فتكون سبباً لسعادته أو شقائه. وبناءً عليه فإنّ الآيات التي تحدَّثت عن رؤية الأعمال تُحمَل على حقيقتها، كقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا**﴾[2]، أي رؤية نفس العمل.

١- النساء، ١٤.

٢- آل عمران، ٣٠.

وكما أشرنا سابقاً، للذّنوب آثارٌ متعدِّدة تظهر في عوالمَ مختلفة، آخرها عالم يوم القيامة، وهو أشدّها وأصعبها؛ فإنّ هوله عظيم، بل هو أعظم من كل هول، ونحاول هنا أن نذكر أهمّ هذه الآثار وأبرزها:

استحقاق دخول النّار[1]:

قال الله تعالى: ﴿**بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحاطَتْ بِهِ خَطيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النّار هُمْ فيها خالِدُونَ**﴾[2]. فمن الآثار المعروفة للذُّنوب والمعاصي أنّ مرتكبها إذا لم يتب فهو مستحقٌّ لدخول النّار، وقوله تعالى -في آية أخرى- يؤكِّد هذه الحقيقة: ﴿**وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النّار هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[3].

إنّ من الآثار العامّة للمعصية يوم القيامة هو استحقاق مرتكبها دخول النّار، وهذا الاستحقاق له ثلاثُ صورٍ:

الأولى: أن لا يدخل إلى النّار أصلاً؛ وذلك في حالٍ أدركته الرَّحمة الإلهيَّة وشملته شفاعة النَّبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)، هذا إن كان مستحقّاً لها ضمن الشُّروط التي ذُكرت في كتب العقائد؛ لأنَّ الاستحقاق لا يلزم منه فعليَّةُ دخول النّار.

الثَّانية: أن يدخل النّار بسبب بعض أعماله التي قام بها في عالم الدُّنيا، لكن لا يُخلَّد فيها؛ لأنَّ استحقاق الدُّخول إلى النّار يُتصوَّر بسببين، هما: الكفر بالله تعالى، والتمرُّد على الله ومعصيته، والاستحقاق هو غير الخلود في النّار الذي يكون بخصوص الكفر أو الشرك.

يقول الشيخ الصدوق (رض) في اعتقادات الإمامية: «اعتقادنا في النّار أنّها دار الهوان، ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان، ولا يُخلَّد فيها إلا أهل الكفر والشّرك، فأمّا المذنبون من أهل التَّوحيد فيخرجون منها بالرَّحمة التي تدركهم والشَّفاعة التي تنالهم»[4].

١- التعبير باستحقاق النّار ينسجم مع اعتقادات الإمامية القائلة بالوعد دون الوعيد؛ فالله أوجب على نفسه الوفاء بوعده وإدخال عباده إلى الجنة، ولكن قد لا يفي بوعيده، وهو إدخال عباده إلى النّار؛ وذلك بمقتضى رحمته التي وسعت كلّ شيء.

٢- البقرة، ٨١.

٣- النمل، ٩٠.

٤- بحار الأنوار، ج٨، ص٣٢٤.

يقول الشَّيخ المفيد في كتابه تصحيح اعتقادات الإمامية: «وأمّا النّار فهي دار مَن جَهلَ اللّه، وقد يدخلها بعضٌ من عرفه، غير أنَّه لا يُخلَّد فيها، بل يخرج منها إلى النَّعيم المقيم، وليس يخلّد فيها إلا الكافرون... وكلُّ آيةٍ تتضمَّن الخلود في النّار فإنَّما هي في الكفّار دون أهل المعرفة باللّه، بدلائل العقول، والكتاب المسطور، والخبر الظَّاهر المشهور»[1].

والرِّوايات التي تؤكّد عدم خلود المؤمن في النّار كثيرة، منها:

- ما روي عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**لا يُخلّد اللّه في النّار إلا أهل الكفر والجحود، وأهل الضلال والشرك**»[2]، فالمؤمن الفاسق خارجٌ عن كلِّ الأقسام التي ذكرها الإمام عليه السلام في هذه الرِّواية.

- ما روي عن الإمام الرِّضا عليه السلام: «**إنَّ اللّه لا يُدخل النّار مؤمناً وقد وعده الجنَّة، ولا يُخرج من النّار كافراً وقد أوعده النّار والخلود فيها**»[3].

رغم كلِّ ما تقدَّم من أنّ المؤمنَ لا يُخلَّد في النّار، ولكن هذا لا يعني عدم فعليّة دخوله إلى النّار، فقد ورد في الرِّوايات أنَّ بعضَ الذّنوب توجبُ تطويلَ أمدِ العذاب، ويعاقب عليها بألوانٍ متعدِّدة، أو إنَّ الشَّفاعة قد لا تصلُ إليه إلا بعد مئات السِّنين، روي عن النَّبي صلى الله عليه وآله: «**إنّ العبد ليُحبس على ذنب من ذنوبه مئة عام، وإنّه لينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعمن**»[4]، والحديث فيه دلالةٌ على أنّ الذَّنبَ يمنعُ من دخول الجنَّة مدّةً من الزَّمن، ولا دلالة فيه على أنّه في تلك المدة يكون في النّار أو في شدائد القيامة.

وروي عن الإمام علي عليه السلام أنَّه قال: «**لا تتَّكلوا بشفاعتنا؛ فإنَّ شفاعتنا لا تلحق بأحدكم إلا بعد ثلاثمئة سنة**»[5]، والحديث يوضح أنّ الشفاعة قد تأتي إذا مات المؤمن على التوحيد والنبوة والإمامة، ولكن بعد ثلاثمئة سنة، ومقدار السنة عند اللّه يختلف عن مقدارها عندنا.

١- راجع: بحار الأنوار، ج٨، ص٣٢٥ (بتصرف).

٢- بحار الأنوار، ج٨، ص٣٥١.

٣- بحار الأنوار، ج٨، ص٣٦٢، ولقد عقد الحرُّ العاملي (رض) في كتابه «الفصول المهمَّة في أصول الأئمة» باباً تحت عنوان: «إنّ فسّاق المسلمين لا يخلدون في النّار، بل يخرجون منها ويدخلون الجنَّة، وروى في ذلك اثني عشرةَ روايةً، ثم علَّق في نهاية الباب قائلاً: والآيات والرِّوايات في ذلك كثيرةٌ جدّاً». راجع: الفصول المهمة في أصول الأئمة، ج١، ص٣٧٦- ٣٨٠.

٤- أصول الكافي، ج٢، ص٢٧٢.

٥- بحار الأنوار، ج٧٠، ص٣٣١.

الثالثة: الخلود في النّار:

هناك آيات كثيرة تشير إلى خلود الكفّار والمنافقين في النّار، كقوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾[1]، فالكافر والمنافق يخلّدان في النّار دون المؤمن كما تقدّم.

وقد سُئل الإمام الصادق عليه السلام: عن المؤمن يقتل متعمداً، أله توبة، فقال: «**إن كان قتله لإيمانه فلا توبة له، وإن كان قتله لغضبٍ أو لسبب شيءٍ من أمر الدُّنيا، فإنّ توبته أن يقاد منه، وإن لم يكن علم به أحد انطلق إلى أولياء المقتول فأقرّ عندهم بقتل صاحبهم، فإن عفوا عنه فلم يقتلوه أعطاهم الدية، وأعتق نسمة، وصام شهرين متتابعين، وأطعم ستين مسكيناً توبة إلى الله عز وجل**»[2].

الافتضاح يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾[3]، الأشهاد: جمع شاهد، وهم الذين يشهدون بالحقّ للمؤمنين على المبطلين والكافرين يوم القيامة، وفي ذلك سرور للمُحقّ وفضيحة للمبطل، في ذلك اليوم العظيم.

تشير الآية إلى معنىً دقيق، وهو أنّ يوم الأشهاد هو اليوم الذي يُبسَط فيه الأمر في محضر الله تعالى، وتنكشف السرائر والأسرار لكافّة الخلائق، وهو يوم تكون الفضيحة فيه أفظع ما تكون، ويكون الانتصار فيه أروع ما يكون، إنّه اليوم الذي ينصر الله فيه الأنبياء ويزيد في كرامتهم، وإنّه يوم افتضاح الكافرين وسوء عاقبة الظالمين، ويوم لا يحول شيء دون افتضاح الظالمين أمام الأشهاد[4]. قيل: الأشهاد أربعة: الملائكة، الأنبياء، أمّة محمد صلى الله عليه وآله، الجوارح[5].

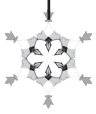

١- التوبة، ٦٨.

٢- من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٩٥.

٣- غافر، ٥١.

٤- راجع: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٥، ص٢٨٣ (بتصرف).

٥- راجع: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٢٢، ص٤٤٢.

وما يهم في الأمر أنّ العبرة من قيام الأشهاد واعتبار قولهم هو بيان شدَّة إظهار الفضيحة.

لذا ينبغي على الإنسان المؤمن العاقل أن يخافَ أهوالَ ذلك اليومِ العظيمِ، وأنْ يخافَ الفضيحةَ أمامَ اللّه ورُسله والأمم والنَّاس أجمعين.

روي عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: «**وأمّا علامة الموقن فستّة: أيقن باللّه حقاً فآمن به، وأيقن بأنّ الموت حقٌ فحذره، وأيقن بأنّ البعث حقٌ فخاف الفضيحة، وأيقن بأنّ الجنّة حقٌ فاشتاق إليها، وأيقن بأنّ النّار حقٌ فظهر سعيه للنجاة منها، وأيقن بأنّ الحساب حقٌ فحاسب نفسه**»[١].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في المناجاة الشَّعبانية: «**إلهي قد سترت علي ذنوباً في الدُّنيا وأنا أحوج إلى سترها عليّ منك في الأخرى، إلهي قد أحسنت إليّ إذ لم تظهرها لأحد من عبادك الصالحين، فلا تفضحني يوم القيامة على رؤوس الأشهاد...**»[٢].

فكم من الذُّنوب التي يرتكبها العبدُ في الخلوات، ولو شاء اللّه تعالى لجعل علامةً -كالسَّواد مثلاً- لكلِّ معصية، وتختلف شدّة هذا السواد بحسب شدّة المعصية، ولكنّ اللّه ستّار على عباده، قد أظهر الجميل وستر القبيح... ولهذا يطلب الإمام عليه السلام أن يديم اللّه هذا السّتر حتّى في الآخرة، حين تكون ساعة الفضيحة على رؤوس الأشهاد.

الذلّ والهوان يوم القيامة:

من المشاهد التي تظهر يوم القيامة مشهد الذلّ والهوان اللذان يصيبان الكفرة والعصاة.

والنَّاس في ذلك الموقف صنفان: أشقياء وسعداء، فالأشقياء في غاية الذلّ والهوان، وهذا ما يمكن فهمه من خلال الأوصاف التي يصفها اللّه تعالى لهؤلاء العصاة في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿**خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ**

١- تحف العقول، ص٢٠.
٢- إقبال الأعمال، ج٣، ص٢٩٧.

كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ﴾[1]، أي وجوهٌ تظهر عليها علائم الخزي والهوان، ثم يصفها بأوصافٍ أخرى كقوله: **هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ ۝ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ ۝ تَصْلى ناراً حامِيَةً**﴾[2]، أي أنَّ هؤلاء الكُفَّار كانوا يعملون في الدُّنيا بجدٍّ ولكن لغير الله تعالى، فمع كلِّ تعبهم وعنائهم لم يستفيدوا شيئاً من أعمالهم، فتكونُ آثارُ الخيبةِ باديةً على وجوههم يوم القيامة، وزيادةً في بيان حالهم من الذُّلّ والهوان يقول الله تعالى: إنّ هذه الوجوه: ﴿**تَصْلى ناراً حامِيَةً**﴾ أي تقاسي حرّ النّار وتُعذَّب بها؛ لأنّ أعمالهم في الدُّنيا كانت خاسرةً، غلبها الشرّ وفارقها الخير.

وهناك آيات أخرى أيضاً تدلّ على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿**سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ**﴾[3]، أي سيلحق المجرمين ذلٌ وهوانٌ دائمان، ويدركهم العذاب المؤلم الشَّديد جزاءً لما كانوا ينكرون، وعقوبةً لتكبّرهم عن اتّباع الرُّسل والانقياد لما جاؤوا به، فبسبب تكبُّرهم في الدُّنيا سيصابون بالذلِّ الشَّديد يوم القيامة، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[4]، أي صاغرين أذلاء.

الحسرة والندامة:

إنّ أحد أوصاف يوم القيامة هو «يوم الحسرة والندامة»، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[5]، ويستفاد من الآية:

أولاً: إنّه في يوم الحسرة والندامة يندم الكافر على كفره، والظَّالم على ظلمه، والمقصِّر في طاعة ربِّه على تقصيره، لكن المشكلة أنه يوم لا ينفع فيه الندم.

ثانياً: ينبغي أن لا يكون المؤمن في غفلةٍ، بل على استعدادٍ دائمٍ للقاء الله تعالى. فإنّ من عِظَم الحسرة التي تصيب أهل النّار أنّ الواحد منهم يتمنَّى أن يفدي

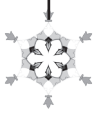

١- القلم، ٤٣.
٢- الغاشية، ١- ٤.
٣- الأنعام، ١٢٤.
٤- غافر، ٦٠.
٥- مريم، ٣٩.

نفسه من عذاب الله بماله وولده والنَّاس أجمعين، بل بملك الدُّنيا بأسرها، مع أنّه طُلب منه ما هو أهون من ذلك فلم يفعل، قال تعالى: ﴿**يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۝ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ**﴾[٦].

وقد وصفت الرِّوايات الشَّريفة هذه الحسرةَ بأشكالٍ متعدِّدة، منها «أشدُّ النَّاس حسرةً يوم القيامة»، عن الإمام الباقر عليه السلام: «**أشدّ النَّاس حسرة يوم القيامة الذين وصفوا العدل ثم خالفوه، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾**»[٧][٨].

وقد فسّر الإمام الكاظم عليه السلام «جَنْبِ اللَّهِ» بقوله: «**جَنْبِ اللَّهِ: أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك ما كان بعده من الأوصياء بالمكان الرفيع إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم**»[٩].

وأوّلَ الشيخ الصدوق قدس سره معنى الجَنْب في عليّ عليه السلام بمعنى الطَّاعة، فقال: «الجَنْب: الطاعة في لغة العرب، يُقال: هذا صغير في جَنْب الله، أي في طاعة الله عزَّ وجل؛ فمعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا جَنْب الله**» أي أنا الذي ولايتي طاعةُ الله»[١٠].

إنّ من أهمّ الأعمال التي لها آثار في العوالم الدنيويَّة والبرزخيَّة والأخرويَّة كلّها -وبالأخص يوم القيامة- هي ولاية أهل البيت عليهم السلام، فمن أطاعهم ووصلهم وصله الله يوم القيامة، ومن لم يوالِهم ونكث العهد كان من أشدِّ النَّادمين يوم القيامة؛ لأنَّ تركَ ولايتِهم وحبِّهم من أعظم الكبائر.

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿**كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ...**﴾[١١]، قال: «**هو الرجل يكسب المال ولا يعمل فيه خيراً، فيرثه من يعمل فيه عملاً صالحاً... فيرى الأول ما كسبه حسرةً في ميزان غيره**»[١٢].

٦- المعارج، ١١- ١٤.
٧- الزمر، ٥٦.
٨- بحار الأنوار، ج٢، ص٣٠.
٩- أصول الكافي، ج١، ص١٤٥.
١٠- التوحيد، ص١٦٥.
١١- البقرة، ١٦٧.
١٢- تفسير نور الثقلين، ج١، ص١٥٢.

فتبيّن من خلال الروايات المتقدّمة أنّ هناك ذنوباً توجب الحسرة والندامة يوم القيامة، ومنها: الكِبْر والرياء، اللذان هما من أخطر الأمراض الأخلاقية التي تصيب قلوب النَّاس.

تجسّم الأعمال بصورٍ قبيحة:

من الآثار الأخرويّة للذنوب تجسّد الأعمال بصورةٍ تتناسبُ مع طبيعة الذَّنب.

قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ...﴾**[1].

وهذه الآية تبيّن تجسيم الأعمال في الآخرة، وتدلّ على أنَّ الأموالَ المكتسبة عبر هذا الطَّريق المحرَّم، هي في الواقع نيرانٌ تدخلُ في بطونهم، وتتجسَّمُ بشكلٍ واقعيٍّ في الآخرة.

قال الله تعالى: **﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾**[2].

تشيرُ هذه الآية إلى حضور الأعمال الصَّالحة والسيِّئة يوم القيامة، فيرى كلّ امرئٍ ما عملَ من خيرٍ وما عملَ من شرٍّ حاضراً أمامه، فالذين يشاهدون أعمالهم الصَّالحة يفرحون ويستبشرون، والذين يشاهدون أعمالهم السيّئة يستولي عليهم الرُّعب، ويتمنُّون لو أنَّهم استطاعوا أن يبتعدوا عنها، ولم تقل الآية: يتمنون فناء أعمالهم وسيئاتهم؛ لأنّهم علموا أنَّ كلَّ شيءٍ في ذاك العالم لا يفنى، فلذلك تمنّوا الابتعاد عنها.

فالإنسان يجد أعماله الحسنة والقبيحة يوم القيامة مهما كانت قليلة، وهذا ينسجم مع كلمة «تجد» من الوجود من العدم[3].

وخلاصة القول: إنّ تجسّد الأعمال يعتبر من أهم القضايا المرتبطة بالمعاد. والموجود في ذلك العالم هو انعكاسٌ كاملٌ لهذا العالم، فأعمالُنا وأفكارُنا وأساليبنا

١- البقرة، ١٧٤.
٢- آل عمران، ٣٠.
٣- راجع: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٢، ص٤٦٣ (بتصرف).

الاجتماعيةُ وصفاتنا الأخلاقيَّة المختلفة سوف تتجسَّم وتتجسَّد أمامنا في ذلك العالم، لتبقى قرينةً لنا دائماً.

١. الدُّنيا دار عمل ولا حساب فيها، والآخرة دار حساب ولا عمل فيها، إذ يُجزى كلّ إنسان فيها حسب عمله، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ.

٢. هناك علاقةٌ مباشرةٌ بين عمل الإنسان في الدُّنيا وحاله في الآخرة، فلا انفكاكَ بين العمل وجزائه، بل الجزاءُ هو باطنُ العمل، والآخرةُ هي ظرف ظهور الجزاء لا وجوده.

٣. من الآثار العامّة للمعصية يوم القيامة هو استحقاق مرتكبها دخول النّار وربما الخلود فيها أيضاً حسب نوعية ودرجة المعاصي والذنوب التي اقترفها في الدنيا.

٤. من الآثار السلبية للذنوب في يوم الآخرة أن صاحبها مفتضح أمام الأشهاد، ما يكون سبباً لهوانه ومذلته.

٥. من الآثار الأخرويّة للذنوب تجسُّدُ الأعمالَ بصورةٍ تتناسبُ مع طبيعة الذَّنب، فأعمال الإنسان وأفكاره وصفاته الأخلاقيَّة السيئة سوف تتجسَّد أمامه في ذلك العالم، لتبقى قرينةً له دائماً.

لا تؤخروا التوبة إلى سن الكهولة

يجب أن نبني أنفسنا؛ فإن بنيتم أنفسكم كانت جميع أعمالكم جهاداً بناءً. وكل عمل تقومون به سيكون في حيز الجهاد الذي دخلتموه. لقد أصبحتم مجاهدين. وأعمال المجاهد أعمال جهادية. ابذلوا جهودكم لبدء جهاد البناء من أنفسكم. أي: اشتغلوا بهذا العمل، ولا تهملوه إلى آخر عمركم، فهذا الإرجاء واحد من إغراءات الشيطان الكثيرة.

الشيطان الداخلي للإنسان هو أنني شاب حالياً، وأنّني سأتوب إن شاء الله عندما أصل الى سنّ الكهولة. أنتم لا تعرفون أن التوبة لن تكون سهلة المراس في سن الكهولة. الشجرة التي تم غرسها حديثاً بالإمكان قلعها، حتى بإمكان الطفل فعل ذلك. وعندما تنمو يكون بإمكان رجل بالغ أن يقلعها. وإن نمت أكثر من ذلك كانت بحاجة إلى آلة لقلعها. وعندما تتجذّر وتشتدّ على ساقها، مثل شجرة السيد صالح[1] -لا أعرف إن كانت موجودة حالياً أم لا- مثل هذه الشجرة لا يمكن قلعها بسهولة.

إن جذور الأخلاق الفاسدة هي جذور الأعمال التي يقوم بها الإنسان، وتعود بعض جذورها إلى النفس، فهي سهلة في الأول. إنّ صدرت منه معصية لكان بإمكانه أن ينيب بسرعة، لكن إذا كثرت المعاصي استعصت التوبة منها، وكلما تقرّب من سن الكهولة أصبحت المعصية أقوى لأن إرادته لا تسعفه من الذنب الذي يتغلّب على عزمه، ويفقده طاقة المبادرة إلى الخلاص، فلا تؤخّروا التوبة إلى سن الكهولة. لا تقولوا: عندما نكبر نتوب، لأنّ الإقلاع عن الذنب عسير في تلك السن.

هكذا يوسوس الشيطان لكي يحرمنا الدخول إلى ذلك العالم ونحن نتحلّى بالإيمان[2].

١- شجرة عظيمة الجذع كانت موجودة في أحد المقامات القديمة في إيران، ويُضرب بها المثل.

٢- صحيفة الإمام،ج١١،ص٣٠٧.

المحور الثالث:

كبائر الذنوب وطرق علاجها

المحتويات:

- الدرس العاشر: أصول الكفر (١).
- الدرس الحادي عشر: أصول الكفر (٢).
- الدرس الثاني عشر: الموجبات السبع.
- الدرس الثالث عشر: أكبر الكبائر (١).
- الدرس الرابع عشر: أكبر الكبائر (٢).
- الدرس الخامس عشر: أكبر الكبائر (٣).
- الدرس السادس عشر: آفات اللسان (١).
- الدرس السابع عشر: آفات اللسان (٢).

الكفايات:

١. التعرّف على أهم الذنوب الكبيرة التي تعتبر مورد ابتلاء من خلال ما ورد في القرآن والروايات.

٢. الوقاية من الوقوع في الكبائر من خلال معرفة الطرق العلاجية.

٣. تهيّب الوقوع في الكبائر من خلال معرفة آثارها.

الدرس العاشر:

أصول الكفر (1): (الكِبْر)

أهداف الدَّرس:

أن يكون الطَّالب مع نهاية الدرس قادراً على أن:

١. يتعرَّف على مفهوم أصول الكفر الوارد في الروايات.

٢. يبيّن حقيقة الكِبْر وأسبابه وآثاره السَّلبيّة.

٣. يشرح العلاج المناسب للتخلّص من مرض الكبر.

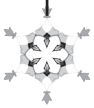

أصول الكفر:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**أصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد، فأمّا الحرص فإنّ آدم عليه السلام حين نُهِيَ عن الشّجرة حمله الحرص على أن أكل منها، وأمّا الاستكبار فإبليس حيث أُمِرَ بالسّجود لآدم فأبى، وأمّا الحسد فابْنَا آدم حيث قتل أحدهما صاحبه**»[1].

إن المتتبِّع لروايات أهل البيت عليهم السلام - خصوصاً ما ورد في موضوع «الكفر والإيمان» - يجدها أعطت للكفر عناوين متعدِّدة، نذكر منها: أصول الكفر، علامات الكفر، منازله، موجباته، وغير ذلك.

وسوف نعرض في هذا الدرس مصطلح «أصول الكفر»، وهي الأمور التي تؤدّي إلى الكفر أو تكون مسبّبة له، والتي تتمثَّل في الروايات بثلاث خصال تشكِّل ثالوث الكفر، وهي: «الاستكبار، الحرص، الحسد»، وذلك حسب ما تقدَّم في رواية الإمام الصادق عليه السلام. وإلى هذه الأصول ترجع أغلب الذنوب، روي عن محمد بن مسلم بن شهاب قال: سئل علي بن الحسين عليه السلام أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟ فقال: «**ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله أفضل من بغض الدنيا، وإن لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعباً، فأوّل ما عصي الله به الكبر، وهي معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين، والحرص وهي معصية آدم وحوا حين قال الله عز وجل لهما: ﴿كُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فأخذا مالا حاجة بهما إليه**

١- أصول الكافي، ج٢، ص٢٨٩.

فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة، وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو والثروة، فصرنّ سبع خصال، فاجتمعنّ كلهنّ في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنياءان: دنيا بلاغ ودنيا ملعونة»[1].

حقيقة الكِبْر:

الكِبْر على نحوين:

- كِبْر الباطن: وهو خُلُق في باطن الإنسان ونفسه.
- كِبْر الظاهر: وهي الأعمال التي تصدر بواسطة جوارح الإنسان.

إنّ سلوك المتكبِّر وأعماله الجوارحية الظاهرية هي - في الحقيقة - ثمرةُ باطنه، لأن الباطن هو الأصل، والظاهر فرعٌ منه. فعندما يرى الشَّخص نفسه فوق مستوى الآخرين، بحيث يغدو ذلك معتقداً عنده، فيفرح به ويركن إليه، ويعتزُّ به في نفسه، يكون قد اتَّصف بـ «بخُلُق الكِبْر». وعندما يظهر ذلك الخُلق على سلوكيات الشخص تجاه الآخرين يسمى ذلك الخُلق بالتكبُّر، وهو ما أراد بيانه الإمام عليه السلام عندما تحدَّث عن الخُلُق الذي منع إبليس من السجود لآدم عليه السلام.

والكِبْر حالةٌ نفسيَّةٌ تجعل الإنسانَ يترفّع ويتعالى على الآخرين ويحتقرهم، ويرى أنّ لنفسه الفضلَ على النَّاس كلّهم. وهو من الأمراض النَّفسيَّة والقلبيَّة المذمومة شرعاً وعقلاً، ومنشؤه -بشكلٍ أساسٍ- إعجابُ الإنسان بنفسه وحبّه المفرط لها. ومن النَّاس من يتكبَّر على الغير بعلمه، أو بعبادته، أو بحَسَبِه، أو بجماله، أو بقوّته، أو بكثرة أولاده وأهله، أو بمنصبه، وهكذا.

والكِبْر يُخرِجُ الإنسانَ عن طور النموّ الطَّبيعي إلى طور النّمو الوهميّ، والذي يُظهر الإنسانَ أكبر من واقعه وأضخمَ من حقيقته، فيرى نفسَهُ ولا يرى غيره، أو يرى نفسه ولا يرى لغيره من شأنٍ ولا خطرٍ. والاستكبار في أصوله بِذرةُ تمرُّدٍ في داخل النَّفس، قوامها حبُّ النَّفس والشَّغف بحفظِ تفرُّدها وذاتيَّتها المظلمة، ومنعها

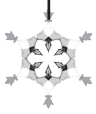

١- أصول الكافي، ج٢، ص١٣٠-١٣١.

من الطَّاعة حتَّى لو كانت لله الكبير المتعال.

وتاريخ التكبّر والاستكبار في العالم تاريخٌ طويلٌ، بدأ مع «إبليس الطَّريد»، فكان الفاتحُ لباب الاستكبار وهو أخطر الأبواب، يقول تعالى: ﴿**يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ**﴾[1].

درجات الكِبْر:

الكِبْرُ كأيّ مرضٍ من الأمراض القلبية يشتدّ ويضعف في النَّفس بحسب حال الإنسان ومدى استفحال هذه الآفة في باطنه، ويمكننا أن نقسّم الكِبْر إلى ثلاث درجاتٍ أساسيَّةٍ، هي:

الأول: التكبّر على الله تعالى وأوامره:

وهذا النَّوع من أفحش أنواع التكبّر ويؤدّي بصاحبه إلى الكفر، كما حدث لإبليس اللعين: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾[2]. وفرعون الذي كان ملكاً على مصر والذي استكبر وطغى، والذي حدثت بينه وبين نبي الله موسى عليه السلام مناظرات كثيرة، حتَّى إذا أمره موسى عليه السلام بالإيمان لله تعالى وعبادته، أبى واستعلى وادّعى الربوبية لنفسه، كما ذكر ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾[3].

ومنشأ هذا النوع من الكِبْر كما يقول الإمام الخميني قدس سره: «هو منتهى الجهل، وعدم معرفة الممكن[4] حدود نفسه، وعدم معرفة مقام واجب الوجود»[5].

أمّا عن مرجع هذه الدرجة من الكِبْر فيقول الإمام الخميني قدس سره مبيّناً حقيقة هذه الدرجة: «أمّا التكبّر على أوامر الله تعالى فيظهر في بعض العاصين، كأن يمتنع أحدهم عن الحجّ بحجّة أنّه لا يستسيغ مناسكه من إحرام وغيره، أو يترك الصَّلاة؛ لأنَّ السُّجود لا يليق بمقامه، بل قد يظهر ذلك عند أهل النُّسك والعبادة وأهل العلم

١- ص، ٧٥.
٢- البقرة، ٣٤.
٣- القصص، ٣٨.
٤- أي الموجودات دون الله تعالى، سواء أكانت الملائكة، أم الجن، أم الإنس، وهي التي تحتاج في وجودها إلى واجب الوجود (أي الله تعالى).
٥- الأربعون حديثاً، ص١٠٤.

والتديُّن، كأن يتركَ الأذان تكبّراً، أو لا يتقبَّل مقولة الحقّ إذا جاءت ممن هو قريبٌ له أو دونه منزلةً؛ فقد يسمع الإنسان قولاً من زميلٍ له فيردّه بشدّة ويطعن في قائله، ولكنّه إذا سمع ذاك القول نفسه من كبيرٍ في الدين أو الدُّنيا قبله. إنّ شخصاً هذا شأنه لا يكون من طلاب الحقّ، بل يكون تكبّره أخفى عنه الحق، وأعماه تملُّقه لذاك الكبير وأصمَّه. ومثل هذا من يترك تدريس علمٍ أو كتابٍ باعتباره لا يليق به، أو يرفض تدريس أشخاصٍ لا مركزيّة لهم، أو لأنّ عددهم قليل، أو بترك صلاة الجماعة في مسجد صغير....»[1].

الثاني: التكبّر على عباد الله تعالى:

وهذه الدَّرجة منبتها هو التكبُّر على الله تعالى أيضاً، وذلك بأن يستعظم نفسَه ويستحقرَ غيره، فتأبى نفسه عن الانقياد لهم، وتدعوه إلى الترفُّع عليهم، فيزدريهم ويستصغرهم ويأبى مساواتهم. ويظهر هذا النوع من خلال مظاهر متعدِّدة، منها رفضُ مجالسة الفقراء، والتقدُّم في المجالس، وفي المشي، ونحو ذلك...

يقول الإمام الخميني قدس سره مبيّناً بعض مصاديق هذه الدرجة من الكِبْر: «وأقبحه التكبّر على العلماء، ومفاسده أهم وأكثر من كلّ شيء. ومن هذا التكبّر رفض مجالسة الفقراء، والتقدّم في المجالس والمحافل، وفي المشي والسلوك. وهذا النوع من التكبّر رائج وشائع بين مختلف الطبقات، ابتداءً من الأشراف والأعيان والعلماء والمحدّثين والأغنياء حتَّى الفقراء والمعوزين، إلا من حفظه الله من ذلك»[2].

أسباب الكِبْر:

يرى الإمام الخميني قدس سره أنَّ للكِبْر أسباباً ومناشئ عديدةً، ولكن: «ترجع كلّها إلى سببٍ أساسٍ واحد، وهو توهُّم الكمال في النَّفس، ما يبعث على العُجب الممزوج بحبِّ الذَّات، فيحجب (عن الإنسان) كمال الآخرين ويراهم أدنى منه، ويترفَّعُ عليهم قلبيَّاً أو ظاهريَّاً»[3].

وهناك عوامل وأسباب أخرى بالإضافة إلى هذا السبب، منها:

١- الأربعون حديثاً، ص١٠٤- ١٠٥.
٢- الأربعون حديثاً، ص١٠٤، ١٠٥.
٣- الأربعون حديثاً، ص١٠٤، ١٠٥.

1. الجهل: إنّ جهل الإنسان بحاله وعدم إدراكه لوضاعته ونقصه واحتياجه، وغفلته عن حقيقة خلقته، وتناسيه أنّ أصلَه نطفةٌ من مني، وأنّه في طريقه ليكون جيفةً نتنةً، وتغافله عن مثواه الأخير، والعاقبة التي بانتظاره في يوم من الأيام التي لا مفرَّ منها ولا مهربَ، هذا الجهل بحقيقة النَّفس وما ستؤول إليه، هو من الأسباب المهمَّةِ الدَّاعية لتكبّر الإنسان وتعاليه على الآخرين.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «**عجبت للمتكبّر الفخور، كان أمس نطفة وهو غداً جيفة!**»[1].

2. العُجب: إذا توهّم الإنسان أو رأى في نفسه صفةَ كمالٍ ما، فاستحسنها، وانتابته حالةٌ من السّرور والفرح والاعتداد بالنَّفس حتَّى صار معجباً ومفتوناً بما توهّمه أو رآه، فغدا لا يرى أيّ قيمةٍ لأعمال الآخرين، بل يجدها دائماً ناقصةً ولا ترقى لمستوى أعماله وإنجازاته، فيحتقرها ويزدريها ويبخِّس من قيمتها ما استطاع إليه سبيلاً، وفي المقابل يجدُ نفسه أهمّ من الآخرين وأعظم، فيقع في شراك التكبّر المهلكة.

3. الحِقد: الحقود لا يمكن أن تطاوعه نفسه للتواضع أمام الآخرين، خصوصاً إذا ما امتزج هذا الحقد بالغضب والعصبية، ففي هذه الحالة سوف يجد التكبّر أرضاً صالحة لغرس بذوره السيّئة والمفسدة في النَّفس.

4. الحسد: هو أيضاً من العوامل الرئيسة المسبّبة للتكّبر والترفّع على الآخرين. فالحسد يوجب البغض للمحسود، وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد، ويدعو أيضاً إلى الجحود بالحقّ، حتَّى أنّه يمنع من قبول النصيحة وتعلّم العلم. فكم من جاهل بقي في رذيلة الجهل لاستنكاف نفسه من أن يستفيد من أحد علماء بلدته أو أقاربه حسداً وبغياً عليه! فهو يُعرض عنه ويتكبّر عليه مع معرفته بأنّه يستحقّ أن يُتواضع له بفضل علمه، ولكنّ الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبّرين وشمائلهم.

١- بحار الأنوار، ج٧، ص٤٢.

مفاسد الكِبْر:

رذيلة الكِبْر صفةٌ قبيحة، وهي بحدّ ذاتها أحد الأمراض القلبية المهلكة، والتي يتولّد منها مفاسدُ وآثارٌ أخرى، ومن هذه الآثار القبيحة:

1. التعرّض للمقت الإلهي: فالكِبْر يمنع الإنسان من الوصول إلى كمالاته الظاهرية والباطنية، والحظوظ الدنيوية والأخروية؛ لأنّ المتكبّر يمقته اللّه ويذلّه، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**يا هشام، إيّاك والكِبْر على أوليائي، والاستطالة بعلمك؛ فيمقتك الله، فلا تنفعك بعد مقته دنياك ولا آخرتك**»[1].

2. يولّد في النُّفوس الحقد والعداوة: لأنَّ المتكبر لا يحبّ أن يرى أحداً أفضل منه، وهي صفةٌ تحطّ من قدر الإنسان في أعين الآخرين، وتحمل الناس على أن يعاملوه بالمثل، روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من عبدٍ إلا وفي رأسه حكمة ومَلَكٌ يمسكها، فإذا تكبّر قال له: اتّضع، وضعك الله. فلا يزال أعظم الناس في نفسه، وأصغر الناس في أعين الناس، وإذا تواضع رفعها الله عزّ وجلّ، ثم قال: انتعش، نعشك الله. فلا يزال أصغر الناس في نفسه، وأرفع الناس في أعين الناس**»[2].

3. يمنع الإنسان من قبول الحق: كما قال تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[3].

4. يدفع الإنسان إلى احتقار الناس وانتقاصهم: قال تعالى عن استعلاء فرعون وقومه على موسى عليه السلام وبني إسرائيل: ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۝ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ**﴾[4].

5. الحرمان من العلم والمعرفة: الإنسان المتكبّر يحرم نفسه من العلم والمعرفة، ويعيش حالة الجهل المركب دائماً؛ لأن المتكبّر غير مستعدٍ لتحصيل العلوم والمعارف من الأشخاص الذين يراهم دونه أو في مرتبته، في وصيّة الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم، يقول عليه السلام: «**إنّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في**

١- بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣١١.
٢- بحار الأنوار، ج٧٠، ص٢٢٤.
٣- النمل، ١٤.
٤- المؤمنون، ٤٥-٤٦-٤٧.

الصفا، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبّر الجبّار؛ لأنّ الله جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبّر من آلة الجهل»[1].

6. مصدر لكثيرٍ من الذنوب: لو تأمّلنا في حالات الأشخاص الذين يعيشون الحسد، والحِرص، وبذاءة اللسان، والذنوب الأخرى، لرأينا أنّ الداعي لارتكاب جميع الذنوب منشؤه في الأصل هو التكبّر. فهؤلاء لا يجدون في أنفسهم رغبةً لرؤية من هو أفضل منهم، ولذا فإنّ أي نعمة وموهبة تكون من نصيب الآخرين سوف يتعاملون معهم من موقع الحسد، روي عن الإمام علي عليه السلام: «**الحِرص والكِبْر والحسد دواعٍ إلى التقحُّم في الذنوب**»[2].

7. دخول النّار: توعّد الله سبحانه وتعالى صاحب الكِبْر بالعذاب والنّار، فكان الكِبْر سبيلاً وباباً لدخول للعذاب الأليم. قال الإمام الباقر عليه السلام: «**العزّ رداء الله، والكِبْر إزاره، فمن تناول شيئاً منه أكبّه الله في جهنم**»[3]، وعنه عليه السلام: «**الكِبْر مطايا النّار**»[4].

8. الخروج من رحمة الله: إنّ الكِبْر من أخلاق الشّياطين المميّزة، وهذه الصفة كانت أوّل معصية عصي الله بها، فأدّت إلى طرد الشيطان من حضرة الله، وهو يريد أن يوقع الناس في مثل هذه الرَّذيلة. فالشيطان لم يتكبّر على الباري (عزّ وجّل)، بل على آدم عليه السلام، وهو من مخلوقات الحقّ حيث قال: ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾[5]. وكانت النتيجة أن أصبح إبليس مطروداً من ساحة الرحمة الإلهية، كما أخبر عزّ وجلّ: ﴿**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾[6].

علاج الكِبْر:

الكِبْر في حقيقته هو تضخيم للذات وتقليل وتحقير لذوات الآخرين. وهذه الحالة المرضية قد تتعاظم لتصبح مرضاً خطيراً جداً، كجنون العظمة الذي عاشه فرعون والنمرود وغيرهما من طواغيت الماضي وبقيّة طواغيت الحاضر. ولهذا

١- بحار الأنوار، ج١، ص١٥٣.
٢- نهج البلاغة، الحكمة٣٧١.
٣- أصول الكافي، ج٢، ص٣٠٩.
٤- وسائل الشيعة، ج١٥، ص٣٧٧.
٥- الأعراف، ١٢.
٦- الأعراف، ١٣.

حاربت الأديان السماوية كلّها هذه الحالة المرضية، ودعت إلى أخلاقيات مضادة لها، مثل التواضع الذي من شأنه أن يعالج هذه الاضطرابات الفكرية والسلوكية. فالكِبْر سلوك مُكتَسَب، وهو لا يولد مع الإنسان، وعلاجه ممكن من خلال مراعاة الأمور الآتية:

1. تشخيص المرض:

إنّ لمعرفة وجود الكِبْر في النَّفس، ومعرفة درجته دور أساس في معالجة هذه الآفة، بالإضافة إلى تحديد مدى تجذّرها في الباطن؛ فإنه يساهم مساهمةً كبيرةً في تحديد العلاج المناسب لطبيعة الحالة. وتلعب المعرفة النظرية المسبقة بهذا المرض دوراً فعالاً في اكتشافه وتشخيصه المبكر، وذلك من خلال القراءة المسبقة حول هذه المرض، والتفكُّر الدَّائم بآثاره المدمّرة على الصّعيدين الفردي والاجتماعي، أو من خلال الاستماع إلى موعظة حسنة تحيي القلب وتفتِّح الروح، يقول تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى**﴾[1].

2. القرار والمراقبة:

بعد تشخيص المرض، لا بدّ من أخذ القرار بمباشرة العلاج، ويساعدنا على ذلك سماع رأي الآخرين فينا، وتقبّل توجيهاتهم وانتقاداتهم لنا. ولا بدّ من المراقبة الذاتية للنفس؛ لمعرفة مدى التزامها بالقرار الذي اتخذته بعدم التكبّر على عباد الله. ولا مانع من الاستعانة بأشخاصٍ نثق بهم، خصوصاً في بداية الطريق؛ لأن تقييمنا لأنفسنا - في الأغلب - سيكون متحيِّزاً أو غير موضوعي.

3. التنفيذ:

وهي المرحلة الأهم، بل هي نتيجة التّشخيص والقرار، وهناك أساليب متعدِّدة، منها:

أولاً: الرصد اليومي: لمظاهر الكِبْر، وإحصاء حالات التكبّر وموارِدها في اليوم، ونوعيّة التكبّر وكيفيّته. فعلى من تكبّرت؟ على فقيرٍ؟ على عالمٍ؟ على عاجزٍ؟... وبأيّ كيفية؟ بالعبوس؟ بالمشاجرة؟...

١- الأعلى، ٩.

ثانياً: **وضع نظام للتأديب:** بمعنى أن يلجأ الإنسان - في محاسبة النَّفس ومعاقبتها - إلى الطرق الشرعية، في حال تبيّن له أنها خالفت ما تعهّدت به وأقرّته على نفسها بعدم التكبّر والتعالي على الآخرين. ومن طرق المحاسبة: التصدّق، الصوم، القيام بالأسحار، وغيرها من العبادات التي يمكن أن تتثاقل منها النَّفس.

4. اللجوء إلى الله تعالى:

اللجوء إلى اللّه بالدعاء والتضرّع كي يخلّصنا وينجّينا من هذه الآفة المهلكة والهدّامة، والتي تعتبر أهمّ مانعٍ وقاطعٍ لطريق التكامل والرقيّ الإنساني.

وقد ذكر علماء الأخلاق علاجاتٍ متعدِّدة لهذه الصفة، منها ما ذكره الفيض الكاشاني(رض) في المحجّة البيضاء، ومنها ما ذكره الشيخ النراقي(رض) في جامع السّعادات، وما ذكره الإمام الخميني قدس سره في الأربعون حديثاً، وغيرهم ممّا ذكره العلماء في كتبهم القيّمة.

5. الاقتداء بتواضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ورد في سيرة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم - كما جاء في الروايات - أنَّه كان: «... يعلف الناضح، ويعقل البعير، ويقمّ البيت، ويحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع خادمه، ويطحن عنه إذا أعيى، ويشتري الشيء من السوق، ولا يمنعه الحياء أن يعلِّقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه، وينقلب إلى أهله، يصافح الغني والفقير، والصغير والكبير، ويسلّم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير، أو أسود أو أحمر، حرّ أو عبد، من أهل الصلاة، ليست له حلّة لمدخله وحلّة لمخرجه، لا يستحي من أن يجيب إذا دعي، وإن كان أشعث أغبر، ولا يحقّر ما دعي إليه، وإن كان لا يجد إلا حشف الدقل[1]، لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء، هيّن المقولة، ليّن الخُلقة، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بسّاماً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس، شديداً في غير عنف متواضعاً في غير مذلَّة، جواداً من غير سرف، رحيماً لكلّ ذي قربى، قريباً من كل ذمّي ومسلم، رقيق القلب...»[2].

١- حشف الدقل: اليابس الفاسد البالي، والدقل:أردء التمر.

٢- بحار الأنوار،ج٧٠، ص٢٠٨.

١. المتتبِّع لروايات أهل البيت عليهم السلام خصوصاً ما ورد في موضوع «الكفر والإيمان» يجدها أعطت للكفر عناوين متعدِّدة منها: أصول الكفر، علامات الكفر، منازله، موجباته و..

٢. أصول الكفر بحسب ما ورد في الروايات الشريفة هي ثلاثة: الكبر، الحسد، الحرص.

٣. الكِبْر حالةٌ نفسيَّةٌ تجعل الإنسانَ يترفّع ويتعالى على الآخرين، وهو من الأمراض النَّفسيَّة والقلبيَّة المذمومة شرعاً وعقلاً.

٤. منشأ الكبر شدة إعجابُ الإنسان بنفسه وحبّه المفرط لها، وجهله بحقيقة نفسه، وعدم إدراكه لوضاعة نفسه وفقره واحتياجه، بالإضافة إلى عاملي الحقد والحسد أيضاً.

٥. لرذيلة الكبر آثاراً سلبية كثيرة منها؛ المقت الإلهي والخروج من رحمته، حرمان الإنسان من العلم والمعرفة وقبول الحق، سبب للوقوع في الكثير من المعاصي، وليس أخيراً دخول النار.

٦. علاج الكبر يكون بالعلم النافع والعمل الصالح، فعلى المبتلى بهذه الآفة أن يتفكّر ويتأمّل في آثار هذا المرض، ومن ثم يعمل على مجاهدة نفسه بالوظائف والواجبات الشرعية للتخلّص منه.

معصية الشيطان

فيا أيها العزيز، أشدد عزيمتك، ومزّق عن نفسك سجف الجهل، وانج بنفسك من هذه الورطة المهلكة! كان إمام المتقين وسالك طريق الحقيقة ينادي في المسجد بأعلى صوته حتى يسمعه الجيران: «تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ»! وما زادٌ ينفعك سوى الكمالات النفسانية، وتقوى القلب، والأعمال الصالحة، وصفاء الباطن، وخلوص النية من كل عيب وغش.

فإذا كنت من أهل الإيمان الناقص والصوري، فعليك أن تطهّر نفسك من هذا الغش حتى تنضم إلى زمرة السعداء والصالحين. والغش يزول بنار التوبة والندم، وبإدخال النفس في أتون العذاب واللوم، وصهرها في حرارة الندامة والعودة إلى الله. عليك أن تعمل في هذا العالم، وإلاّ فإن ﴿**نَارُ اللّٰهِ الْمُوقَدَةُ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ**﴾. سوف تذيب قلبك. والله أعلم كم قرن من قرون الآخرة يستغرق إصلاحك هذا!! إنّ التطهّر في هذه الدنيا سهل يسير، فالتغّيرات والتصوّرات سريعة الوقوع فيها، أما في العالم الآخر فالتغيير يكون بشكل آخر، فزوال صفة من صفات النفس قد يستغرق قروناً عديدة.

إذاً، أيها الأخ، ما دمت في مقتبل عمرك، وزهرة شبابك، وأوج قوتك، وحرية إرادتك، سارع لإصلاح نفسك، ولا تلق بالاً لهذا الجاه والمقام، وطأ على هذه الاعتبارات بقدميك إنك إنسان، فأبعد نفسك عن صفات الشيطان، فلعلّ الشيطان يهتم بهذه الصفة اهتماماً كبيراً لكونها صفة من صفاته. وهي التي أدّت إلى طرده من حضرة الله، ولذلك فهو يريد أن يوقع الإنسان، عارفاً أو عاميّاً عالماً أو جاهلا، في مثل هذه الرذيلة (الكبر)، حتى إذا ما لقيك يوم القيامة شَمَتَ بك قائلاً: «يا ابن آدم، ألم يخبرك الأنبياء بأن التكبّر على أبيك قد طردني من حضرة الحق. لقد نزلت عليّ لعنة الله لأني احتقرت مقام آدم واستعظمت مقامي، فلماذا أوقعتك نفسك في هذه الرذيلة»؟.

وعندئذ تصبح، أيها المسكين! موضع شماتة أرذل مخلوقات الله وأحطّها، فضلاً عن عذابك وابتلاءاتك وندامتك وحسرتك مما يعجز الكلام عن وصفه. إن الشيطان لم يكن قد تكبّر على الله، بل على أدم وهو من مخلوقات الحق، فقال: ﴿**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾. فاستعظم نفسه واستحقر آدم. وأنت تستصغر بني آدم وتستكبر بنفسك عليهم، فأنت أيضاً تعصي أوامر الله[1].

١- الأربعون حديثاً، الحديث الرابع، فصل في بيان معالجة الكبر.

الدَّرس الحادي عشر:

أصول الكفر (2): (الحِرص، الحسد)

أهداف الدَّرس:

أن يكون الطّالب مع نهاية الدَّرس قادراً على أن:

١. يبيّن حقيقة كل من آفتي الحِرص والحسد.

٢. يعدّد الأسباب الموجبة للوقوع في آفتي الحِرص والحسد.

٣. يذكر الطريق الصحيح لمعالجة آفتي الحرص والحسد.

مفهوم الحِرص:

الحِرص صفةٌ من الصفات النَّفسانية، تدفع الإنسان إلى جمع ما هو أكثر من حاجته، وهو شعبةٌ من حبّ الدُّنيا، ومن الصفات المهلكة والأخلاق الفاسدة.

ونستطيع أن نشبّه الحريص بالشخص المبتلى بداء الاستسقاء (العطاش)، فإن عطشه لا ينطفئ مهما شرب من الماء، وكذا الشخص الحريص، فإنّ نهمه وعطشه وولعه في جمع الأموال والثروات لا يقف عند حد، فتراه يلهث وراء الدُّنيا حتَّى آخر لحظة من عمره، بل إنّ بعضهم يزداد حرصاً وطمعاً كلما ازداد عمره، وأوغل في الشيخوخة.

روي عن رسول الله ﷺ: «**يشيب ابن آدم ويشبّ فيه خصلتان: الحِرص، وطول الأمل**»[1]، وروي عنه أيضاً ﷺ: «**منهومان لا يشبعان: طالب دنيا وطالب علم، فمن اقتصر من الدُّنيا على ما أحلّ الله له سلِم، ومن تناولها من غير حلّها هَلَك، إلا أن يتوب أو يراجع، ومن أخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجا، ومن أراد الدُّنيا فهي حظّه**»[2].

يُفهم من هذه الرواية أنّ طالب الدُّنيا لا يشبع أبداً، بل يبقى في حالة ازديادٍ دائم لا ينقطع؛ لأنّ من طلب بشكل يفوق الحد المعقول، كان ذلك لشدّة حِرصه على جمعٍ زخارفها، وطول أمله في تحصيل ما يتصوّر منها، وكمال محبته لها بنفسها، فهو لا يشبع بتناول مرتبة من مراتبها، بل كلّما حصلت له مرتبة اقتضى الحِرص وطول الأمل تناول مرتبة أخرى فوقها، وهكذا دائماً إلى أن يموت جوعاً»[3].

١- بحار الأنوار، ج٧٠، ص٢٢.

٢- أصول الكافي، ج١، ص٤٦.

٣- شرح أصول الكافي، ح٢، ص١٥٨.

جذور الحِرص وأنواعه:

من أهمّ أسباب الحِرص هو حبّ الدُّنيا، والتعلّق بزخارفها وزبرجها وزينتها. فما تناله النَّفس من حظٍّ في هذه الدُّنيا، سوف يترك أثراً في القلب، وسوف يكون سبباً لتعلّق القلب بها والحِرص عليها. وكلّما ازداد التلذّذ بالدُّنيا، اشتدّ تأثّر القلب بها وحبّه لها والحِرص عليها، كما في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ما فتح الله على عبد باباً من أمر الدُّنيا إلا فتح الله عليه من الحِرص مثله**»[1].

والحِرص الذي يعني شدّة العلاقة والرغبة بشيء معيّن بحيث يسعى جاهداً لتحصيله، هو على نحوين: حِرص ممدوح وآخر مذموم، وذلك بحسب متعلّقه. فإذا وقع الحِرص في طريق الدُّنيا وتحصيل المال والثروة والملذّات فإنه يكون مذموماً، أمّا إذا وقع في طريق الخير، كالحِرص على العلم أو الجهاد في سبيل الله فإنّه يكون ممدوحاً.

روي عن الإمام علي عليه السلام في الحِرص الإيجابي -عند بيانه لصفات المتقين- أنّه قال: «**فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوةً في دين، وحِرصاً في علم**»[2]، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**لا حِرص كالمنافسة في الدرجات**»[3].

يقول العلامة الطباطبائي (رض) في شرح قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً**﴾: «الهلوع صفةٌ مشتقةٌ من الهَلَع، وهو شدّة الحِرص. وذلك أنّ الحِرص الشَّديد الذي جُبل عليه الإنسان ليس حِرصاً منه على كل شيء، خيراً كان أو شراً، نافعاً كان أو ضاراً، بل حِرصاً منه على ما يراه خيراً لنفسه أو نافعاً. وليس الهلع وشدّة الحِرص المجبول عليه الإنسان - وهو من فروع حبّ الذات - في حدّ نفسه من الرذائل المذمومة، كيف؟ وهي الوسيلة الوحيدة التي تدعو الإنسان إلى بلوغ سعادته وكمال وجوده، وإنّما تكون رذيلةً مذمومةً إذا أساء الإنسان في تدبيرها، فاستعملها فيما ينبغي وفيما لا ينبغي، وبالحقّ وبغير حقّ، كسائر الصفات النَّفسانية التي هي كريمة ما لزمت حدّ الاعتدال، وإذا انحرفت إلى جانب الإفراط أو التفريط عادت رذيلةً ذميمة»[4].

١- الكافي، ج٢، ص٣١٩.
٢- نهج البلاغة، خطبة المتقين١٩٣.
٣- بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٦٥.
٤- راجع: الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص١٤ (بتصرف).

الآثار السَّلبيّة للحِرص:

بالرجوع إلى الروايات الشريفة، نجد أنّ للحِرص آثاراً سلبيةً وسيئةً عديدة، نذكر منها:

1. سوء الظن: فالحِرص يؤدّي إلى سوء الظن بالله تعالى، كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**اعلم يا علي، إنّ الجُبن والحِرص والبخل غريزةٌ واحدةٌ، يجمعها سوء الظن**»[1].

2. المشقّة والنَصَب: الحِرص على ملذات الدُّنيا يورث الإنسان التعب، ويوَّرطه في السعي الدائب لتأمين رغباته الموهمة وملذّاته الفانية، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**الحِرص مطيّة التعب**»[2].

3. الفقر والهلاك: الحريص لا يشبع؛ لأنه دائماً يسعى إلى جمع المال وإكثار الثروات، عن الإمام علي عليه السلام: «**الحريص فقير ولو ملك الدُّنيا بحذافيرها**»[3]. ومن الآثار السَّلبيّة للحِرص أنّه سبب لوقوع صاحبه في المزالق والمهالك، روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**إنّ الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم**»[4].

4. الهمّ والغمّ: الحريص يُكبِّل نفسه بالقيود يوماً بعد آخر إلى أن توصد أمامه شيئاً فشيئاً طرق النجاة والفلاح بالكامل، روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**مَثَل الحريص على الدُّنيا كمَثَل دودة القز، كلّما ازدادت من القزّ على نفسها لفّاً، كان أبعد لها من الخروج حتَّى تموت غمّاً**»[5].

5. الوقوع في الحرام: الحِرص يؤدّي إلى الكثير من الذنوب والخطايا والقبائح، ومنها عدم مراعاة الحلال والحرام، وترك احترام الآخرين، والتلوّث بأنواع الظلم والجور والعدوان، فيما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشتر في عهده: «**ولا تُدخلَّن في مشورتك... ولا حريصاً يزيّن لك الشره بالجور...**»[6].

١- بحار الأنوار، ج٦٧، ص٣٨٦.
٢- مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٦١.
٣- غرر الحكم، ص٢٩٥.
٤- أصول الكافي، ج٢، ص٣١٦.
٥- غرر الحكم، ص٢٩٤.
٦- نهج البلاغة، من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رقم ٥٣.

إلى غيرها من العواقب والآثار السيئة التي تورث الإنسان البعد عن الله تعالى، وتبعده عن الكمال يوماً بعد آخر.

علاج الحِرص:

الحِرص سلوك مكتسب يمكن علاجه كالكِبْر، ولا بدّ أن يمرّ بمراحل العلاج التي طرحناها سابقاً في علاج الكِبْر، وهي: مرحلة التشخيص، ثمّ مرحلة القرار، ثمّ مرحلة التنفيذ، ثمّ مرحلة الثواب والعقاب الذاتي، فمرحلة المراقبة، وهذه المراحل يمكن أن تنفع في كلّ الأمراض الأخلاقية.

وقد ذكر علماء الأخلاق عدّة طرق وأساليب لمعالجة مرض الحِرص، أهمّها الرجوع إلى الجذور الأساسية لهذا المرض، والذي يعتبر حب الدُّنيا وسوء الظن بالله تعالى من أهم ركائزه وأسبابه، ويكشف عن وجود خللٍ في البنية العقائدية للإنسان، وبالتحديد خلل في التوحيد الأفعالي لدى المعتقد.

فالذي لا يعتقد بأنّ الله تعالى قادرٌ ورازق، وأنّ كلّ شيء بيده، وأن مفاتيح الخير كلّها عنده، فإنّ هذا سوف يؤثّر في إيمانه وسلوكه، وسوف يكون دافعاً له لجمع الأموال والثروات دون رادعٍ ولا حسيب. أمّا الشَّخص الذي يؤمن إيماناً حقيقياً بقوله تعالى: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾[1]، فإنّه وبدلاً من الحِرص على جمع الأموال، سوف يتركز جلّ همّه على كيفية إنفاق هذا المال في سبيل الله، ويسعى في عمل الخير وخدمة الناس شكراً لله تعالى على نعمه.

والعمدة في علاج هذه الآفة أمران أساسيان[2]:

- العلاج النظري:

وهو أن يتفكّر الإنسان في الآثار السَّلبيّة لهذه الآفة المهلكة، وفي عواقبها الوخيمة على الصعيدين الفردي والاجتماعي، وما يترتّب عليها من المهانة والمذمَّة.

وفي المقابل أن يتفكّر في فضيلة القناعة، وما تحويه من المدح والشَّرف وعزّة النَّفس والاستغناء عن الآخرين، وغيرها من الخصال الحميدة، فقد روي عمرو بن هلال أنّه قال : قال أبو جعفر عليه السلام: «**إيّاك أن تطمح بصرك إلى من**

١- النحل، ٩٦.

٢- جامع السعادات، ج ٢، ص٨٠-٨١-٨٢ (بتصرف).

هو فوقك، فكفى بما قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ...﴾[1]، وقال: **﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾**[2]، **فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله ﷺ، فإنما كان قوته الشعير، وحلواه التمر، ووقوده السعف**[3] **إذا وجده**»[4].

إنّ هذا التفكّر بالنسبة للإنسان مقدّمةً نظريةً وفكريةً تساعده في عدم الوقوع في شراك هذه الآفة الخطيرة. كما إنّ للتأمّل في سيرة الأنبياء والصالحين عظيم فائدة في هذا المجال أيضاً؛ لكونهم الأسوة والقدوة الحسنة التي يُحتذى بها على الدوام.

- العلاج العملي:

أولاً: الاقتصاد في أمر المعيشة حتّى لا يقع في وهم الخوف من الفقد والخسران، فمن كثر إنفاقه يصعب عليه أن يتحلّى بخُلق القناعة بعد ذلك، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**ما عال من اقتصد**»[5]، وعنه ﷺ: «**ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الرضا والغضب**»[6]، وعنه ﷺ أيضاً قال: «**التدبير نصف العيش**»[7]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ضمنت لمن اقتصد ألا يفتقر**»[8].

ثانياً: الاهتمام بأمر الحال، ولا ينبغي أن يكون مضطرباً لأجل المستقبل، وأن يقوّي اعتقاده واعتماده على فضل الله تعالى، ووعده بأنّ الرزق الذي قُدّر له سوف يأتيه حتماً، وإن لم يكن حريصاً، ولا مضطرباً لأجله، ولا يعلم لنفسه مدخلاً يأتي منه رزقه، قال رسول الله ﷺ: «**أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يعلم، فإنّ العبد إذا لم يعلم وجه رزقه كثر دعاؤه**»[9].

١- التوبة، ٥٥.
٢- طه، ١٣١.
٣- السعف: أغصان النخل ما دامت في الخوص.
٤- أصول الكافي، ج٢، ص١٣٧-١٣٨.
٥- موسوعة أحاديث أهل البيت، ج١، ص٣٩٤.
٦- وسائل الشيعة، ج٩، ص٤١.
٧- موسوعة أحاديث أهل البيت، ج٧، ص٤٠١.
٨- أصول الكافي، ج٤، ص٥٣.
٩- بحار الأنوار، ج١٨، ص١٠٧.

الحسد:

الحسدُ مدخلٌ أساسٌ من مداخل الشَّيطان إلى القلب، فبالحسد لُعِن إبليسُ وجُعِل شيطاناً رجيماً. ولقد ذمّ الله تعالى الحسد في القرآن الكريم في مواضعَ متعدِّدة؛ قال تعالى: ﴿**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾[1]، وفي آية أخرى، قال: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا**﴾[2]، وذلك لأنَّ الحاسدَ عندَه شيءٌ من الاعتراض على أقدار الله تعالى التي قدَّرها على عباده. ونار الحسد إذا اشتعلت أحرقت كلَّ القِيَم الفاضلة، وولَّدت رذائل الأخلاق، من حقدٍ وعداوةٍ وسعيٍ لوقيعة بين الأخوان، والبغضاء بين الناس، والتعزّز والترفّع على الآخرين، وغير ذلك.

ولذا اعتبره الإمام الصادق عليه السلام المصدر الثالث للمعصية، وهو أصل من أصول الكفر - كما مرَّ في الرواية - وهو من أمراض القلب الأخلاقية الخطيرة التي تظهر عوارضها بطرق مختلفة، وأشكال مخيفة في كثير من الأحيان، كالسعي الفعلي لإزالة النعمة عن الآخرين، لا تمنّي زوالها فقط.

«وهو من أعظم الأدواء، وأكبر المعاصي وأشرّها، وأفسدها للقلب، وهي أوّل خطيئة وقعت في الأرض لمّا حسد إبليس آدم عليه السلام فحمله على المعصية، فكانت البلية من ذلك إلى الأبد، وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بالاستعاذة من شرّه، ومن شرّ حاسد إذا حسد، بعد أن استعاذ من الشيطان والساحر وأنزله منزلتهما»[3].

تعريف الحسد:

الحسدُ هو تمنّي زوال نعمة المحسود وانتقالها للحاسد أو مجرّد زوالها عنه، فإن لم يتمنّى زوالها بل تمنّى نظيرها فهذه غبطة، وهي ليست ذميمة. فالغبطةُ إذاً هي تمنّي الإنسان أن تكون له نعمة مثلما للآخرين أو أكثر منها، دون أن يتمنّى زوال تلك النّعمة عن الآخر.

والسبب الذي من أجله عُدّ الحسد من أصول الكفر؛ هو كون الحسد في الأصل مرضاً قلبياً، وجحوداً لفضل الله تعالى.

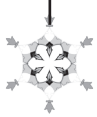

١- الفلق، ٥.

٢- النساء، ٥٤.

٣- كشف الريبة عن أحكام الغيبة، ص٢١٠.

بواعث الحسد:

يرى العلامة المجلسي قدس سره أنّ أسباب الحسد يمكن حصرها في سبعة أمور[1]:

1. العداوة والبغضاء والحقد على الآخرين: وهو من أقوى بواعث الحسد، وأشدّها على مكايدة الحسود واستلاب نعمته، ما يتسبّب في زوال النعمة عن الطرف الآخر الذي يحمل له العداء ويبطن له الحقد.

2. التكبّر والترفّع: لأن الحسود لا يتحمّل أن يرى النعمة على الآخرين، لذا يدفعه هذا الخلق السيّئ إلى الترفّع على المحسود والتكبّر عليه. فإذا أصاب بعض أمثاله ولايةً أو علماً أو مالاً خاف أن يزاحمه أحدٌ، فتراه يعمل على إزالة هذه النعمة قولاً وعملاً، ولكن هذه المرة من باب التعالي والترفّع على المحسود، ولأجل إحراز تفوّقه وغلبته عليه.

3. الاستنكار والرفض: فالحسود إذا رأى نعمةً عظيمةً في إنسان ما قد يتعجّب من كيفية فوزه بهذه النعمة أو الفرصة، فيدفعه هذا الاستغراب إلى إنكار هذه النعمة أو تسفيهها والتقليل من شأنها، كمقدّمة لزوالها لاحقاً، كما أخبر الله تعالى الأمم السّالفة إذ قالوا: ﴿**إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا**﴾[2]، فهم تعجّبوا من أن يُنَوّر بشرٌ مثلهم برتبةِ الرّسالة والوحي والقُرب من الله تعالى؛ فحسدوهم وتمنّوا زوال النبوّة عنهم بغياً وحسداً.

4. الخوف من فوت المقاصد: فالحسود يخاف من أن يزاحمَه صاحبُ النّعمة، ويمنعه من الوصول إلى مقاصده وأهدافه بما لديه من نِعم. لذا يدفعه خوفه هذا إلى استفراغ الوُسع والجُهد لإبعاد من يزاحمه؛ ليتفرّد هو في الوصول إلى هذه الغايات والمقاصد. ومن هذا الجنس تحاسد الأخوة في التَّزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين لأهدافٍ ماليّة مثلاً، وكذلك تحاسد التّلميذين لنيل الحظوة والدّرجة الرّفيعة عند الأستاذ، إذا كان غرضهما نيل الشّهرة وغيرها من الحالات والنّماذج...

١- بحار الأنوار، ج٧٠، ص٢٤٠.

٢- إبراهيم، ١٠.

5. حبّ الرئاسة: حيث يكون سبباً في تمنّي الإنسان المحبّ للسّلطة والمنصب زوال نعمةٍ عن الآخرين، لكي يتمكّن من تحكيم سيطرته وحكومته وبسط نفوذه.

6. خبث الطّينة والسّريرة: وهذا ما يسمّيه بعض العلماء بالبخل، فالبخل ليس فقط عدم الإنفاق في المال، بل من مصاديق البخل أيضاً أن يتألَّمَ الإنسان وينزعجَ عندما يرى نِعم الله تعالى تصل إلى غيره. وهذا في الحقيقة من خبث النَّفس وشُحّها على عباد الله تعالى.

مفاسد الحسد وآثاره:

الحسد كأيّ ظاهرةٍ مرضيةٍ لها أعراض وعلامات تظهر على صاحبها، ولا بدّ من الالتفات لهذه العلامات، والمبادرة إلى علاجها خصوصاً في المراحل الأولى، في الحديث عن إمامنا الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الإمام علي عليه السلام قال: «**للحاسد ثلاث علامات: يتملّق إذا شهد، ويغتاب إذا غاب، ويشمت بالمصيبة**»[1].

وهناك علائم كثيرة ذُكرت للحسد، منها:

1. الفرح بالشرور: الحاسد يحزن ويتألّم عندما يسمع بنعمة تصيب غيره، حتَّى لو لم تظهر آثار الحزن على محياه، ويفرح بالخسارة أو الأضرار والشرور التي تقع على غيره، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الحاسد يفرح بالشرور، ويغتمّ بالسرور**»[2].

2. اللامبالاة: أحياناً قد يكتفي الحسود بإظهار عدم اهتمامه بالطرف الآخر، أو يقطع رابطته وعلاقته معه، وإذا اتّفق أن تحدَّث أحدٌ عنه غيَّر الحديث، وإذا أُجبر على التحدّث فإنه يسعى لإخفاء صفاته البارزة ونقاط قوّته أو اكتفى بالسّكوت[3].

وللحسد نتائجُ سلبيةٌ على المستوى الفردي، يبيّنها الإمام الخميني قدس سره بالقول: «إنّ جميع الصفات المعنوية والظاهرية للمؤمن تتنافى والآثار التي يوجدها الحسد في ظاهر الإنسان وباطنه، ومن هذه الأمور:

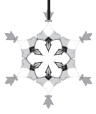

١- بحار الأنوار، ج١، ص١٢٨.
٢- جامع أحاديث الشيعة، ج١٣، ص٥٥٢.
٣- راجع: الأخلاق في القرآن، ج٢، ص١٢٢ (بتصرف).

- أنّ المؤمن بالله تعالى يُحسن الظنّ به، وهو راضٍ بقسمه الذي يقسمه بين عباده. أمّا الحسود فساخطٌ على الله تعالى، يشيح بوجهه عن تقديراته.

- المؤمن لا يغلبه حبّ الدُّنيا، والحسود إنّما هو مبتلىً بشدّة حبّه للدنيا.

- المؤمن لا يداخله خوفٌ ولا حزنٌ إلا من بارئ الخلق، أمّا الحسود فخوفه وحزنه يدوران حول المحسود.

- المؤمن متواضع، والحسود متكبرٌ في معظم الحالات.

- الحسد آفة الإيمان التي تأكله، كما تأكل النّار الحطب، عن الإمام الصادق عليه السلام: «**آفة الدين الحسد، والعُجب، والفخر**»[1]، وعنه: «**إنّ الرجل ليأتي بأيّ بادرةٍ فيكفر، وإنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النّار الحطب**»[2].

- من مفاسد هذا الخُلُق الذميم، أنّه يورث ضيق القبر وضغطته.

- تتولّد عن الحسد مفاسد أخرى، بل إنّ عدداً من السيئات الأخلاقية والأعمال الباطلة الأخرى هي وليدة الحسد، كالكِبْر في بعض الحالات، والغيبة، والنميمة، والشتم، والإيذاء، وغير ذلك ممّا هو من الموبقات والمهلكات»[3].

علاجُ الحسد:

الحسد مرضٌ أخلاقيٌ خطير، لو تسلّط على الإنسان وسيطر عليه فإنّه سيُتلف الإنسان ويدمّر دينه ودنياه. وعلاج هذا المرض - كأيّ مرضٍ أخلاقيٍ آخر - يعتمد على طريقين:

الطريق العلمي:

على الشَّخص الحسود أن يُدقّق ويتأمَّل في الأمور الآتية:

١. أن يعلم علم اليقين أنّ الحسد فيه ضررٌ عليه في الدّين والدُّنيا، وأنه السبب الرئيس في ضعف الإيمان وتآكله كما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام.

٢. أن يتأمّل في النتائج السَّلبيّة والعواقب الضَّارة للحسد التي تقدَّم الكلام عنها.

١- أصول الكافي، ج٢، ص٣٠٧.

٢- أصول الكافي، ج٢، ص٣٠٦.

٣- راجع: الأربعون حديثاً، ص١١٠-١١١.

٣. أن يتأمّل في جذور ودوافع حصول الحسد في النَّفس.

٤. أن يعلم أنّه ما دام في عالم الدُّنيا فإنّ بإمكانه معالجة هذه الصفات والرذائل، وتختلف صعوبة المعالجة وسهولتها حسب شدّة هذه الصفات في النَّفس.

٥. أن يعلم أنّ إزالة الصفة حديثة العهد أسهل بكثير من الصفات المتجذّرة في النَّفس.

٦. عليه المسارعة إلى معالجة مشكلة «ضعف الإيمان» في نفسه؛ فالحسد يكشف عن خللٍ ما في إيمان المرء بالله تعالى وعدم معرفته بالتوحيد الأفعالي للباري عزّ وجلّ، وعليه أن يعمِّق أسس التّوحيد في قلبه.

العلاج العملي[1]:

إنّ أسس العلاج العملي وقواعده تقوم على مراعاة الأمور الآتية:

١. إنّ أهمّ مسألةٍ في العلاج العملي أن يقوم الشخص بالنقطة المضادّة للحسد ويقوّيها في حياته العملية، وهي النصح وحبّ الخير للآخرين، وذلك بأن يتكلّف الإنسان إظهار المحبّة للمحسود وذلك بعكس ما تهواه نفسه الأمّارة وتطلبه.

يقول الإمام الخميني قدس سره: «العلاج العملي لهذه الرَّذيلة هي أن تتكلّف إظهار المحبة للمحسود، وترتّب الأمور بحيث يكون هدفك هو معالجة مرضك الباطني. إنّ نفسك تدعوك لإيذائه واعتباره عدواً، وتكشف لك عن مساوئه ومفاسده، ولكن عليك أن تعمل خلافاً لما تريده النَّفس، وأن تترحَّم عليه وتجلُّه، واحمل لسانك على أن يذكر محاسنه، واعرض أعماله الصالحة على نفسك وعلى الآخرين، وتذكّر صفاته الجميلة...»[2].

٢. أن يكرّر هذا العمل؛ لأنّ التكرار يؤدّي تدريجياً إلى صيرورته عادةً في النَّفس. فلو أنّ الحسود – وبدلاً من سعيه إلى إسقاط الآخرين – تحرَّك نحو تقوية شخصيته هو، وبدلاً من التحدّث بالغيبة وذمّ الطرف الآخر لو سعى إلى ذكر صفاته الإيجابية ومدحه أمام الآخرين، فإنّ ذلك سيترك آثاراً إيجابيةً هائلةً على نفسه، بحيث سيتمكّن من قلع جذور هذه الآفة من النَّفس مع مرور الوقت، وكلّما تحلى أكثر فأكثر بالثبات والعزيمة.

١- راجع: الأخلاق في القرآن، ج٢، ص١٣٠-١٣١ (بتصرف).
٢- الأربعون حديثاً، ص١١٥.

٣. أن يرضى العبد برضا الله تعالى وقسمه، وأن يسلِّم بمشيئته ويقنع من حياته بما أنعم الله عليه؛ لأنّه المالك الحقيقي، وأزمّة الأمور كلّها بيده، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَنْ رَضِيَ بِحَالِهِ لَمْ يَعْتَوِرْهُ الحَسَد**»[1].

١- غرر الحكم، ص٢٠٠.

١. الحِرص صفةٌ نَّفسانية قبيحة تدفع الإنسان إلى جمع ما هو أكثر من حاجته، وهو شعبةٌ من حبّ الدُّنيا، ومن الصفات المهلكة والأخلاق الفاسدة.

٢. منشأ الحِرص هو حبّ الدُّنيا والتعلّق بها. فما تناله النَّفس من حظٍّ في هذه الدُّنيا، سوف يترك أثراً في القلب، وسوف يكون سبباً للتعلّق بها والحِرص عليها والخوف من فواتها.

٣. الحريص مبتلى بأنواع المنغّصات التي تنغّص له معيشته من سوء الظن والمشقة والتعب إلى الهم والغم والقلق الدائم وغيرها من الآثار التي تحرم الإنسان من فرصة التكامل.

٤. عمدة العلاج في الحرص أمران؛ أن يتفكّر في الآثار السلبية لهذه الآفة ومن ثم العمل وفق القواعد والوظائف الشرعية التي حدّدتها الشريعة في هذا المجال.

٥. الحسدُ هو تمنّي زوال النعمة عن المحسود وانتقالها للحاسد، وهو مدخل أساسي من مداخل الشيطان إلى القلب، ومنشأ للكثير من المفاسد الأخرى.

٦. بواعث الحسد عديدة منها التكبّر والحقد على الآخرين، بالإضافة إلى خبث السريرة وحب الرئاسة والجاه.

٧. علاج الحسد هو نفسه علاج التكبّر والحرص، أي من خلال العلم والعمل النافعين.

زرع الخلافات من كبائر الذنوب

أقول اليوم لكل الشعب ولكل الطوائف ولكل المجاميع: أن خصمكم الحالي هو أمريكا، وكذلك الدول الكبرى، وبلادكم تواجه اليوم مثل هذه القوى، وإذا كنتم ترضون الإسلام فعليكم، طبعاً أن ترضوا الدولة الإسلامية، والإسلام في خطر. وإذا كنتم وطنيين، فشعبكم في خطر، ووطنكم في خطر. أن تتظاهروا اليوم ويضرب هذا ذاك وذاك هذا وتقع مثل هذه الأمور، فهذا ما لا يرضاه العقل، إنّه خلاف المعايير العقلية وخلاف الشرع بلا إشكال، وهو من الذنوب الكبيرة التي لا يُعلم أن أحداً إذا أضر اليوم بالإسلام فهل ستقبل منه توبة بعد ذلك أو لا. على الناس المتنوّرين الصالحين أن ينصحوا هولاء الأذناب الذين يريدون القيام بمثل هذه الأمور وإيجاد هذه المفاسد وخلق الاضطرابات، ويقولوا لهم: أنكم مسلمون على كل حال. لماذا يجب أن يعارض المسلم الإسلام؟ ألا تعلمون أنكم تعارضون الإسلام؟ ألا تعلمون أنكم الآن تعارضون بلاد الإسلام؟ ألا تعلمون أن الخلاف إذا وقع بيننا ستحصد نتائجه أمريكا والدول الكبرى؟ ألا تفهمون هذا؟ أو إنكم تفهمون وتتعمدون؟

إنني أعلن أنه لو سبّني أحد، ومزّق صورتي، لا يحق لأحد أن يعترض عليه. الاعتراض حرام على من يسبني أو يمزق صورتي أو يضربني مهما فعل. ليس من حق أحد ونحن مبتلون في هذا الوقت بهذه المصيبة الكبرى أن يجابهه فيجر الأمر إلى الاشتباك وتحدث اضطرابات. إننا نريد الهدوء اليوم. ينبغي أن لا تحدث قلاقل. يجب أن نمد سواعدنا بعضنا لبعض لكيلا تحدث اضطرابات. نمدّ كلنا سواعدنا وأيدينا بعضنا لبعض. حافظوا على هدوئكم، وليهتم الجميع برفع المشكلات التي تواجه شعبنا اليوم. إنني أقول هذا لكل الشعب، أقوله للكرد، أقوله للبلوش. أقوله للاتراك. أقوله للسيستانيين. أقوله للبلوشستانيين. أقوله للعرب، أقوله لكل الشعوب. إن الإسلام يقف اليوم بوجه الكفر. ليست المسألة هي إيران إنما المسألة هي الإسلام الذي يقف اليوم مقابل الكفر. وعلى الشعوب كافة أن توافقنا. وعلى الكل أن يدعوا خلافاتهم جانباً ويتّفقوا معنا. لماذا يختلفون بينهم في أمور صغيرة؟[1]

١- صحيفة الإمام الخميني،ج١١، ص١٥٥.

الدرس الثاني عشر:

موجبات دخول النار

أهداف الدرس:

أن يكون الطالب مع نهاية الدرس قادراً على أن:

١- يبيّن مفهوم السبع الموجبات لدخول النار الواردة في الروايات.

٢- يشرح خصائص كلٍّ كبيرة من الكبائر السّبع الموجبات على حِدى.

٣- يبيّن آثار هذه الكبائر في الدُّنيا والآخرة.

تمهيد:

رُوي عن ابن محبوب أنّه قال: كتب معي بعض أصحابنا إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الكبائر كم هي؟ وما هي؟ فكتب عليه السلام: «**من اجتنب ما وعد الله عليه النّار كفّر عنه سيئاته إذا كان مؤمناً، والسبع الموجبات: قتل النفس الحرام، عقوق الوالدين، أكل الربا، التعرّب بعد الهجرة، قذف المحصنات، أكل مال اليتيم، الفرار من الزحف**»[1]. وفيما يلي سوف نذكر نبذة مختصرة عن هذه الموجبات السبعة:

قتل النفس المحترمة:

عدَّ القرآن الكريم قتل المسلم عمداً – بلا إباحة من الشرع من قصاص أو إجراءٍ لحدّ – واحداً من الذنوب الكبيرة التي توعّد عليها التخليد في جهنّم، ولا تردّد في هذا الأمر ولا شبهة. وذكر القرآن الكريم للقتل الخطأ والعمدي أحكاماً خاصة يمكن مراجعتها في كتب الفقه.

ومعنى النفس المحترمة أنّ دمها محترم ولا تجوز إراقته أو الاعتداء عليه، وقد تصل أحكام القصاص من مرتكبي مثل هذه الكبائر إلى حدود القتل، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا**

١- أصول الكافي، ج٢، ص٢٧٦.

لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾[1].

إنّ حرمة دماء البشر وحرمة قتل النفس المحترمة تعتبر من المسائل المتّفق عليها في كلّ الشرائع السماوية وقوانين البشر، فقتل النفس عن غير وجه حقٍّ يعتبر لدى الجميع من الذنوب والمخالفات الكبيرة، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَ بِالْحَقِّ...**﴾[2].

إلا أنّ الإسلام تعامل بطريقة استثنائية مع هذه المسألة، حيث اعتبر من يقتل إنساناً فكأنما قتل الناس جميعاً، كما في قوله تعالى: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَني إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَميعاً وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَميعاً**﴾[3].

وإنّ حرمة دم الإنسان في الإسلام لا تختصّ بالمسلمين وحسب، بل تشمل حرمةَ غير المسلمين أيضاً من غير المحاربين والذين يعيشون مع المسلمين عيشةً مسالمةً، فإنَّ دماءهم وأعراضهم وأرواحهم مصونةٌ، ويُحَرِّمُ التَّجاوز عليها[4].

ثم إن روايات أهل البيت عليهم السلام اعتبرت أن إشهار السلاح في وجه المسلم هو تعريض للعن الملائكة، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن الإمام علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: « **من أشار إلى أخيه المسلم بسلاحه، لعنته الملائكة حتى ينحّيه عنه**»[5].

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ الحكم بحرمة قتل النَّفس، لا فرقَ فيه بين قتل الإنسان للآخر وبين قتل نفسه أو ما يسمى (الانتحار)، فهو حرامٌ كحُرمة قتل الآخرين، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ۝ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً**﴾[6].

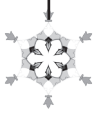

١- الإسراء، ٣٣.
٢- الأنعام، ١٥١.
٣- المائدة،٣٢.
٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٨، ص٤٧٤.
٥- مستدرك الوسائل، ج٩، ص١٤٨.
٦- النساء، ٢٩-٣٠.

عقوبة قاتل النَّفس المحترمة:

وفي بيان عقاب القاتل يقول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**﴾[1]، يستفاد من هذه الآية الكريمة أنَّ للقاتل أربعَ عقوبات:

١. الخلود في جهنّم.

٢. الغضب الإلهي.

٣. الطَّرد من الرحمة الإلهية، وهو معنى اللعن.

٤. العذاب العظيم.

على أنّ القتل الذي جاء في الآية من باب المثال، وإلا فمطلق إزهاق النَّفس حرامٌ ولو بحرقٍ، أو غرقٍ، أو سُمٍّ، أو ما شابه ذلك. أمّا عقوبة القاتل في الدُّنيا فهي القصاص، قال تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[2].

عقوق الوالدين ومظاهره:

يعتبر عقوق الوالدين من كبائر المحرّمات، ومن السّبع الموجبات لدخول النّار أيضاً. وقد دلّت على ذلك النصوص الشريفة من القرآن الكريم وروايات النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

ويشمل عقوق الوالدين قطيعتهما، وترك صلتهما، وعدم الإحسان إليهما. ويظهر ذلك بأشكال مختلفة:

1. التأفّف: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**لو علم الله شيئاً أدنى من أُفٍّ لنهى عنه، وهو من أدنى العقوق، ومن العقوق أن ينظر الرّجل إلى والديه، فيحدّ النَظر إليهما**»[3].

١- النساء، ٩٣.

٢- البقرة، ١٧٩.

٣- أصول الكافي، ج٢، ص٣٤٨.

2. إحزان الوالدين: في الحديث المروي عن رسول الله ﷺ قال: «**من أحزن والديه فقد عقّهما**»[1].

3. النَّظر إليهما بمقتٍ: عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «**من نظر إلى أبويه نظر ماقت لهما - وهما ظالمان له - لم يقبل الله له صلاةً**»[2].

يُفهم من الرِّوايات أنّ أيّ عملٍ يؤدّي إلى أذيّة الأبوين سواءٌ أكان بالقول، أو بالفعل، أو بالإشارة، أو بالكتابة، بأيّ طريقةٍ كان، هو من مصاديق العقوق بعينه.

وهناك مظاهر متعدِّدة للعقوق، ليس من السَّهل حصرها، منها:

- إبكاءُ الوالدين وتحزينهما بالقول أو الفعل.
- التأمّرُ عليهما، وترك الإصغاء لحديثهما، وشتمهما.
- ذمُّ الوالدين أمام الناس، وتشويه سمعتهما.
- المكثُ طويلاً خارج المنزل مع حاجة الوالدين، وأذيّتهما بالخروج.
- البخلُ عليهما والمِنّة، وتعداد الأيادي عليهما.
- إثارةُ المشكلات أمامهما.

الآثار الدُّنيوية والأخرويّة لعقوق الوالدين:

هناك آثارٌ متعدِّدة لعقوق الوالدين تظهرُ في عالم الدُّنيا والبرزخُ والآخرةُ، ومن هذه الآثار:

١. دخول النّار: روي في الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**كن بارّاً واقتصر على الجنّة، وإن كنت عاقّاً ﴿فظّاً﴾ فاقتصر على النّار**»[3]، وعنه ﷺ أيضاً قال: «**الجنّة دار الأسخياء، والذي نفسي بيده، لا يدخل الجنّة بخيل، ولا عاقّ والديه، ولا منّان بما أعطى**»[4]، وعنه ﷺ: «**وليعمل العاقّ ما شاء أن يعمل، فلن يدخل الجنة**»[5].

٢. ردّ الدعاء: من الآثار السلبية لعقوق الوالدين أنّه يمنع من قبول الدعاء،

١- مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١٨٨.
٢- وسائل الشيعة، ج٢١، ص٥٠١.
٣- أصول الكافي، ج٢، ص٣٤٨.
٤- مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١٨٨.
٥- مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١٩٣.

وسبب أساس لردّه، كما في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام - في ذكره لأنواع الذنوب - قال: «**...والتي (أي الذنوب) تردّ الدّعاء وتظلم الهواء، عقوق الوالدين**»[1].

٣. العذاب في الدُّنيا: عقوق الوالدين من المعاصي الثّلاث التي تُعجّل عقوبتها في الدُّنيا ولا تؤخَّر إلى الآخرة، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ثلاثٌ من الذنوب تعجّل عقوبتها ولا تؤجّل إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان**»[2].

٤. التعرّض للسخط واللّعن الإلهي: روي عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**من أسخط والديه فقد أسخط الله، ومن أغضبهما فقد أغضب الله، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فاخرج لهما، ولا تحزنهما**»[3]، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ملعون ملعون من ضرب والده أو والدته، ملعون ملعون من عقّ والديه**»[4].

٥. يورث الفقر: عقوقُ الوالدين من العوامل التي تورث الفقر أيضاً، كما في الحديث عن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «**العقوق يُعقِّب القلّة، ويؤدّي إلى الذّلة**»[5].

٦. لا يكلّمهم الله يوم القيامة: عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**ثلاثة في المَنْسَى يوم القيامة، لا يكلّمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم، وهم المُكذِّب بالقدر، والمدمن في الخمر، والعاقّ لوالديه**»[6].

٧. الشدّة وقت النزع: روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حضر شابّاً عند وفاته، فقال له: قل: لا إله إلا الله، قال: فاعتقل لسانه مراراً، فقال لامرأةٍ عند رأسه: هل لهذا أمّ؟ قالت: نعم، أنا أمّه، قال: أفساخطة أنت عليه؟ قالت: نعم، ما كلّمته منذ ستّ حجج، قال لها: ارضي**

١- أصول الكافي، ج٢، ص٤٤٨.
٢- وسائل الشيعة، ج١٦، ص٣١٢.
٣- وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٩٣.
٤- وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٩٤.
٥- وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٩٥.
٦- وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٩٤.

عنه، قالت: رضي الله عنه برضاك عنه يا رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: قل: لا إله إلا الله، قال: فقالها، فقال له النبيّ ﷺ: ما ترى؟ فقال: أرى رجلاً أسود الوجه، قبيح المنظر، وسخ الثّياب، نتن الرّيح، قد وليني السّاعة، يأخذ بِكَظَمي، فقال له النّبيّ ﷺ: قل: يا من يقبل اليسير، ويعفو عن الكثير، اقبل منّي اليسير، واعف عنّي الكثير، إنّك أنت الغفور الرّحيم، فقالها الشابّ، فقال له النّبيّ ﷺ: انظر، ما ترى؟ قال: أرى رجلاً أبيض اللّون، حسن الوجه، طيّب الرّيح، حسن الثّياب، قد وليني، وأرى الأسود قد تولّى عنّي، قال: أعد، فأعاد، قال: ما ترى؟ قال: لست أرى الأسود، وأرى الأبيض قد وليني، ثمّ طفا على تلك الحال»[1].

علاج عقوق الوالدين:

يبقى أن نشير إلى أنّ علاج العقوق بسيطٌ وسهلٌ، وهو لا يتطلّب سوى العمل على عكس هذا الفعل القبيح، وتوطين النّفس الدّائم على البرّ من خلال المجاهدة الدّائمة للنّفس على ذلك، حتّى يصبح البرّ في النّفس ملكةً راسخةً، وسجيّةً حميدةً. ومن خلال طاعتهما، والإحسان إليهما، والتلطّف بالكلام، والحذر من نهرهما، ورفع الصوت عليهما، وتجنّب لومهما وتقريعهما، والإصغاء إليهما، والإقبال عليهما بالوجه إذا تحدّثا، وترك مقاطعتهما أو منازعتهما الحديث. ومن خلال التحبّب إليهما، ومن ذلك مبادأتهما بالسلام، وتقبيل أيديهما ورأسيهما، والتّوسيع لهما في المجلس، فلا يمدُّ يده إلى الطّعام قبلهما، وأن يمشي خلفهما في النهار، وأمامهما في الليل، وخصوصاً إذا كان الطريق مظلماً أو وعِراً. ومن خلال ترك المنّة عليهما عند الخدمة أو العطيّة، ومساعدتهما في الأعمال، فلا يليق بالولد أن يرى والديه يعملان وهو ينظر إليهما دون مساعدة لهما.

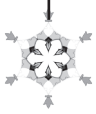

١- وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٨٩.

قذف المحصنة:

القذف: «هو الرّمي بالزّنا أو اللّواط، ومثاله: أن يقول لغيره: زنيت أو أنت زان... ممّا يؤدّي هذا المعنى»[1].

وقد حرّم الله تعالى الاستطالة والتلاعب بأعراض الناس، ومن هذه الكبائر قذف المؤمنات الغافلات العفيفات بالزنا، التي توعّد الله تعالى عليه بالعقوبة الدنيوية والأخروية. والقذف ليس مختصاً بالنساء، بل القذف يعمّ الرجال والنساء، لكنّه في حقّ النساء أظهر وأشهر.

عقوبة قذف المحصنات:

إنّ نسبة الزنا وما شابه ذلك للمسلمة المحصنة أو المسلم المحصن يطلق عليه في الفقه الإسلامي «القذف»، والله تعالى في القرآن قد توعّد مرتكب هذه الكبيرة بأربع عقوبات، ثلاث في الدُّنيا وواحدة في الآخرة.

- أما العقوبات في الدُّنيا، فهي:

١. الجَلد ثمانين جلدة.

٢. عدم قبول شهادته، بل ردّها مطلقاً ما لم يتوب إلى الله.

٣. الحكم عليه بالفسق، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[2].

- أما في الآخرة:

فقد أوجب الله تعالى عليه اللعنة والطرد من رحمته، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[3].

كل هذه الزواجر وغيرها من أجل الحفاظ على الأعراض، وصون المجتمع المسلم

١- تكملة منهاج الصالحين، ص٤٣.

٢- النور، ٤.

٣- النور، ٢٣-٢٤.

من الشَّائعات التي تلوِّث سمعته، وتشوِّه صورته من قبل الحاقدين والفاسدين، والذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في المجتمع الإسلامي.

أكل مال اليتيم:

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...**﴾[1]، وقال عزّ وجلّ في آية أخرى: ﴿**...وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا**﴾[2].

نهى الله سبحانه وتعالى عن أكل مال اليتيم ظلماً، وذكر آية أخرى غير ما تقدَّم في وعيد من يأكل أموال اليتامى، وحدّد نوع الجزاء والعقاب، فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾[3]، فالذين يأكلون مال اليتامى ظلماً وعدواناً، فإنّما يأكلون في بطونهم ناراً تتأجّج، سواءٌ أكانت النّار فعليةً في بطونهم، أو نار الجزاء التي سوف تظهر لهم يوم القيامة.

مفهوم اليتيم وأحكامه:

اليتيم هو: «من مات أبوه قبل بلوغه»[4]، لا يعي أمراً ولا يدرك تصرّفاً، فإذا بلغ لا يُسمّى يتيماً، وقد يفقد أبويه معاً، فيكون أعظم حاجةٍ وأشدّ تأثّرٍ، ولليتيم في الإسلام حالتان:

الأولى: أن يموت أبوه ويترك له مالاً، فتتكفّل به أمه أو أحد أقاربه، فيحفظ له ماله ولا يقربه إلا بالحسنى، ثم يؤدّيه إليه حين يرى أنّه يستطيع التصرّف فيه.

الثانية: أن يموت أبوه ولم يترك له مالاً، وهذا يُنفق عليه من باب التعاون على البرّ والتقوى من باب ﴿**...وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ...**﴾[5]. فلا تلازم بين الفقر واليتم، فقد يكون اليتيم فقيراً وقد يكون غنياً، ومشكلته غنياً لا تقلّ عن مشكلته فقيراً، فإن كان فقيراً فمشكلته قلّة المال فيجب تأمين احتياجاته، وإن كان غنياً فمشكلته العجز عن التصرّف في ماله.

ومن أجل ذلك فقد عُني الإسلام بالأيتام عنايةً كبيرة، فتارةً يأمر بالقسط

١- الإسراء، ٣٤.
٢- النساء، ٢.
٣- النساء، ١٠.
٤- معجم ألفاظ الفقه الجعفري، باب الياء، ص ٤٥٧.
٥- البقرة، ٨٣.

إليهم ﴿**وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ**﴾[1]، وأخرى بالإحسان إليهم ﴿**وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى**﴾[2]، وثالثةً بعدم القهر ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ**﴾[3]، كلّ ذلك يبيّن شدَّة اهتمام الإسلام باليتامى. أمّا في أموالهم فقد حذّر الله ونهى أشدّ النهي عن التصرّف بمالهم إلا بالتي هي أحسن، ومن هنا أمر الإسلام بوجوب اتخاذ وصيّ ينوب عن اليتيم في التصرّف بأمواله، ووضع شروطاً وضوابطاً لذلك، يمكن مراجعتها في كتب الفقه.

أكل مال اليتيم في الروايات:

عن عبد الله بن يحيى الكاهلي، قال: قيل لأبي عبد الله عليه السلام عن أكل مال اليتيم، فقال: «**إنّا ندخل على أخٍ لنا في بيت أيتام ومعهم خادم لهم، فنقعد على بساطهم، ونشرب من مائهم، ويخدمنا خادمهم، وربما طعمنا فيه الطعام من عند صاحبنا وفيه من طعامهم، فما ترى في ذلك؟ فقال عليه السلام: إن كان في دخولكم عليهم منفعةٌ لهم فلا بأس، وإن كان فيه ضرر فلا، وقال عليه السلام: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[4]، فأنتم لا يخفى عليكم، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[5]**»[6].

وعن علي بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ لي ابنة أخٍ يتيمة، فربما أهدى لها الشيء، فآكل منه، ثمّ أطعمها بعد ذلك الشيء من مالي، فأقول: يا ربّ، هذا بهذا؟ فقال عليه السلام: «**لا بأس**»[7].

الفرار من الزحف:

الفرار من الزحف من الكبائر المنصوص عليها في الآيات وروايات أهل البيت عليهم السلام، والتي اعتبرتها من السبع الموبقات أو الموجبات لدخول النّار. وقد صرّح القرآن الكريم بحرمتها، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ**

١- النساء، ١٢٧.
٢- النساء، ٣٦.
٣- الضحى، ٩.
٤- القيامة، ١٤.
٥- البقرة، ٢٢٠.
٦- الكافي، ج٥، ص١٢٩.
٧- الكافي، ج٥، ص١٢٩.

كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ۝ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1].

تعريفه وأسباب تحريمه:

هو الفرار من أرض المعركة الشرعية التي أمر بها الإمام المعصوم عليه السلام أو نائبه في عصرنا الحاضر.

وفي أسباب تحريمه رُوي عن الإمام الرضا عليه السلام في خبر محمد بن سنان: إنّ أبا الحسن كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: «**حرَّم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين، والاستخفاف بالرسل والأئمة العادلة، وترك نصرتهم على الأعداء، والتقوية لهم على ترك ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية، وإظهار العدل، وترك الجور، وإماتة الفساد، لما في ذلك من جرأة العدوّ على المسلمين، وما يكون ذلك من السبي والقتل، وإبطال دين الله عزّ وجلّ، وغيره من الفساد**»[2]، ويستفاد من الرواية أنّ سبب تحريم الفرار من الزحف هو الأمور الآتية:

- الوهن في الدين.
- الاستخفاف بالرسل والأئمة العادلة.
- ترك نصرة الأولياء على الأعداء.
- ترك نصرة دعوتهم.
- جرأة العدو على المسلمين وغير ذلك من المفاسد[3].

التعرُّب بعد الهجرة[4]:

التعرّب بعد الهجرة مصطلح إسلامي، أطلقه الشارع المقدّس على ظاهرة

١- الأنفال، ١٥-١٦.

٢- بحار الأنوار، ج٦، ص٩٨.

٣- جواهر الكلام، ج٢١، ص٥٦.

٤ التعرّب: هو التخلّق بأخلاق الأعراب من سكّان البادية، والأعراب جمع «الأعرابي» وهو الجاهل من العرب، والبدوي الذي لم يتفقّه في الدين. فمعنى التعرُّب هو الإقامة والسُكنى مع الأعراب، والتأقلم مع جاهليتهم، والتخلُّق بأخلاقهم. وهو من السبع الموجبات أو الموبقات، ومن الكبائر التي تؤثّر على الفرد والمجتمع.

الهجرة: المقصود بالهجرة هنا، هو التحوّل الإيجابي من حياة البداوة والجاهلية والكفر إلى الحياة الملتزمة بتعاليم الإسلام وفي حاضرة الإسلام، كما حصل بالنسبة إلى المسلمين الأوائل، حيث أسلموا وهاجروا إلى المدينة، حيث أقام الرسول صلى الله عليه وآله دولة الإسلام.

نكوص بعض المسلمين وابتعادهم عن المجتمع الإسلامي، وعدم إيثارهم السُكنى مع المسلمين في ظلّ الدولة الإسلامية بعد هجرتهم إلى دار الإسلام وممارستهم حياة الالتزام الديني، مما يدلّ على تركهم الالتزام بتعاليم الإسلام، وتخلّيهم عن الدفاع عن الإسلام، وتقاعسهم عن نصرة مبادئه وقيمه.

كتب الإمام علي بن موسى عليه السلام إلى محمد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله: «**وحرَّم الله عزّ وجلّ التعرّب بعد الهجرة؛ للرجوع عن الدين، وترك المؤازرة للأنبياء والحجج عليهم السلام، وما في ذلك من الفساد وإبطال حقّ كلّ ذي حقّ، لا لعلّة سُكنى البدو، ولذلك لو عَرَفَ الرجل الدين كاملاً لم يجز له مساكنة أهل الجهل، والخوف عليه؛ لأنّه لا يؤمَن أن يقع منه ترك العلم، والدخول مع أهل الجهل، والتمادي في ذلك**»[1].

والقاعدة الأساسية في موضوع «التعرب بعد الهجرة» هي أنّ العبرة ليست في الأرض ومكان السكن، إنّما العبرة بالالتزام والمحافظة على الدين والتديّن، فلو كان في أرضٍ لا يستطيع إقامة الشعائر الدينية فيها، وجبت المغادرة إلى أرض أخرى، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من فرَّ بدينه من أرضٍ إلى أرض - وإن كان شبراً من الأرض - استوجبت له الجنة، وكان رفيق إبراهيم ومحمد (صلى الله عليهما وآلهما)**»[2].

حرمة الربا:

الربا[3] في الأصل هو الزيادة، ربا المال يربو ربوا إذا زاد وارتفع، والربا زيادة على رأس المال. وعرفّه الإمام الخميني قدس سره: «الربا هو بيع أحد المثلين بالآخر مع زيادة عينية، كبيع كيلو من الحنطة بكيلو منها ودرهم، أو زيادة حكمية (وهي الأجل في أحدهما) كبيع كيلو حالّاً بكيلو مؤجّلاً»[4].

١- وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٠٠.
٢- بحار الأنوار، ج١٩، ص٣١.
٣- مصطلحات الفقه، ص٢٦٧-٢٦٨.
٤- تهذيب تحرير الوسيلة، ج٢، ص٦٤، مسألة ١٢٤.

وحرمة الربا من ضروريّات الدِّين، وهو من الكبائر، عن النبي ﷺ: «**إنّ الله عزّ وجلّ لعن آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه**»[1]، وقد أكّد الكتاب المجيد والسنّة الشريفة على الردع عنها، وبعض النصوص اعتبرتها من أكبر الكبائر، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**درهم ربا أشدّ من سبعين زنية، كلّها بذات محرم**»[2].

ويعدّ الربا أخبث المكاسب، وصاحبه لا يزال في لعنة الله تعالى والملائكة ما كان عنده منه قيراط، والله تعالى إذا أراد إهلاك قوم ما أظهر فيهم الربا. والربا يشترك في إثمه الآكل، والمعطي، والكاتب، والشاهد، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...** ﴾[4]. وقال عزّ وجلّ: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾[5].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا...**﴾، قال: «**قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي إلى السماء، رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم؛ من عظم بطنه، فقلت: من هؤلاء ياجبرائيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا، لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ، وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النّار غدوّاً وعشيّاً، ويقولون: ربّنا، متى تقوم الساعة...**»[6].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**لعن رسول الله ﷺ الربا، وآكله، وبايعه، ومشتريه، وكاتبه، وشاهده**»[7].

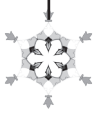

١- بحار الأنوار، ج١٠٠، ص١١٦.
٢- تهذيب تحرير الوسيلة، ج٢، ص٦٤، مسألة ١٢٣.
٣- آل عمران، ١٣٠.
٤- البقرة، ٢٧٥.
٥- البقرة، ٢٧٦.
٦- بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٢٤.
٧- وسائل الشيعة، ج١٢، ص٤٣.

وفي رواية هشام بن الحكم، سأل الإمام الصادق عليه السلام عن علّة تحريم الربا، فقال عليه السلام: «**أنّه لو كان الربا حلالاً لترك الناس التجارات وما يحتاجون إليه، وحرّم الله الربا؛ لتنفر الناس من الحرام إلى الحلال، وإلى التجارات من البيع والشراء، فيبقى ذلك بينهم في القرض**»[1].

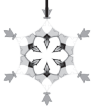

١- وسائل الشيعة، ج١٨، ص١٢.

١. قتل المسلم عمداً بلا إباحة من الشرع من قصاص أو إجراءٍ لحدّ واحداً من الذنوب الكبيرة التي توعّد الله تعالى عليها الطرد من رحمته والخلود في نار جهنّم.

٢. عقوق الوالدين من كبائر المحرّمات، ومن السّبع الموجبات لدخول النّار، ويشمل عقوق الوالدين قطيعتهما، وترك صلتهما، وعدم الإحسان إليهما.

٣. لعدم الإحسان إلى الوالدين مظاهر متنوِّعة منها؛ التأفّف منهما، وإحزانهما، والنظر بمقت وازدراء لهما، وذمهما، والتسبّب بالمشاكل والمنغّصات لهما.

٤. حرّم الله تعالى الاستطالة والتلاعب بأعراض الناس، ومن هذه الكبائر قذف المؤمنات الغافلات العفيفات بالزنا، الذي توعّد الله تعالى عليه بالعقوبة الدنيوية والأخروية.

٥. حرّم الله أكل مال اليتامى ظلماً وعدواناً، وكشف أنهم في الحقيقة إنّما يأكلون في بطونهم ناراً، لأن النار هي الصورة الغيبية لأكل مال اليتيم في الدنيا.

٦. الفرار من الزحف من الكبائر المنصوص عليها في الآيات وروايات أهل البيت عليهم السلام، والتي اعتبرتها من الموجبات السبع المؤدية لدخول النّار.

٧. التعرّب بعد الهجرة بمعنى ترك المسلم الحياة والبيئة الإسلامية، وإيثاره السُكنى مع غير مع ما يستلزمه من ترك للتعاليم الإسلامية، من الأمور التي توعّد عليها الله العذاب الأليم.

٨. يعد الربا أخبث المكاسب، وصاحبه لا يزال في لعنة الله تعالى والملائكة ما كان عنده منه قيراط، والله تعالى إذا أراد إهلاك قوم ما أظهر فيهم الربا.

الندم لا يأتي بسهولة

قلب الانسان صفحة بيضاء، وما أن يرتكب ذنباً، حتى تظهر فيه نقطة سوداء تزداد اتساعاً بازدياد الذنوب، إن قلب الشاب لطيف وملكوتي، لكنه حينما يدخل هذه المجتمعات، ويتدخّل في هذه الأمور فإنه يتعلّم شيئاً فشيئاً -لا سمح الله- ويتعوّد القيام ببعض الممارسات، وما يمرّ عليه ليل ونهار إلا ويكون قد ارتكب ذنباً- نعوذ بالله- فتظهر في قلبه تلك النقطة السوداء، وحينما يشيب ويكون قلبه قد اسودّ تماماً، فلن يتمكّن من إعادته إلى حالته الأولى بيسر، في حين أنتم أيها الشبان تستطيعون ذلك، فلديكم قدرة الشباب.

قدرة الشباب من جهة، وضعف هذه الأمور فيكم من جهة ثانية، يسهل الامر. ولكن كلّما تقدمت أعماركم، ومع كل خطوة تخطونها ونخطوها، فإننا نقترب من الثانية، وتزداد هذه الأمور المنافية لسعادة الإنسان، كما أن التوبة ليست أمراً يتحقّق للمرء بمجرد قوله «أتوب الى الله» فالندم، هذا الندم لا يأتي بسهولة لأولئك الذين أمضوا خمسين عاماً وهم يغتابون الآخرين!

أولئك الذين أمضوا خمسين عاماً وهم يسبّون، ويفحّشون بالقول للآخرين، فمثل ذلك الإنسان قد سقط في الكفر والغيبة، ولن يستطيع الخلاص، وسيظل مبتلياً بذلك حتى آخر عمره. أما الشباب، فحينما يحدث لهم ذلك ولا تسمحوا بحدوث ذلك، فإذا رأيتم أهل مجلس يقعون في الغيبة، كأني قرأت رواية يقول المعصوم عليه السلام فيها لأحدهم: أترك ذلك المجلس، فيجيبه: لا استطيع، فيقول عليه السلام: لو كان قد سب أباك ألا تنهض لمنع ذلك؟ ستنهض حتماً. نعم كأن هناك رواية هكذا. فلا تدع أحداً يغتاب أحداً أمامك، إن السامع أحد المغتابين، فلا تسمحوا بحدوث هذه المفاسد[1].

١- صحيفة الإمام الخميني،ج٢، ص٢٧.

الدرس الثالث عشر:

أكبر الكبائر (1): الشِّرك بالله، اليأس من روح الله، الأمن من مكر الله

أهداف الدرس:

أن يكون الطالب مع نهاية الدرس قادراً على أن:

١. يتعرَّف على مفهوم «أكبر الكبائر».

٢. يشرح الكبائر التالية: الشِّرك بالله، اليأس من روح الله، الأمن من مكر الله.

٣. يبيّن الآثار السلبية لهذه الكبائر ومدى خطورتها على الإيمان والتديّن.

تمهيد:

إنّ مصطلح «أكبر الكبائر» قد مرّ معنا في رواية السيد عبد العظيم الحسني (رض)، حيث روى عن الإمام عليه السلام أنّ أكبر الكبائر هي إحدى وعشرون كبيرة، وهذه الرواية التي سوف نعتمدها[1] في هذه المجموعة مع حذف الكبائر المشتركة بين هذه الدَّرس والدّرس السَّابق.

الشِّرك بالله تعالى:

إنَّ أعظم ما عُصي به الله تعالى منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا هو الشِّرك بالله سبحانه، حتَّى وَصف تعالى الشِّرك بأنّه ظلمٌ عظيم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[2].

والشِّرك هو أن يجعل الإنسان لله تعالى شريكاً في الذات، أو في الصفات، أو في الأفعال، أو في العبادة.

ومفهوم الشِّرك يقابله مفهوم الكفر، أي كلّ مشركٍ فهو كافرٌ، وليس كلُّ كافرٍ مشركٌ؛ لأنّ الإنسان قد يقوم بأعمالٍ أو يعتقد بأمورٍ توجب كفرَهُ دون أن يتخذ مع الله تعالى شريكاً، كمنكر ضروريات الدين، إذ ينطبق عليه عنوان الكفر دون الشِّرك.

فالشِّرك ظلم عظيم، كما قال لقمان عليه السلام لابنه وهو يعظه: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ**

١- هناك اعتبارات متعددة جعلتنا نعتمد رواية عبد العظيم الحسني، منها: كونها صحيحة السند، اشتمالها على أكبر عدد من الكبائر، وكون الرواية قد بيّنت الكبائر حسب ورودها في القرآن الكريم، مع ذكر آية لكلّ كبيرة.

٢- لقمان، ١٣.

لابْنِه وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشرك بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرك لَظُلْمٌ عَظيمٌ﴾[١].

وهو من أعظم المهلكات، ومن أكبر الكبائر، وقد وردت آيات كريمة وروايات شريفة تحذّر من خطورة هذا المعتقد الفاسد، الذي يمنع من قبول أيّ عمل يصدر من الإنسان، منها قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللّه لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشرك بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشرك بِاللّه فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ **مَنْ يُشرك بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النّار وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَار**﴾[٣].

ومما روي عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال لعبد اللّه بن مسعود: «**إيّاك أن تشرِك باللّه طرفة عين، وإن نشرت بالمنشار، أو قطّعت، أو صلبت، أو حرقت بالنّار**»[٤].

أنواع الشِّرك:

قسّم العلماء الشِّرك إلى قسمين:

- **الشِّرك الأكبر:** وهو صرف العبادة كلياً لغير اللّه، أو الاعتقاد بربوبية أو ألوهية أحدٍ غير اللّه. وهذا النوع مخرج من الإسلام.

- **الشِّرك الأصغر:** وهو إشراك غير اللّه تعالى بالعمل، كالصلاة والصيام من أجل الناس وعلى أعينهم، وهو ما يُصطلح عليه بالرياء، روي عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام: «**كلّ رياء شِرك، إنّه من عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل للّه كان ثوابه على اللّه**»[٥].

والرّياء هو عبارة عن إظهار وإبراز شيءٍ من الأعمال الصّالحة، أو الصِّفات الحميدة، أو العقائد الحقّة الصّحيحة للناس؛ لأجل الحصول على منزلة في قلوبهم، والاشتهار بينهم بالصَّلاح، والاستقامة، والأمانة، والتديُّن، بدون نيّةٍ إلهيّةٍ صحيحةٍ وخالصةٍ.

١- لقمان، ١٣.
٢- النساء، ٤٨.
٣- المائدة، ٧٢.
٤- بحار الأنوار،ج ٧٥، ص١٠٧.
٥- أصول الكافي، ج٢، ص٢٩٣.

والرِّياءُ أنواعٌ ودرجاتٌ، منها:

الأوّل: أن يُظهر العقائد الحقّة الإلهية، و أن يبعد نفسه عن العقائد الباطلة أيضاً بهدف الحصول على الجاه والمنزلة في قلوب الناس.

الثاني: أن يُظهر الخصال الحميدة، أو أن يتبرّأ ممّا يقابلها.

الثالث: أن يأتي بالأعمال والعبادات، أو أن يترك أعمالاً محرّمةً أو مكروهة، كلّ ذلك بهدف مراءاة الناس، وجلب قلوبهم»[1].

رُوي عن زيد الشّحّام قال: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي سمعتك تقول: نيَة المؤمن خيرٌ من عمله، فكيف تكون النيّة خيراً من العمل؟ قال: لأنّ العمل ربّما كان رياءً للمخلوقين، والنيّة خالصة لربّ العالمين، فيعطي عزّ وجلّ على النيّة ما لا يعطي على العمل**»[2].

وفي رواية أخرى عن الإمام الرضا عليه السلام: «**ليس من رجل يعمل شيئاً من الثواب، لا يطلب به وجه الله، إنّما يطلب تزكية الناس، يشتهي أن تسمع به الناس، إلا أشرك بعبادة ربّه في ذلك العمل، فيبطله الرياء، وقد سمّاه الله تعالى الشِّرك**»[3].

علاج الشِّرك:

علاج الشِّرك يكمن في تقوية دواعي الإيمان في النفس، من خلال العلم، والتعلّم، والأخذ بعين الاعتبار الأسباب الكامنة وراء هذه الآفة والمسبّبة لها. ولا بد من دراسة كلّ سبب من أسباب الشِّرك، وعلاجه على حدة. فعلى الفرد المؤمن - لتجنب الوقوع في شراك الشِّرك بالله تعالى المهلكة - المسارعة والمبادرة إلى معالجة الشبهات في أوّل ظهورها؛ لأن استفحال الشبهة قد يمنع من علاجها في أغلب الأحيان.

ولكن يبقى أنّ العلاج الأنجع والأسلم هو تقوية أسس الإيمان في العقل والقلب، ﴿**وَلكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإيمانَ وَزَيَّنَهُ في قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾[4].

١- راجع: الأربعون حديثاً، ص ٤٦-٤٧.

٢- وسائل الشيعة، ج١، ص٥٣.

٣- فقه الرضا، ج١، ص٣٨٧.

٤- الحجرات، ٧.

اليأس من روح الله تعالى:

مفهوم اليأس من روح الله وخطورته:

حين تضعف الإرادة، وتلين العزيمة، فإنّ النفس تنهار عند مواجهة أحداث الحياة ومشاكلها، فمن مشكلة اقتصادية ومالية، وأخرى أُسرية، وثالثة دراسية، وهكذا... فتتراكم المشاكل على الإنسان، وتحيط به من كلّ جانب، ويفشل مراراً وتكراراً في حلّها، ويواجه مواقف متعدِّدة، لا يعرف كيف يخرج منها، في هذه الحالة يُصاب البعض باليأس، الذي يكون بمثابة قيدٍ يشلّه، ويمنعه من حريّة الحركة، فيقبع في مكانه غير قادر على العمل والاجتهاد لتغيير واقعه؛ بسبب سيطرة اليأس عليه، ونظرته التشاؤمية إلى كلّ ما هو موجود وقادم، وقد تصل هذه الحالة إلى درجة سوء ظنّه بربّه، وضعف توكّله عليه، وانقطاع رجائه به، ومن تحقيق مراده، هذه الحالة نطلق عليها اسم «اليأس من روح الله» وهي من أكبر الكبائر بعد الشِّرك بالله تعالى.

اليأس في أيّ مرتبة كان، هو عنصرٌ نفسيٌ سيء، فكيف إذا وصل إلى درجة اليأس من كرم الله وعدله، فذلك يُفقد الهمم عن العمل، ويُشتت القلب، ويُورث القلق والألم النفسي، ويقتل روح الأمل. وعلى الإنسان المؤمن أن لا يسمح لليأس بأن ينال من عزيمته وقوّته، وقد قال الله تعالى: ﴿**...وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾[1].

فما دام الإنسان حيّاً، وفيه عِرق ينبض، لا ينبغي له أن ييأس، بل لا بدّ من أن يراجع أسباب فشله، ويدرسها بدقّة، ويَعمد إلى علاجها، راجياً من الله تحقيق مقصوده، ووصوله إلى أهدافه. وإذا دقّقنا في الآية المتقدِّمة، نفهم منها أنّ الكفر هو منشأ اليأس من روح الله تعالى؛ فالآية تفيد بحسب منطوقها أنّ اليائس من الله كفر، وتفيد بمفهومها أنّ المؤمن لا ييأس من روح الله تعالى أبداً.

آثار اليأس من روح الله:

هناك علاقة تبادلية بين اليأس والكفر، بمعنى أنّ النتيجة العملية التي يصل إليها الكافر هي نفسها النتيجة التي يصل إليها اليأس، فالكافر يُرجع ظواهر

١- يوسف، ٨٧.

الطبيعة إلى العلل والأسباب الماديّة المحضة، ولا يرى شيئاً وراء نظام العلّة والمعلول الماديين، بينما المؤمن يعتقد بأنّ وراء هذه العلل الظاهريّة، مسبّبٌ حقيقيٌ، هو الله تعالى، وأنّ إرادته تعالى هي الحاكمة على نظام الأسباب والمسبّبات.

فالشخص الذي يسيطر عليه اليأس، سيصل بالنتيجة إلى قطع الأسباب عن مسبِّبها الحقيقي، وهو الله تعالى، فهي - عملياً - نفس نتيجة الكفر. أمّا المؤمن فلا يسيطر عليه اليأس أصلاً؛ لأنّه يعلم علم اليقين أنّ الإرادة الإلهية فوق كلّ شيء، وأنّها المهيمنة على ذرّات الوجود، فلن يُصاب باليأس أو القنوط. إذن هناك ملازمةٌ واضحةٌ وطبيعيةٌ بين اليأس من رحمة الله وبين الكفر به، كما إنّ هناك ملازمةٌ بين الإيمان بالله، والأمل بالله، ورحمته الواسعة، وقدرته المطلقة.

لتوضيح ذلك أكثر نبيّن الفكرة على الشكل الآتي:

١. إنّ الله تعالى رتّب النظام الكوني على أساس العلل والأسباب، سواء في الأمور الماديّة أو في الأمور المعنوية، فالله تعالى في النهاية هو مسبِّب الأسباب.

٢. ويمكن للبشر في لحظات الغفلة وسكرات القدرة أن يتخيلوا أنّ الأسباب تؤثّر بمفردها، أي بمعزل عن الخالق تعالى، ما يؤدّي إلى نسيان مسبِّب الأسباب الحقيقي، وحزنهم عند زوال الأسباب لاعتمادهم على الأسباب الظاهرية.

ولكن الذي يراجع الظواهر المختلفة التي حصلت مع الأنبياء عليهم السلام، وبالأخصّ مع النبيّ إبراهيم عليه السلام، تجعل الناس يطمئنون إلى أنّ السبب بمفرده لا يؤثّر بلا إرادة المسبِّب الحقيقي، وهو الله تبارك وتعالى. وذلك لكي يأملوا بكرمه، وجوده، ولطفه، والاعتماد المطلق عليه، مع وجود الأسباب، ومع عدمها.

وعليه، يُعدّ اليأس من روح الله ثاني الذنوب الكبيرة، بعد الشِّرك بالله تعالى؛ لأنّ أيّ ذنبٍ من الذنوب التي يرتكبها الإنسان يمكن أن يغفرها الله تعالى بالتوبة النصوح، ولكن اليأس يؤدّي بصاحبه إلى أمرين:

١. ألا يحتمل عفو الله تعالى؛ لأنه لا يأمل بعفوه ومغفرته حتّى يتوب.

٢. اليأس يسبِّب الجرأة على الله تعالى.

علاج اليأس من روح الله:

إنّ علاج اليأس من روح الله، يكمن في أمرين أساسيين:

الأوّل: في الأمور الدنيوية:

أن يعتقد الإنسان بأنّ حوائجه وحوائج جميع الخلق ليست بشيء أمام قدرة الله اللامتناهية، وأن يفكّر في فعل الله فيه وصنعه معه، منذ لحظة انعقاد نطفته إلى وجوده الفعلي، فهو الذي يتلطّف على الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته العديدة.

وعليه فليس الله تعالى بعاجز عن فعل كلّ ما فيه مصلحة الإنسان وصلاحه، ولا هو بخيل فيمنع الخلق عن حاجاتهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الثاني: في الأمور الأخروية:

إذا اعتقد الإنسان بأنّ العفو والمغفرة الإلهية لن تناله أبداً، فاعترته حالة اليأس، فعليه أن يعلم:

١. أنّ يأسه هو من أسوأ الذنوب وأقبحها، بل هو أخطر على الإنسان من أيّ ذنب آخر؛ لأن اليأس سوف يمنعه من طلب العفو والمغفرة من الله تعالى.

٢. أنّ كلّ الذنوب يمكن غفرانها، وأنّ الله يقبل التوبة، بشرط تحقّق شروطها، والتي هي ليست بالأمر المعجز والمشكل، كما قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[١].

وقال عزّ اسمه: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[٢].

الأمن من مكر الله تعالى:

المؤمن بالله تعالى كما أنّه لا يقنط من رحمة الله، كذلك لا يأمن مكر الله، فيسير في هذه الحياة بين خوفه من ربّه ورجائه له، فهو يجمع بين الخوف والرجاء. فإذا خاف فلا يقنط من رحمة الله تعالى، بل يرجو رحمته تعالى من غير أن يتّكل على ذلك ويتمادى في الرجاء حتّى يأمن عقوبة الله، وهو مصرٌّ على الذنوب، ولكنّه

١- الشورى، ٢٥.
٢- الزمر، ٥٣.

يسير بين الأمرين، فهو خائف وراج في آن واحد، يخاف ذنوبه، ويعمل بطاعة ربّه، ويرجو رحمته، كما قال تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[١]، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿**...إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾[٢].

مفهوم المكر:

إنّ الله تعالى يصف نفسه بقوله: ﴿**...وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[٣].

المكر في الأصل: صرف الغير عما يقصده، وهو عبارة عن التدبير الخفيّ المفضي بالمكور به إلى ما لا يحتسب. فالمكر إذا نُسب إلى الإنسان، فمعناه إقامة الحيلة، والخديعة، والوقيعة بالآخرين.

أما إذا نُسب إلى الله تعالى، فهو يعني تدبيره تعالى الذي يخفى على الناس. ويكون بصورٍ وأشكالٍ متعدِّدة، منها إيصال الجزاء والعقوبة للماكرين من حيث لا يشعرون، ومنها إحباط وإبطال الأعمال الشيطانية والمؤامرات التخريبية التي يقوم بها أعداء الدين.

الأسباب المؤدّية إلى الأمن من مكر الله:

الأسباب التي تؤدّي إلى هذه المعصية قد تكون دوافعها موجودةً عند المؤمن والفاسق، على الشكل الآتي:

١. إعراض العبد عن الدين، وغفلته عن الله تعالى وما له من الحقوق، وتهاونه بذلك، فلا يزال مُعرضاً، غافلاً، مُقصِّراً عن الواجبات، مُنهمكاً في المحرمات، حتَّى يضمحلّ خوف الله من قلبه، ولا يبقى في قلبه من الإيمان شيء؛ لأنّ الإيمان بالله يحمل على الخوف منه عزّ وجلّ، وخوف عقابه الدنيوي والأخروي، قال تعالى: ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[٤].

٢. إذا كان العبد جاهلاً، ومعجباً بنفسه، ومغروراً بعلمه، وبقي على هذه الحالة

١- الزمر، ٩.

٢- الأنبياء، ٩٠.

٣- التوبة، ٣٠.

٤- الأعراف، ٩٩.

فقد يتجرأ بعمله، ويزول الخوف عنه، ويرى أنّ له عند الله المقامات العالية، فيغدو آمناً من مكر الله، متّكلا على نفسه الضعيفة، فيُخذل ويحُال بينه وبين التوفيق.

علاج الأمن من مكر الله:

إنّ العلاج الحقيقي للأمن من مكر الله، يكمن في تعادل حالة الخوف والرجاء وتوازنهما في نفسه؛ لأنّ الأمن من مكر الله يرجع بشكل رئيس إلى حالة الإفراط في الخوف أو التفريط في الرجاء. وهي في نهاية المطاف خروجٌ عن الاعتدال، وحتّى يصحّ العلاج لا بدّ من الاعتدال في حالتي الخوف والرجاء، كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام.

فالأمن من مكر الله هي الحالة المعاكسة تماماً لليأس من روح الله تعالى، وتعني استرسال العبد بالمعصية معتمداً على الرحمة الإلهيّة، وأنّ الله تعالى لن يعذّبه، بل سيرحمه ويعفو عنه، فيسترسل في المعاصي والكبائر.

عن ابن المغيرة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قلت له: ما كان في وصية لَقمانَ؟ قالَ: **كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خَفِ الله عز وجل خيفة لو جئته ببرِّ الثقلين لعذّبك، وارجُ الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك. ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام كان أبي يقول: إنّه ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران، نور خيفة ونور رجاء، لو وزِنَ هذا لم يزد على هذا، ولو وزِنَ هذا لم يزد على هذا»**[1].

من هنا ينبغي على المؤمن الالتفات إلى عدّة أمور، منها:

١. أن يخاف الله ربّه المطّلع على أمره في سرّه وعلانيته خوفاً شديداً، يبعثه على طاعته، ويردعه عن جميع معاصيه، ويمنعه عن اتّباع الشهوات التي تبعده عن مرضاته، وتوجب له استحقاق غضبه ومقته.

٢. أن يرجو رحمة الله وعفوه، وإن سبقت منه المعاصي وكثرت الذنوب، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ارجُ الله رجاءً لا يجرِّئك على معاصيه، وخف الله خوفاً لا ييئسك من رحمته**»[2].

١- أصول الكافي، ج٢، ص٦٧.
٢- بحار الأنوار، ج٦٧، ص٣٨٤.

٣. أن يكون عاملاً لما يخاف ولما يرجو، وقد قيل للإمام الصادق عليه السلام: قوم من مواليك يلمّون بالمعاصي، ويقولون نرجو، فقال عليه السلام: «**كذبوا، ليسوا لنا بموال، أولئك قوم ترجّحت بهم الأماني، من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف من شيءٍ هرب منه**»[1].

يقول العلامة الطباطبائي قدس سره: «إنّ البعث من القبور هو السبب والعمدة الداعي إلى الإيمان بالكتاب، واتّباعه فيما يدعو إليه، وأما الاعتقاد بيوم الحساب هو الذي يستتبع الخوف والرجاء، خوف العقاب، ورجاء الثواب الداعين إلى عبادة الله»[2].

١- أصول الكافي،ج٢، ص٣٨٤.
٢- راجع: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص٣٠٥.

١. الشِّرك معناه أن يجعل الإنسان لله تعالى شريكاً في الذات، أو الصفات، أو الأفعال، أو العبادة، وهو أعظم ما عُصي به الله تعالى منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا، حتَّى وَصف تعالى الشِّرك بأنّه ظلمٌ عظيم.

٢. الشرك على نحوين؛ الشِّرك الأكبر وهو صرف العبادة كلياً لغير الله، والشرك الأصغر وهو إشراك غير الله تعالى في النية والعمل، كالصلاة من أجل الناس وهو ما يُصطلح عليه بالرياء.

٣. اليأس من روح الله من الكبائر المنصوص عليها في القرآن والروايات الشريفة، وهناك علاقة تبادلية بين اليأس والكفر، بمعنى أنّ النتيجة العملية التي يصل إليها الكافر هي نفسها النتيجة التي يصل إليها اليأس.

٤. الأمن من مكر الله من الكبائر والمؤمن بالله تعالى كما أنّه لا يقنط من رحمة الله، كذلك لا يأمن مكر الله، فيسير في هذه الحياة الدنيا بين خوفه من ربّه ورجائه له، فهو يجمع بين الخوف والرجاء.

إنها لعبادة كبيرة

قلّما يوجد بين الذنوب ذنباً في القرآن والسنة حظي بالاهتمام كالربا إذ نهي عنه، والسبب هو أنّ الربا إذا شاع يلهو ويعبث وأمواله تتوالد. إذا أراد الإنسان أخذ الربا وفرضه على المسلمين، فهو من ناحية ظلماً بحسب الآية الشريفة التي نعتته بالظلم، ومن ناحية أخرى فإنه يُوجِد البطالة. يجب أن يتحرّك هذا المال ويخلق الأعمال ويأتي منه الرزق. وهؤلاء يضعون المال هكذا في يد شخص ويطالبون بأن يفرّخ لهم من دون عمل، وهذا فساد كبير في المجتمع وقد سمّاه القرآن الشريف ظلماً ﴿لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُون﴾. وقال أيضاً ﴿فَأَذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ﴾ وهذا أمر خطير جداً. بمقدار ما يكون القرض بالربا قبيحاً فإن القرض الحسن الخالي من الربا وكذلك الاقراض، أمر ممدوح...

حقّقوا مع أنفسكم كل ليلة وانظروا ما الذي فعلتموه في الصندوق. هل تعاملتم بازدراء مع هذا المسكين الذي جاء يقترض؟ هذا مهم جداً. قد يعطي الإنسان القرض، وقد يعطي مجاناً، قد يعطي القرض الحسنة، ولكن بوجه مكفهر، أي انه يجرح قلب المقترض، والقلب هو المكان الذي يتجلى فيه الله. إذا اقرضتم فاقرضوا بوجه منشرح...

أنتم المتكفلون بدفع القرضة الحسنة ارفعوا ببشاشتكم وعملكم الصالح هذه النقيصة التي قد يشعرها الإنسان في نفسه والهوان الذي قد يراه في نفسه، فهذا أهم حتى من القرض نفسه. حسنة القرض أعلى من القرض الحسن. فإن تطييب خواطر المعوزين والضعفاء والمستضعفين ربما كان أعظم بكثير من الأعمال الأخرى. وأنتم إذ تمارسون هذه العبادة، وتتكفّلون بهذه العبادة حيث تمنحون القرض الحسن وتفتحون صندوقاً للمحتاجين، اضطلعوا بتلك العبادة أيضاً.

إنها لعبادة كبيرةٌ تطييبُ خاطر الإنسان الذي ربما يكون أكرم منكم عند الله وأنتم لا تعلمون. ربما كان إيمانه بالله أرقى منكم وأنتم لا تعرفون. تطييب خاطر هذا الإنسان أسمى من عملكم ذاك، وإذا أعطى شخصٌ صدقة وارفقها بالمنة فهو منبوذ عند الله وصدقته غير مقبولة أصلًا. ينبغي على الإنسان أن يفكّر بتهذيب نفسه، عليه أن يهذّب نفسه[1].

١- صحيفة الإمام الخميني،ج١٢، ص٣٤٣.

الدرس الرابع عشر:

أكبر الكبائر (2): السّحر، الزِّنا، اليمين الغموس، الغلول، شهادة الزُّور وكتمان الشَّهادة، نقض العهد

أهداف الدرس:

أن يكون الطالب مع نهاية الدرس قادراً على أن:

١. يشرح الكبائر التالية: السِّحر، الزِّنا، اليمين الغموس، الغلول، شهادة الزُّور، كتمان الشَّهادة، نقض العهد.

٢. يبيّن آثار هذه الكبائر ومدى خطورتها على الفرد والمجتمع.

٣. يذكر الطرق الناجعة لمعالجة هذه الذنوب.

تمهيد:

حدّد الدين الإسلامي عدداً من الموبقات وعدّها من أكبر الكبائر، للمفاسد العظيمة الناشئة عن الابتلاء بها وممارستها والقيام بنشرها في المجتمع، ولقد قمنا في الدَّرس السَّابق باستعراض مجموعة من تلك الكبائر العظيمة، وفي هذا الدَّرس سنكمل استعراض مجموعة أخرى من الكبائر العظيمة.

السِّحر:

السِّحر هو: «ما يعمل من كتابةٍ، أو تكلّم، أو دخنةٍ، أو تصويرٍ، أو نفثٍ، أو عقدٍ، ونحو ذلك، بحيث يؤثّر في بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله، فيؤثّر في إحضاره، أو إنامته، أو إغمائه، أو تحبيبه، أو تبغيضه، ونحو ذلك، ويلحق به الكهانة، والشَّعبذة، والتَّسخير، والتَّنجيم»[1].

وهو من الذُّنوب التي ورد التصريح بأنّها من الكبائر، قال تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[2].

١- تحرير الوسيلة، ج١، مسألة ١٦، ص٤٩٨.

٢- البقرة، ١٠٢.

وورد عن رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يدخلون الجنّة: مدمنُ خمرٍ، ومؤمنُ سحرٍ، وقاطعُ رحمٍ**»[1].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من تعلّم شيئاً من السِّحر - قليلاً أو كثيراً - فقد كفر، وكان آخر عهده بربّه، وحدّهُ أن يُقتل إلا أن يتوب**»[2].

وأما حدُّ السَّاحر المسلم في الشَّرع فهو القتل، في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «**ساحر المسلمين يقتل، وساحر الكفّار لا يقتل، قيل: يا رسول الله، ولِم؟ فقال ﷺ: لأنّ الكفر أعظم من السِّحر؛ ولأنّ السِّحر والشِّرك مقرونان**»[3]، ومعناه أنّه إذا كان الكافر غير الحربي لا يقتل بسبب كفره، فبطريق أولى أنّه لا يقتل بسبب سحره؛ فالكفر أعظم من السِّحر، وأمّا ساحر المسلمين فيقتل؛ لأنه اقترب من الشِّرك.

أنواع السِّحر:

1. الكَهانَةُ:

الكهانة هي الإخبار عن الأمور المستقبلية، والتنبّؤ بها، اعتقاداً بوصولها من بعض طوائف الجن، أو بمقدمات وأسباب تنبؤّهم بالمستقبل، كأن يكتشف من خلال كلمات، وحالات، وتصرّفات السائل، بعض الأمور المستقبلية أو الخفيّة.

والكهانة حرام باتّفاق جميع الفقهاء، كما أنّ تعلّم السِّحر، وتعليمه، وعمله، والذَّهاب للكاهن لأجل التكهّن حرام أيضاً، بل ذكر بعض الفقهاء أنّ الكهانة من أقسام السِّحر.

رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من تَكهّن أو تُكهّن له، فقد برِئ من دين محمد ﷺ**»[4].

2. الشَّعبذة والتَّسخير:

الشَّعبذة «وهي الحركات السريعة التي يترتّب عليها الأفعال العجيبة، بحيث يلتبس على الحسّ الفرق بين الشيء وشبهه؛ لسرعة الانتقال منه إلى شبهه»[5]، كما

١- بحار الأنوار، ج٧١، ص٩٠.
٢- وسائل الشيعة، ج١٧، ص١٤٨.
٣- وسائل الشيعة، ج١٧، ص١٤٦.
٤- وسائل الشيعة، ج١٧، ص١٤٩.
٥- الحدائق الناضرة، ج١٨، ص١٨٥.

في فرارة النار، حيث ترى العين دائرةً كاملة من النار؛ نظراً لسرعة حركة الفرارة، في حين أنّ الأمر ليس كذلك في الواقع، ومثل من يركب السيّارة أو الباخرة، فيرى كأنّه هو الساكن، والأرض أو البحر هو المتحرّك.

والشعوذة حرام باتّفاق جميع الفقهاء، وهي من أقسام السِّحر، وقد دلّت الروايات على حرمة هذا الفعل خصوصاً أنه يترافق ولفت الناس عن الله تعالى وعبادته وحرفهم عن محجّة أوليائه المعصومين عليهم السلام، لأنَّ السَّاحر والمشعبذ يدعو لنفسه، ويشابه الله في مخاريق لا يقدر على الإتيان بها غيرُه، وكأنَّه ندٌّ لله تعالى في أرضه! فعن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهوديَّةً كان يختلفُ إليها يتعلَّم منها السّحر والشّعبذة والمخاريق إنَّ المغيرةَ كذب على أبي فسلبه الله الإيمان، وإن قوماً كذبوا عليّ، ما لهم؟ أذاقهم الله حرَّ الحديد**»[1].

وأمّا التَّسخير، فهو استخدام المَلَك، أو الجنّ، أو أرواح البشر، أو سائر الحيوانات، وغير ذلك. والتَّسخير حرام، وعُدّ من أقسام السِّحر.

3. التنجيم:

هو الإخبار القطعي الجازم عن حوادث كونية، كالقحط والكثرة، وزيادة الأمطار وقلّتها، وأمثال ذلك من أنواع الخير والشرّ، والنفع والضرّ، اعتماداً على حركات الأفلاك، واتصالات الكواكب، اعتقاداً بأنّها مستقلَّةٌ في التَّأثير على عالمنا.

أمّا الإخبار عن هذه الأمور بنحو الاحتمال، ومن دون الاعتقاد باستقلاليَّة الأفلاك في التَّأثير، بل الاعتقاد بأنّ الله تعالى هو المؤثِّر الحقيقيّ، فمثل ذلك جائزٌ كالتنبُّؤ بالكسوف والخسوف، وتقارب النُّجوم، وتباعدها عن بعضها، فإنَّه لا مانع من ذلك، إذ أنَّ مثل هذه الأخبار تُعرف بواسطة الحسابات الدَّقيقة لحركات الأفلاك والكواكب، ومداراتها وأوضاعها، ولها أصولٌ وقواعدُ مضبوطةٌ.

وبالجملة، فالمحرَّم من التَّنجيم هو الإخبار القاطع الجازم بالحوادث الكونيَّة، باعتقاد أنَّها من آثار الأفلاك وحركاتها، وهذا القسم من علوم النُّجوم ملحق بالسِّحر.

١- بحار الأنوار، ج٦٤، ص٢٨٠.

الزِّنا وآثاره:

الزِّنا هو وطء المرأة من غير عقدٍ شرعي دائمٍ أو منقطع، ويتحقّق ذلك بإدخال الرجل ذكَره في فرج امرأة تحرم عليه بالأصالة[1].

فالزِّنا من الأمراض الاجتماعية الفتّاكة والخطيرة، والتي تؤدّي إلى تمزّق المجتمع، وإلى قطع الأنساب، والفتن بين النَّاس، وله مفاسدُ عظيمةٌ إلى الحدّ الذي قرنه الله تعالى بالشِّرك به، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ آثَاماً**﴾[2].

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**لا يزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمن**»، فسُئِل عن معنى ذلك، فقال: «**يفارقه روح الإيمان في تلك الحالة حتَّى يتوب**»[3].

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أقرّ نطفته في رحمٍ يحرم عليه**»[4].

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «**في الزِّنا خمس خصال: يذهب بماء الوجه، ويورث الفقر، وينقص العمر، ويسخط الرَّحمن، ويخلّد في النار، نعوذ بالله من النَّار**»[5]، وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً قال: «**إذا كثر الزِّنا من بعدي، كَثُرَ موت الفجأة**»[6].

ومن آثار الزِّنا أيضا أنّه يذهب البركة، ويسبّب خراب الدور، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أربع لا تدخل بيتاً واحدةٌ منهنّ إلا خرب، ولم يعمر بالبركة: الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزِّنا**»[7].

مقدمات الزِّنا:

من أهمّ المقدّمات التي تدفع الإنسان إلى الزِّنا: النظر المحرّم، والخلوة والاختلاط المحرَّمين، الذين يعدّان أرضاً خصبةً جداً للوقوع في فتنة النظر وشهوتها، والتي هي بدورها سبب رئيس للوقوع لاحقاً في الزِّنا، والعياذ بالله. وفيما

١- الحرمة بالأصالة: أي هي ليست زوجته أصلاً، ويقابله الحرمة العرضية أو بالعرض، وهي الحرمة المرتبطة بعنوانٍ جديد وعارض كالحيض، حيث يحرم وطء الحائض في هذه الحالة؛ وذلك للعنوان العارض (أي الحيض) وحكمه الحرمة باتفاق المسلمين.
٢- الفرقان، ٦٨.
٣- بحار الأنوار، ج٧٦، ص٢٨.
٤- الكافي، ج٥، ص٥٤١.
٥- الكافي، ص٥٤٢.
٦- الكافي، ص٥٤١.
٧- بحار الأنوار، ج٧٢، ص١٧٠.

يلي نذكر نبذةً عن هذه المقدمات:

1. الخلوة المحرمة[1]:

الاختلاط - بشكل عامّ - هو أرضٌ خصبةٌ للوقوع في الكثير من الانحرافات السلوكيّة، التي قد تستدرج الإنسان ليجد نفسَه في لحظةٍ ما قد فَقَدَ كلّ الدفاعات النفسيّة التي تقف في وجه وسوسات الشّيطان والنفس الأمّارة بالسوء، وأصبح صريعاً تحت سلطة إبليس اللعين، بعيداً عن الرّحمة الإلهيّة، من هنا كان للاختلاط خطورته الخاصّة، التي تُحتِّم معرفة الحدود الشّرعيّة، والتي تمنع الإنسان من الوقوع في شَرَك إبليس وجنوده، وتؤمّن له الحماية والحصانة الكافيتين؛ ليبقى عزيزاً في هذه الدّنيا، فائزاً في الآخرة.

2. الاختلاط المحرّم:

حرّمت الشريعة المقدّسة نوعاً من الاختلاط، وهو الاختلاط الذي يصل إلى حدّ الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبيّين، ضمن شروطٍ يذكرها الإمام الخميني قدس سره بقوله: «إذا اجتمع الرجل والمرأة في محلّة خلوة، بحيث لم يوجد أحدٌ هناك، ولا يتمكّن الغير من الدخول، فإن كانا يخافان الوقوع في الحرام فيجب أن يتركا المكان»[2].

ويكفي أن يكون الحرام بمقدار النظرة المحرّمة، فمثل هذه الخلوة محرّمة بنفسها، وفي الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «**لا يخلونّ رجل بامرأة؛ فما من رجلٍ خلا بامرأةٍ إلّا كان الشَّيطان ثالثهما**»[3].

ضوابط الاختلاط الحلال:

هناك العديد من الحدود التي يجب أو ينبغي الالتفات إليها واجتنابها عند الاضطرار إلى الاختلاط، نشير إلى بعضها:

1. ترك الخضوع في القول: بمعنى الميوعة في طريقة الكلام، وقد نهى الله تعالى عن ذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾[4].

١- راجع: مكانة المرأة ودورها، إعداد جمعية المعارف الإسلامية (بتصرف).
٢- توضيح المسائل، مسألة ٢٤٤٥.
٣- جامع أحاديث الشيعة، ج٢٠، ص٣٠٩.
٤- الأحزاب، ٣٢.

2. عدم الإمعان في النظر: يقول تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ...**﴾[1]، فعلى المؤمنين والمؤمنات أن يغضّوا من أبصارهم، ومعنى الغضّ في اللغة: الخفض والنقصان من الطرف، وغضّ البصر يعني عدم التحديق والإمعان في الشيء.

روي عن النبيّ الأكرم ﷺ: «**اشتدّ غضب الله على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها، أو غير ذي محرَم منها، فإنّها إن فعلت أحبط الله (عزّ وجلّ) كلّ عمل عملته...**»[2]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**النظرة سهمٌ من سهام إبليس مسموم، وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة**»[3]، وعنه عليه السلام: «**النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة**»[4].

3. ترك المزاح والهزل: ينبغي أن يحافظ كلّ من المرأة والرجل على رصانتهما عند الاختلاط، فلا تطلق المرأة العنان لنفسها لتظهر وكأنّها ذات شخصيّة خفيفة، تميل مع الأهواء بسهولة، فكثرة المزاح والضحك هو من أكثر الأمور التي تُظهر خفّة المرأة، وعدم رصانتها في المجتمع المختلط، وكذلك الرَّجل أيضاً، وفي الرواية عن رسول الله ﷺ: «**من فاكه امرأةً لا يملكها حبسه الله بكلّ كلمة في الدنيا ألف عام**»[5]. فالمزاح يرفع الحواجز النفسيّة، ويمهّد الطريق أمام أيّ انزلاق محتمل.

علاج الزِّنا:

ينقسم العلاج إلى قسمين:

علاج علمي: وذلك من خلال التأمّل والتدبّر بالآثار الوخيمة لهذه الفاحشة العظيمة، سواء أكان على مستوى الفرد أم على مستوى المجتمع، ومراجعة الروايات الواردة في هذا الشأن.

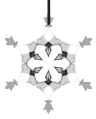

١- النور، ٢٩-٣٠.
٢- وسائل الشيعة، ج٢٠، ص٢٣٢.
٣- وسائل الشيعة، ج٢٠، ص١٩١.
٤- وسائل الشيعة، ج٢٠، ص١٩٢.
٥- وسائل الشيعة، ج٢٠، ج١٤، ص١٤٣.

العلاج العملي: يكون العلاج ضمن القيام بخطوات من شأنها الوقاية والتحصين من الوقوع في الزِّنا، وذلك من خلال الابتعاد عن المقدّمات التي قد تكون أسباباً موجبةً للزنا، سواء أكانت أسباباً قريبةً أم أسباباً بعيدةً، من قبيل:

- الابتعاد عن أماكن الاختلاط بين النساء والرجال، وإذا فُرِض هكذا نوع من الاختلاط، فلا بدّ من مراعاة الضوابط الشرعية.
- الالتفات إلى النظر، وصرفه عن الوقوع في المحرم.
- الابتعاد عن الخلوة المحرّمة، وهي الخلوة بين الرجل والمرأة، ولها تفاصيل في الفقه يمكن مراجعتها.

اليمين الغموس:

اليمين الغموس من الكبائر التي نصّت عليها الروايات الشريفة، ولها عدّة أقسام:

- اليمين المؤكِّدة لأمور ماضية أو مستقبلية.
- اليمين اللغو، التي تخرج من غير قصد لحقيقتها.
- اليمين الكاذبة على أمرٍ ماض.

واليمين الغموس تتعلق بالقسم الثالث، ويمكن تعريفها بأنّها: «اليمين الكاذبة، وصورتها: أن يحلف على أمر ماضٍ كذباً»، وهي من الكبائر، وقد مرّ ذكرها في رواية السيد عبد العظيم الحسني، وقد عدّها الإمام عليه السلام من الكبائر.

وعرّفها الشهيد الثاني(رض): «الحلف على الماضي كاذباً متعمّداً، بأن يحلف أنّه ما فعل، وقد كان فعل، أو بالعكس، وإنّها محرمة، وإنّها سمّيت غموساً؛ لأنّها تغمس الحالف في الذَّنب أو النَّار، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**اليمين الغموس التي توجب النَّار الرّجل يحلف على حقٍّ امرئٍ مسلمٍ على حبس ماله**»[1]، وعنه عليه السلام في رواية أخرى قال: «**من حلف على يمين وهو يعلم أنّه كاذب فقد بارز الله عزّ وجلّ**»[2]. وهي سبب للحرمان من الرّحمة الإلهية، كما جاء

١- الكافي، ج٧، ص٤٣٦.

٢- الكافي، ج٧، ص٤٣٥.

في الحديث القدسي، قال الله عزّ وجلّ: «**لا أنيل رحمتي من يعرّضني للأيمان الكاذبة...**»[1].

الغلول:

يقال: «غَلّ من المَغنَم، يَغُل (بالضم) غُلولاً، خان، والإغلال: الخيانة»[2]، والغلول أخذ شيء من غنيمة الحرب خفية[3].

قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾[4]. «نزلت في حرب بدر، وكان سبب نزولها أنّه كان في الغنيمة التي أصابوها يوم بدر قطيفة حمراء، ففقِدت، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: ما لنا لا نرى القطيفة؟! ما أظنّ إلا رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله في ذلك ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**إنّ فلاناً قد غلّ قطيفة، فاحتفرها هنالك، فأمر رسول الله ﷺ بحفر ذلك الموضع، فأخرج القطيفة**»[5].

وروي عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «**الغلول كلُّ شيء غُلَّ عن الإمام، وأكلُ مال اليتيم شبهةٌ، والسُّحتُ شبهةٌ**»[6].

ومن مصاديق الغلول الاستخدام المفرِط للمال العام، والاستخدام الشَّخصي للممتلكات العامَّة، كالاستخدام الشَّخصي للسيَّارات، والآلات، والعُدَد المملوكة للجهة، والقرطاسيّة، والهواتف، وأجهزة الحاسوب، وآلات التصوير، والطّباعة، وأيّ استخدام شخصيّ آخر لا يكون لصالح العمل الرسميّ. وبالجملة، يحرُم الأخذ من مال المسلمين (أو ما يُسمّى بالمال العام) بغير حقّ، على أيّ وجه كان، ويحرم أيُّ كسبٍ يأتي على حساب الوظيفة العامة استغلالاً، وتحرم المحاباة بإعطاء الامتيازات أو الحقوق لغير مستحقيها، بناءً على المحسوبية في العطاءات، أو الوظائف، أو المِنح

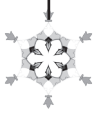

١- وسائل الشيعة، ج٢٣، ص٢٠٨.
٢- اختيار معرفة الرجال، ص١١.
٣- كتاب المكاسب، ج٢، ص٢٩٤.
٤- آل عمران، ١٦١.
٥- بحار الأنوار، ج١٩، ص٢٦٨-٢٦٩.
٦- تفسير العياشي، ج١، ص١٤٠.

الدراسية، أو في إعطاء كلِّ من لا يستحق في أيِّ مجالٍ كان، فهي تدخل كلّها في الغلول.

شهادة الزُّور:

شهادة الزُّور تعني أن يشهد الإنسانُ بغير الحقِّ إما بقول ولسانه وإما بأعماله، وهي سببٌ لزرع الأحقاد والضَّغائن في القلوب؛ لأنّ فيها ضياع حقوق النَّاس، وظلمهم، وطمس معالم العدل. فَمِنْ شأن شهادة الزُّور أنْ تُعينَ الظَّالم على ظلمه، وتعطي الحقّ لغير مستحقّه، وتقوِّض أركان الأمن، وتعصف بالمجتمع وتدمّره، يقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّور وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً**﴾[1]، ويقول عزّ اسمه في آية أخرى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّور**﴾[2] ويقول عزّ وجلّ أيضاً: ﴿**وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً**﴾[3].

حكم شهادة الزُّور وكتم الشَّهادة:

دلّت النُّصوص على حرمة كتمان الشَّهادة، وحرمة شهادة الزُّور على حدٍّ سواء، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**لا ينقضي كلام شاهد الزُّور من بين يدي الحاكم حتَّى يتبوّء مقعده في النَّار، وكذلك من كتم الشَّهادة**»[4].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من كتم شهادةً، أو شهد بها؛ ليهدر بها دم امرئ مسلم، أو ليزوي بها مال امرئ مسلم، أتى يوم القيامة ولوجهه ظلمة مدّ البصر، وفي وجهه كدوح تعرفه الخلائق باسمه ونسبه**»[5].

وعن النبي صلى الله عليه وآله في حديث المناهي: «**إنّه نهى عن شهادة الزُّور، ونهى عن كتمان الشَّهادة، وقال: من كتمها أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلائق، وهو قول الله عزّ وجلّ: وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهادة وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**»[6].

والمستفاد من هذه الأخبار وغيرها أنّ شهادة الزُّور وكتم الشَّهادة من المحرمات والكبائر[7].

١- الفرقان، ٧٢.
٢- الحج، ٣٠.
٣- المجادلة، ٢.
٤- وسائل الشيعة، ج١٨، ص٢٣٧.
٥- وسائل الشيعة، ج١٨، ص٢٢٧.
٦- بحار الأنوار، ج١٠٤، ص٣١٠.
٧- راجع: كتاب الشهادات، ص١٠- ١١.

آثار شهادة الزُّور:

1. عذاب النار: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**شاهد الزُّور لا تزول قدماه حتَّى تجب له النار**»[1]، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «**ما من رجلٍ يشهد بشهادة زور على مال رجل مسلم ليقطعه، إلا كتب الله له مكانه صكاً إلى النار**»[2].

2. العذاب عند قبض الروح: عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**يا علي، إنّ ملك الموت إذا نزل فقبض روح الكافر نزل معه بسفّود من نار، فينزع روحه، فيصيح جهنّم»، فقال علي عليه السلام : هل يصيب ذلك أحداً من أمتك؟ قال: «نعم، حاكم جائر، وآكل مال اليتيم ظلماً، وشاهد زور**»[3].

3. شدّة العذاب يوم القيامة: عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**يُبعث شاهد الزُّور يوم القيامة يدلع لسانه في النّار، كما يدلع الكلب لسانه في الإناء**»[4].

٤. نودي في الكاذبين: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**من شهد على مؤمن بما يَثْلِمُه، أو يَثْلِمُ ماله، أو مُرُوّتَه، سمّاه الله كاذبا**»[5].

علاج شهادة الزُّور:

الطريق الوحيد لمعالجة هذه الآفة وتجنّب آثارها ونتائجها الوخيمة هو التَّوبة إلى الله من هذا الفعل القبيح، والعزم على عدم العود إليه مطلقاً، ومن ثمّ العمل على جبر الآثار والنَّتائج السلبيّة لفعله، من خلال ردّ الأمانات، أو إعادة بذل الشَّهادة الصَّحيحة قدر الوسع والمستطاع، حتَّى لا يترك باباً إلا وسعى إليه من أجل ردِّ المظالم إلى أهلها.

سُئِل الإمام الصادق عليه السلام عن شاهد الزُّور: ما توبته؟ قال: «**يؤدّي من المال الذي شهد عليه بقدر ما ذهب من ماله إن كان النّصف، أو الثّلث إن كان شهد هذا وآخر معه**»[6].

١- بحار الأنوار، ج١٠١، ص٣٠١.
٢- بحار الأنوار، ج١٠١، ص٣١٠.
٣- وسائل الشيعة، ج٢٧، ص٣٢٥.
٤- مستدرك الوسائل، ج١٧، ص٤١٤.
٥- بحار الأنوار، ج١٠١، ص٣١٢.
٦- وسائل الشيعة، ج٢٧، ص٣٢٧.

نقض العهد وعواقبه:

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**لا تعتمد على مودّة من لا يفي بعهده**»[1]. إنّ أوّل وأهمّ عنصر يتسبّب في تقوية الروابط والعلاقات الاجتماعية بين أفراد البشر، هو الوفاء بالعهود والمواثيق، بل يمكن القول: إنّ ميزان نجاح الأشخاص في حياتهم الدنيوية يرتبط بمدى التزامهم بعهودهم، لذا يقرُّ الإمام عليه السلام حقيقةً اجتماعية، مفادها: عدم الاعتماد على الأشخاص الذين لا يوفون بعهودهم. فنقضُ العهد إذاً سوف يؤدّي إلى سلب الثِّقة بين أفراد المجتمع، وبالتَّالي سوف يتلاشى عنصر الاتّحاد والتَّكاتف فيما بينهم، ولن يستطيعوا التصدِّي لعدوّهم المشترك، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**وإذا نقضوا العهد سلّط الله عليهم عدوّهم**»[2].

فنقض العهد ليس من شيم المؤمنين الصالحين، بل هو من صفات الفاسقين والمنافقين. والمؤمن عندما يتعهّد، يجب عليه أن يفي بالتزامه الذي قطعه على نفسه، أو الذي قطعه للآخرين، قال الله تعالى: ﴿**وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ**﴾[3]. وقد حرّم الله على المؤمنين نقض العهود، وأوجب عليهم الوفاء بها، فقال: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً**﴾[4]، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾[5].

وقد توعّد الله ناقض العهد بالعديد من العواقب منها:

1. الخسران العظيم: قال الله عزّ وجلّ: ﴿**الَّذينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ ميثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ**﴾[6].

3. أنه يكون شرّ الخلق عند الله: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذينَ عاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ**﴾[7].

١- غرر الحكم، ص٤١٨.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص٣٧٤.
٣- الأعراف، ١٠٢.
٤- الإسراء، ٣٤.
٥- المائدة، ١.
٦- البقرة، ٢٧.
٧- الأنفال، ٥٥-٥٦.

علاج نقض العهد:

مما تقدّم من بحث «دوافع نقض الغرض وأسبابه» أصبح لدينا المعرفة الكافية بكيفية تحصيل فضيلة الوفاء بالعهد، بالإضافة إلى طرق الوقاية من ضدّها، وعلاج مرض نقض العهد.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**مِنْ دَلائِلِ الإيمانِ الْوَفاءُ بِالْعَهْدِ**»[1]. ويقول: «**ما أيقن بِاللّهِ مَنْ لَمْ يَرْعَ عُهُودَهُ وَذِمَّتَهُ**»[2].

كما إنّ التفكرَّ والتأمّل في العواقب والآثار السلبيَّة لهذا الفعل القبيح يشكّل رادعاً لدى المؤمنين، فيمنعهم من اقتراف هذه الموبقة. فرغم ما يمكن أن يحصّله الإنسان من بعض الربح والمنفعة على المدى القصير بنقضه للعهود، إلا أنّه على المدى الطويل قد يتسبّب ذلك في سقوط شخصيته، ومكانته بين الأصدقاء والأقرباء، وربما في فضيحته في المجتمع، فيخسر بذلك ثقة الناس فيه، عن الإمام علي عليه السلام قال: «**والخُلف يوجب المقت عند الله وعند الناس**»[3].

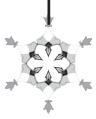

١- مستدرك الوسائل، ج١٦، ص٩٧.
٢- مستدرك الوسائل،ج١١، ص٢٠١.
٣- بحار الأنوار، ج٢٣، ص٦١١.

١. السحر وملحقاته من الكهانة والشَّعبذة والتَّسخير والتَّنجيم من الكبائر التي توعّد الله عليها العذاب الأليم حتى جعل حدّ الساحر القتل.

٢. الزِّنا هو وطء المرأة من غير عقدٍ شرعي دائمٍ أو منقطع فالزِّنا من الكبائر التي نصّ عليها القرآن الكريم وله مفاسدُ عظيمةٌ إلى الحدّ الذي قرنه الله تعالى بالشِّرك به.

٣. للزّنا مقدّمات تدفع الإنسان إلى الوقوع له أهمها النظر المحرّم، والخلوة والاختلاط المحرمين.

٤. اليمين الغموس أو اليمين الكاذبة من الذنوب الكبيرة وصورتها أن يحلف الإنسان على أمر ماضٍ كذباً بشكل عمدي وإنّها سمّيت غموساً؛ لأنّها تغمس الحالف في النَّار.

٥. الغلول وهو أخذ ما لم يبح الانتفاع به من الغنائم وغيرها قبل حوزها من الكبائر، ومن أهم مصاديقها الاستخدام المفرِط للمال العام، أو الممتلكات العامَّة بغير وجهة شرعية.

٦. شهادة الزُّور من المحرّمات الكبيرة في الإسلام وتعني أن يشهد الإنسانُ بغير الحقِّ على أمر ما وصاحبها في النار لأنّ فيها ضياع حقوق النَّاس، وظلمهم، وطمس معالم العدل.

٧. نقض العهد هو من أهم علامات ضعف الإيمان في النفس وهو من الكبائر المنصوص عليها في الإسلام وصاحبها ملعون ومطرود كما نصّ على ذلك كتاب الله العزيز.

أعظم إمتحان

إن إمتحان الناس بالرئاسة والمناصب على إختلاف مستوياتها أصعب من إمتحانهم بنقص الأولاد والأنفس. وإن الإنسان ليجد صعوبة أكبر في اجتياز هذا الامتحان بسلام، دون أن تلحقه تبعات على أعماله، أو أن يلقى الله بصحيفة خالية من الذنوب. فعلى الرؤوساء والمسؤولين ورجال الدولة أينما كانوا وفي أي بلد، أن يعلموا أن الوصول إلى هذه المناصب إنما هو إمتحان إلهي وأي إمتحان، فلينظروا إلى حالهم قبل تسلّمهم لهذه المناصب وبعدها، لينظروا كم طرأ على حالهم من التغيير. فقبل وصولهم إلى هذه المناصب كانوا يكثرون من الإعتراض والإشكال... أما الآن وقد تسلّموا هم أنفسهم هذه المناصب والمسؤوليات فهل سيعملون على نفس الطريقة التي عمل بها من سبقهم فينالهم إنتقاد الأجيال القادمة لهم أم كلا؟ يريدون أن يقتدوا بعلي بن أبي طالب عليه السلام ويعملون على نحو يبقى الناس معه يذكرونهم ويتحدثون عنهم؟ فعلي عليه السلام بعد تسلّمه الحكم والرئاسة- حسب اصطلاحكم أنتم- كانت إيران والعراق ومصر وسائر المناطق الاخرى تحت سلطته وكان يعامل الناس على نحو لا يقدر عليه أي شخص. في إحدى المرات صعد المنبر ليخطب في الناس خطبة الجمعة، كان بين الفينة والأخرى يحرِّك ثوبه، لأنه كان قد غسله ولا يزال مبلّلاً، ولم يكن عنده ثوب غيره ليلبسه.

إننا ندّعي التشيع، إنه مجرد إدّعاء أننا شيعة وأتباع لنهج وخط آل البيت عليهم السلام، إنما الإمتحان الذي سيكشف عن حقيقية أمرنا، هل نحن شيعة حقيقيون، قولاً وفعلاً وسلوكاً أم نحن شيعة مزيّفون ندعي التشيّع فحسب؟ الإمتحان سيكشف لو كنا سنعامل الناس وجميع البشر كما كان يعاملهم علي عليه السلام أم على خلاف ذلك. علي عليه السلام الذي غضب على أشخاص لسلبهم نساءً ذميات (يهوديات ونصارى) قلائدهن وحجالهن، وقال آسفاً: «**فلو أن إمرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً**» ثم ندّعي نحن بأننا

شيعة... لنستيقظ جميعاً! فجميعكم في محضر الله وجميعكم محاسبون غداً، كفّوا عن المخاصمة لأجل المناصب. لا تجعلوا دماء الشهداء سلّماً ترتقونه لتصلوا إلى رغباتكم وأطماعكم[1].

١- صحيفة الإمام، ج١٢ ، ص ٣٦٠

الدرس الخامس عشر:

أكبر الكبائر (3): شرب الخمر- ترك الصلاة متعمّداً - قطيعة الرحم

أهداف الدرس:

أن يكون الطالب مع نهاية الدرس قادراً على أن:

١. يشرح الكبائر التالية: شرب الخمر، ترك الصلاة، قطيعة الرحم.

٢. يبيّن خطورة هذه الكبائر على الفرد والمجتمع.

٣. يذكر الطرق الناجعة لمعالجة هذه الذنوب.

حرمة شرب الخمر:

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾[1].

أوضحت الآية شدّة خطورة الخمر وحرمته من خلال الأمور الآتية:

- قرنه الله تعالى بعبادة الأوثان.
- أطلق عليه لفظ (الرجس).
- اعتبره من عمل الشيطان الخالص.
- أمر الله تعالى اجتنابه، والاجتناب يعني عدم الاقتراب مطلقاً، وهو أشدّ من النهي.
- إنّ الخمر من الأمور التي توقع العداوة والبغضاء بين الناس.
- يبعد عن ذكر الله تعالى، وتحديداً عن الصلاة، بل ويصدّ عنها، والصدّ أعظم من المنع.

وفي بعض الآيات أطلق الله لفظ (الإثم) على الخمر، والإثم يعني الأفعال المُبطِئة عن الثواب، و يأتي الخمر على رأسها.

وبعد كل هذه التأكيدات والحصر بعبارة (إنّما الخمر...) يختم الله تعالى الآية بلغة التهديد ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾، وفي الحديث عن أبي عبد الله الصادق

١- المائدة، ٩٠ - ٩١.

عليه السلام قال: «... **عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: الخمر حرام بعينه، والمسكر من كلّ شراب، فما أسكر كثيره فقليله حرام**»[1]. ولهذا اتّفقت كلمة المسلمين جميعاً على حرمته، واعتباره من الكبائر.

مفاسد شرب الخمر:

من الآثار السلبية لشرب الخمر الواردة في النصوص والروايات الشريفة:

1. الخروج من الإيمان: روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**من زنى خرج من الإيمان، ومن شرب الخمر خرج من الإيمان، ومن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمّداً خرج من الإيمان**»[2].

2. يورث فساد العقل، وذهاب الحياء، والدَّاء الدفين: روي عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**وإنّ الله تعالى حرّم الخمر؛ لما فيها من الفساد، وبطلان العقول في الحقائق، وذهاب الحياء من الوجه، وإنَّ الرّجل إذا سكر فربّما وقع على أمّه، أو قتل النّفس التي حرّم الله، ويفسد أمواله، ويذهب بالدِّين، ويسيء المعاشرة، ويوقع العربدة، وهو يورث مع ذلك الدّاء الدّفينَ**»[3].

3. اللّعن، والحرمان من العلاقة والرَّوابط الاجتماعيّة: روي عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**وإيّاك أن تزوّج شارب الخمر؛ فإن زوّجته فكأنما قدت إلى الزِّنا، ولا تصدّقه إذا حدّثك، ولا تقبل شهادته، ولا تأمنه على شيء من مالك؛ فإن ائتمنته فليس لك على الله ضمان، ولا تؤاكله، ولا تصاحبه، ولا تضحك في وجهه، ولا تصافحه، ولا تعانقه، وإن مرض فلا تَعُدْهُ، وإن مات فلا تشيّع جنازته، ولا تصلّ في بيت فيه خمر محصرة في آنية، ولا تأكل في مائدة يشرب عليها بعدك خمر، ولا تجالس شارب الخمر، ولا تسلّم عليه إذا جزت به، فإن سلّم عليك فلا تردّ عليه السلام بالمساء والصباح، ولا تجتمع معه في مجلس؛ فإنّ اللّعنة إذا نزلت عمّت من في المجلس**»[4].

4. مفتاح كلّ شر: روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ جعل**

١- الكافي، ج٦، ص٤٠٨.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص ٢٧٨.
٣- بحار الأنوار، ج٦٣، ص٤٩١.
٤- بحار الأنوار، ج٦٣، ص٤٩١.

للشرّ أقفالا، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب...»[1] وعن الإمام الصادق عليه السلام في رواية أخرى قال: «**شرب الخمر مفتاح كلّ شرّ**»[2]، وعن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام قالا: «**إنّ الخمر رأس كلّ إثم**»[3].

5. الحرمان من شفاعة المعصوم عليه السلام: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا ينال شفاعتي من استخفّ بصلاته، ولا يرد عليّ الحوض لا والله، لا ينال شفاعتي من شرب المسكر، ولا يرد عليّ الحوض لا والله**»[4].

6. لا تقبل صلاة شارب الخمر: روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**من شرب مسكراً انحبست صلاته أربعين يوماً، وإن مات في الأربعين، مات ميتة جاهليّةً، فإن تاب، تاب الله عزّ وجلّ عليه**»[5].

7. العذاب الأليم في الآخرة: روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**من شرب النّبيذ على أنّه حلال خُلّد في النّار، ومن شربه على أنّه حرام عُذّب في النّار**»[6].

8. اسوداد الوجه: وروي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**يؤتى شارب الخمر يوم القيامة مسودّاً، وجهه مُدْلَعاً لسانه، يسيلُ لعابه على صدره، وحقٌّ على الله عزَّ وجلَّ أن يسقيه من طينةِ خبال (أو قال: من بئر خبال)، قال: قلت: وما بئر خبال؟ قال: بئر يسيل فيها صديد الزّناة**»[7].

ترك الصَّلاة:

الصَّلاةُ فريضةٌ واجبةٌ على كلِّ مسلم، قال تعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿**فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنينَ كِتاباً مَوْقُوتاً**﴾[8]، وتركها يُعدّ من الكبائر التي وُصِف مرتكبها بأنّه مشرك، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشرِكينَ**﴾[9]، فالأمر الإلهي بالصلاة واضحٌ وصريحٌ لا لبس فيه،

١- الكافي، ج٢، ص٣٣٩.
٢- الكافي، ج٦، ص٤٠٣.
٣- الكافي، ج٦، ص٤٠٢.
٤- الكافي، ج٦، ص٤٠٠.
٥- الكافي، ج٦، ص٤٠٠.
٦- الكافي، ج٦، ص٣٩٨.
٧- الكافي، ج٦، ص٣٩٦.
٨- النساء، ١٠٣.
٩- الروم، ٣١.

حتَّى غدت أفضل ما يتوسّل به المتوسِّلون إلى الله، وأوّل ما يحاسب عليه الإنسان عندما يلقاه في الآخرة.

سأل معاوية بن وهب الإمام الصادق عليه السلام عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى الله، فقال عليه السلام: «**ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أنّ العبد الصالح عيسى بن مريم قال: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾**[1]»[2].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**أول ما يحاسب به العبد الصلاة، فإن قُبِلت قُبِل سائر عمله، وإن رُدّت عليه رُدّ عليه سائر عمله**»[3].

حكم تارك الصلاة متعمّداً:

ترك الصلاة عمداً هو من الكبائر المنصوصة، كما ورد التَّصريح بذلك في صحيحة عبد العظيم الحسني المتقدّمة. وحيث إنّ الصلاة في الإسلام من الأحكام الواجبة والضرورية، فإنّ تارك الصَّلاة مع إنكار وجوبها يُعدّ كافراً، وخارجاً من دين الإسلام. أمّا إذا لم يكن منكراً لوجوبها، وكان مؤمناً ومعتقداً بأنّها من الواجبات الشرعية التي حكم بها الله تعالى، ولكن تركه لها إنّما هو عن كسل وإهمال، فإنّ مثل هذا الشخص يُعدّ فاسقاً. والأخبار الواردة في كفر تارك الصلاة ناظرة للصورة الأولى، روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**من ترك الصلاة متعمِّداً فقد كفر**»[4]، وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**تارك الفريضة كافر**»[5].

وسرّ هذا التشديد في الحكم على تارك الصلاة، أنّ ارتكاب المحرّمات ينشأ غالباً من غلبة الشهوة على الإنسان، ودفعها إيّاه نحو المعصية، كما هو في الزِّنا، أو من سيطرة الغضب عليه، فتدفعه نحو الذنوب العظام والقذف، والقتل وغيرها من الموبقات، أما ترك واجب كالصلاة، فإنّه لا تتدخّل الشهوة ولا الغضب إطلاقا في دفعه نحو ترك الصلاة، بل الأمر منحصر في استخفاف الإنسان بحكم الله، واستحقاره للأوامر الدينية. فلهذا السبب دخل ترك الصلاة في عنوان الكفر بالله.

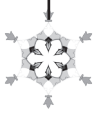

١- مريم، ٣١.
٢- الكافي، ج٣، ص٢٦٤.
٣- وسائل الشيعة، ج٤، ص٣٤.
٤- بحار الأنوار، ج٣٠، ص٦٧٣.
٥- وسائل الشيعة، ج٤، ص٥٩.

فالاستخفاف بالدين واضحٌ في ترك الصلاة، وأظهر من غيره، فإنّ تارك الزكاة والحج مثلاً، قد ينشأ تركه أحياناً من الحِرص على المال، وترك الصوم يمكن أن ينشأ من شهوة البطن، أمّا في ترك الصلاة فلا يوجد دافع لذلك سوى الاستخفاف بالدين، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذا نادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوها هُزُواً وَلَعِباً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ**﴾[1].

العواقب الوخيمة لترك الصلاة:

ترك الصّلاة من الذّنوب التي جاء الوعيد عليها بالعذاب في القرآن المجيد، كما في سورة المدثر: ﴿**فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ**﴾[2].

ويقول تعالى في سورة القيامة: ﴿**فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ۝ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ۝ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ۝ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى**﴾[3].

ذكر بعض المفسّرين أنّ معنى ﴿**أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى**﴾ أي ويلٌ لك، وقد كرّرت هذه الكلمة أربع مرات تأكيداً، أو إشارةً إلى المراتب الأربعة في الهلاك، وهي الهلاك في الدنيا، وعذاب القبر، وأهوال القيامة، والخلود في العذاب.

وورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة، ست منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث يوم القيامة إذا خرج من قبره.**

فأمّا اللواتي تصيبه في دار الدنيا: فالأولى يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله عزّ وجلّ سيماء الصالحين من وجهه، وكلّ عمل يعمله لا يؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظ في دعاء الصالحين.

وأمّا اللّواتي تصيبه عند موته: فأولهن أن يموت ذليلاً، والثانية يموت جائعاً، والثالثة يموت عطشاناً، فلو سقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه.

١- المائدة، ٥٨.
٢- المدثر، ٤٠- ٤٦.
٣- القيامة، ٣١ - ٣٥.

وأمّا اللّواتي تصيبه في قبره: فأولهن يُوكِل الله به ملكاً يزعجه في قبره، والثانية يضيّق عليه قبره، والثالثة تكون الظلمة في قبره.

وأمّا اللّواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره: فأوّلهنّ أن يُوكِل الله به ملكاً يسحبه على وجهه، والخلائق ينظرون إليه، والثانية يحاسبه حساباً شديداً، والثالثة لا ينظر الله إليه، ولا يزكّيه وله عذاب اليم»[1].

صلة الرحم وقطيعتها:

صلة الرحم هي عبارة عن: «الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارةً تكون بالمال، وتارةً بالخدمة، وتارةً بالزيارة، وتارةً بالسلام، وتارةً بطلاقة الوجه، وتارةً بالنصح، وتارةً بردّ الظلم، وتارةً بالعفو والصفح، وغير ذلك من أنواع الصلة، على حسب القدرة، والحاجة، والمصلحة»[2].

وقطيعة الرحم هي خلاف صلته، والمقصود بها: هجر القريب، وترك وصله، والإحسان إليه.

وهناك أحكامٌ عديدة ومتفرّقة تتعلّق بالأرحام، من أهمّها: حرمة قطيعة الرحم ووجوب صلتها، باتفاق جميع الفقهاء، ولذا أوصت الشريعة بالأرحام، داعيةً إلى صلتها، محرِّمةً بأشدّ التعابير قطيعتها.

قطيعة الرحم في القرآن:

صلة الرحم واجبةٌ على المسلم، وقطيعته من الكبائر، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن قطيعة الرَّحم، فقال في محكم كتابه الكريم: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ ۝ أُولئِكَ الَّذينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمى أَبْصارَهُمْ**﴾[3].

والآيات القرآنية التي تحدّثت عن صلة الرحم وقطيعته توزّعت على عنوانين:

العنوان الأول: صلة الرّحم، ويفهم منه بالملازمة حرمة قطيعة الرَّحم.

العنوان الثاني: الآيات التي تحدّثت بشكلٍ مباشرٍ عن قطيعة الرَّحم.

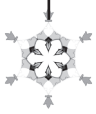

١- بحار الأنوار، ج٨٠، ص٢١.

٢- القاموس الفقهي، صلة الرحم، ص١٤٥.

٣- محمد، ٢.

من الآيات المرتبطة بصلة الرحم:

قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**﴾[1].

﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[2].

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[3].

قطيعة الرحم في الروايات:

فيما يلي بعض الآثار السيئة لقطع الرحم، كما جاءت في الروايات الشريفة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، أهمّها:

1. سبب لتعجّل الفناء:

سمع ابن الكوّاء أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**أعوذ بالله من الذنوب التي تعجّل الفناء، فقال ابن الكوّاء: يا أمير المؤمنين، أيكون ذنوب تعجّل الفناء؟ قال عليه السلام: نعم، قطيعة الرحم، إنّ أهل بيت يكونون أتقياء، فيقطع بعضهم بعضاً، فيحرمهم الله، وإنّ أهل بيت يكونون فجرةً، فيتواسون، فيرزقهم الله**»[4].

2. سبب لقطيعة الله:

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**الرّحم حبلٌ ممدود من الأرض إلى السّماء، يقول: من قطعني قطعه الله، ومن وصلني وصله الله**»[5]، وفي حديثٍ آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**قال الله تعالى: أنا الرّحمن، خلقت الرّحم، وشققت لها اسماً من أسمائي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**»[6].

١- النساء، ٣٦.
٢- الأنفال، ٧٥.
٣- النساء، ١.
٤- موسوعة أحاديث أهل البيت، ج٤، ص٥٢.
٥- مستدرك الوسائل، ج١٥، ص٢٤٢.
٦- مستدرك الوسائل، ج١٥، ص٢٤٢.

3. سبب لقِصَر العمر:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**حدّثني أبي، عن جدّي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل كان قد بقي من عمره ثلاث سنين، ووصل رحمه، فجعلها الله ثلاثين سنة، وإنّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل كان قد بقي من عمره ثلاثون سنة، فقطع رحمه، فجعله الله ثلاث سنين، فقال: هذا الذي قصدت، والله لأصلنّ اليوم رحمي، ثمّ سرّحنا إلى أهلنا سراحاً جميلًا**»[1].

4. الحرمان من الجنة:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ في الجنة درجة لا يبلغها إلا إمام عادل، أو ذو رحم وصول، أو ذو عيال صبور**»[2]، وعنه عليه السلام أيضاً قال: «**إنّ الله خلق الجنّة فطيّبها، وطيّب ريحها، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة ألفي عام، فلا يجد ريحها عاق، ولا قاطع رحم**»[3].

5. العذاب في الدنيا:

روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**في كتاب علي عليه السلام: ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً حتّى يرى وبالهن: البغي، وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة يبارز الله بها، وإنّ أعجل الطاعة ثواباً لَصلة الرحم...**»[4].

أسباب قطيعة الرحم:

هناك أسباب متعدّدة قد تؤدّي إلى قطع الرحم، نذكر منها:

1. عدم المعرفة: فالجهل وعدم المعرفة بعواقب قطيعة الرحم وآثارها الدنيوية والأخروية العاجلة والآجلة، سبب أساس لقطيعة الأرحام، كما إنّ الجهل بأهميّة صلة الرحم وآثارها العاجلة والآجلة قد يؤدّي إلى تقصيرٍ في القيام بحقّ الصلة.

2. الكِبْر: التكبّر - كما مر - هو أحد المنابع الرئيسة للذنوب، ومنها قطيعة الرحم، فبعض الناس إذا نال منصباً رفيعاً، أو حاز مكانةً عالية، أو كان تاجراً

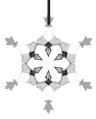

١- بحار الأنوار، ج٤٧، ص١٨٧.
٢- بحار الأنوار، ج٧١، ص٩٠.
٣- بحار الأنوار، ج٢٩، ص٩٦.
٤- أصول الكافي، ج٢، ص٣٤٧.

كبيراً تكبّر على أقاربه، وأنِف من زيارتهم والتودّد إليهم، بحيث يرى أنّه صاحب الحق، وأنّه أولى بأن يزار ويؤتى إليه.

3. الانقطاع الطويل: هناك من ينقطع عن أقاربه فترةً طويلةً، وبدون أيّ مبرِّرٍ، فيصيبه من جرّاء ذلك وحشةٌ منهم، فيبدأ بالتَّسويف بالزِّيارة، فيتمادى به الأمر إلى أن ينقطع عنهم بالكليّة، فيعتاد القطيعة، ويألف البعد.

4. قلّة الاهتمام بالزَّائرين: بعض النَّاس من طبعه وعادته التَّقليل من شؤون الآخرين، فإذا زاره أقاربه لم يبدِ لهم الاهتمام، ولم يصغِ لحديثهم، بل تجده معرضاً مشيحاً بوجهه عنهم إذا تحدّثوا، لا يفرح بمَقْدَمِهم، ولا يشكرهم على مجيئهم، ولا يستقبلهم إلا بكلِّ تثاقلٍ وبرودٍ؛ ممّا يقلِّل رغبتهم في زيارته.

5. عدم تحمّل الأقارب والصبر عليهم: بعض النَّاس لا يتحمَّل أدنى شيءٍ من أقاربه، فبمجرّد أيّ هفوة، أو زلّة، أو عِتابٍ من أحدٍ من أقاربه يبادر إلى القطيعة والهجر.

6. النميمة والإصغاء إليها: من الناس من دأبه وديدنه إفساد ذات البين، فتجده يسعى بين الأحبّة؛ لتفريق صفِّهم، وتكدير صفوهم، فكم تقطّعت من أواصر، وكم تفرّق من شمل، بسبب الوشاية والنَّميمة، فكانت سبباً حقيقياً لقطع الأرحام.

علاج قطيعة الرّحم:

تقدَّم الكلام في القطيعة، وأضرارها وأثارها المدمِّرة على الفرد والمجتمع، وأنّها توجب الابتعاد عن الله تعالى في الدنيا والآخرة، وبيان بعض الأسباب الموجبة للقطيعة، وأن يعرف بأن قطيعة الرحم هي ترك الواجب كالعبادات المفروضة، فإذا كان الأمر كذلك، فعلى المؤمن أن يحذر قطيعة الرحم، وأن يتجنّب الأسباب الداعية إليها، ويسعى في علاجها، وأن يصل الرحم، وأن يعرف عظيم شأن الرحم، ويتحرى أسباب وصلها، ويرعى الآداب التي ينبغي مراعتها مع الأقارب.

١. شرب الخمر حرام في الإسلام وهو من الكبائر المنصوص عليها في القرآن الكريم حتى وصفه الله تعالى بالرجس وأنه من عمل الشيطان.

٢. لشرب الخمر مفاسد عظيمة جداً أهمها أنه؛ سبب لضعف الإيمان في النفس وزواله لاحقاً، سبب لضعف العقل وضياع الحق، مفتاح لكل شرّ ومفسدة فردية واجتماعية.

٣. الصَّلاةُ فريضةٌ واجبةٌ على كلِّ مسلمٍ، وتركها يُعدّ من الكبائر التي وُصِف منكر وجوبها عن عمد كافراً، وإن كان تركه لها عن كسل وإهمال عدّ فاسقاً.

٤. لترك الصَّلاة والتهاون بها عواقب وخيمة وخطيرة حيث توعّد الله تارك الصلاة بالويل والثبور ليختم له الأمر بالعذاب الأليم في نار جهنم التي اسمها سقر.

٥. صلة الرحم بمعنى الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول من الواجبات الشرعية الأساسية في الإسلام وتركها من الذنوب الكبيرة.

٦. لقطيعة الرحم آثار سيئة جداً على المستوى الفردي والاجتماعي، فهي تورث العذاب، وسبب لزوال النعم ونقصان الخيرات، وتؤدّي إلى التفكّك الأسري والاجتماعي معاً.

٧. صلة الرحم واجبة كباقي الفرائض عند جميع الفقهاء، وتركها حرام كذلك.

دعاء المعصوم واستغفاره

من ضمن ما يحمله لنا شهر رمضان قضية الأدعية المأثورة فيه؛ عندما ينظر الانسان الىأدعية الأئمة عليهم السلام في شهر رمضان وفي غيره يصاب باليأس والقنوط لولا النهي عن اليأس من رحمة الله تعالى. هذا الامام السجاد عليه السلام بعظمته يناجي الله- كما تلاحظون- ويخشى من المعاصي؛ الموضوع أكبر مما نتصور بكثير، وأعظم من أن يدركه فكرنا أو عقل العقلاء أو عرفان العرفاء؛ ولايدرك هذه القضية سوى أولياء الله.

إنّهم يعلموننا في هذه الأدعية، وليس معنى ذلك أنّ أدعيتهم جاءت من أجل تعليمنا فقط، بل كانت الأدعية لهم أنفسهم، فهم يخشون الله، ويقضون الليل بالبكاء والنحيب من أجل ذنوبهم. كانوا جميعاً بدءاً بالنبي وانتهاءاً بصاحب الزمان يخشون الذنوب، بيد أن ذنوبهم ليست كذنوبي وذنوبكم، أولئك وصلوا الى مرحلة من العظمة والإدراك، فالاهتمام بالكثرة يعد من الكبائر لديهم. قال الامام السجاد عليه السلام ذات ليلة: «**اللهمُّ ارزُقنا التجافي عن دارِ الغرور، والإنابة الىدارِ السرورِ، والاستعدادَ للموتِ قبلَ حلولِ الفَوتِ**».

الأمر أمر عظيم، فعندما ينظر هؤلاء الى أنفسهم ويرونها لاتعدل شيئاً أمام عظمة الله جل وعلا- وهذا هو واقع الأمر- يجهشون بالبكاء ويتضرّعون إليه تعالى، لذا ينسب الى رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إنه ليُرانُ على قَلبي فإنّي لأستغفر اللهَ في كلِّ يومٍ سبعينَ مرّةً**».

كان أولئك في ضيافة الله، بل فوق تلك الضيافة، ومع حضورهم أمام الله تعالى يدعون الناس للتضرّع والدعاء، ويحصل لهم من ذلك استياء وتبرّم. إنّ الالتفات الى المظاهر الالهية بنظرهم- مع كونها إلهية- تعدّ من الكبائر، ومن الذنوب التي لا تغتفر؛ لمخالفتها لذلك الغيب الذي يطمحون إليه، وهو «كمال الانقطاع إليه»؛ فهذا يمثل دار غرور لدى الامام السجاد عليه السلام، ملاحظة الملكوت دار غرور بالنسبة لهم. وكذلك ملاحظة ما فوق الملكوت؛ هؤلاء يرومون الانقطاع الى الحق تعالى بدون أن تكون هناك ضيافة، وهذا يختص بكُمّل أوليائه تعالى[1].

١- صحيفة الإمام الخميني، ج٢٠، ص٢٢١.

الدرس السادس عشر:

آفات اللسان (1): الكذب، الغيبة، البهتان

أهداف الدرس:

أن يكون الطالب مع نهاية الدرس قادراً على أن:

١. يعرّف حقيقة كلٍّ من الكبائر التالية: الكذب، الغيبة، البهتان.

٢. يبيّن خطورة هذه الكبائر على الفرد والمجتمع.

٣. يشرح طرق معالجة هذه الآفات، وكيفيّة الخلاص منها.

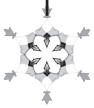

أهميّة حفظ اللسان:

قال تعالى: ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[1]، في هذه الآية تذكيرٌ للمؤمنين برقابة الله تعالى، التي لا تتركه لحظةً من اللحظات، حتَّى لو تركته الملائكة، فالرقابة المباشرة وبالواسطة لا تغفل عنه في حال من الأحوال، حتَّى فيما يصدر عنه من أقوال وما يخرج من فمه من كلمات، كلّ قول محسوب له أو عليه، وكلّ كلمة مرصودة في سجلّ أعماله، يسجّله المَلَكَان في الدنيا، ويوم القيامة ينكشف الحساب والجزاء.

وفي روايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾، قال الراوي: عندما قرأ الإمام الآية فتنفّس الصعداء، ثم بكى حتَّى خضّبت دموعه لحيته، وقال: «**يا إسحاق، إنّ الله تبارك وتعالى إنّما نادى الملائكة أن يغيبوا عن المؤمنين إذ التقيا إجلالاً لهما، فإذا كانت الملائكة لا تكتب لفظهما، ولا تعرف كلامهما، فقد عرفه الحافظ عليه، عالم السرّ وأخفى. يا إسحاق، فخفِ الله كأنّك تراه، فإن كنت لا تراه فإنّه يراك، فإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك، ثمّ استترت عن المخلوقين بالمعاصي، وبرزت له بها، فقد جعلته في حدّ أهون الناظرين إليك**»[2].

١- ق، ١٧-١٨.

٢- ثواب الأعمال، ص١٤٧.

اللسان من أعظم النعم الإلهية على العبد، فإنّه – مع صغر حجمه ودقّة صنعه – عظيم الفائدة؛ إذ لا يستبين في الأغلب الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان.

اللسان لسانان: لسان خير ولسان شر.

1. لسان الخير: هو الذي ينطق بالخير، ويلهج بذكر الله تعالى، ويذكر نِعَم الله عليه، ولا ينطق إلا بالحكمة والموعظة الحسنة.

2. لسان الشرّ: وهو لسان الشيطان، الذي لا ينطق إلا بما يمليه عليه شيطانه، من سبّ، وقدحٍ، وغيبةٍ، وبهتانٍ، ونميمةٍ، ونشر الفتن والأحقاد والضغائن.

ولا بدّ من الالتفات إلى أن أعصى الأعضاء على الإنسان اللسان؛ فإنّه لا تعب في إطلاقه، ولا مؤونة في تحريكه، وقد يتساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته، والحذر من مصائده وحبائله، وأنّه أعظم آلة للشيطان في استغواء الإنسان، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أوصني، قال: «**احفظ لسانك، قال: يا رسول الله، أوصني، قال ﷺ: احفظ لسانك، قال: يا رسول الله، أوصني، قال ﷺ: احفظ لسان، ويحك، وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم**»[1]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من خاف الناس لسانه فهو في النار**»[2].

وفي المقابل تكمن النجاة في أمرٍ واحد، وهو حفظ اللسان، كما ورد في الحديث عن الرسول الأكرم ﷺ: «**نجاة المؤمن حفظ لسانه**»[3].

وفيما يلي سوف نشرع في بيان بعض آفات اللسان.

الكذب:

الكذب: هو الإخبار عن الشيء بخلاف الواقع، وليس الإخبار مقصوراً على القول، بل قد يكون بالفعل، كالإشارة باليد، أو هزّ الرأس، وقد يكون بالسكوت.

والكذب من علامات المنافق، ومن أسباب نزع الثقة من الكاذب، والنظر إليه بعين الخيانة، وهو دليل ضعة النفس، والكذّاب يقلّب الحقائق، وأخطر أنواعه ما يرتبط بالدين وشريعة سيّد المرسلين. وفي روايات أهل البيت عليهم السلام وُصِف الكذب

١- أصول الكافي، ج٢، ص١١٥.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص٣٢٧.
٣- أصول الكافي، ج٢، ص١١٣.

بأنّه نوع من الخيانة، التي من الممكن أن تقود للوقوع في موبقات أخرى، كالسرقة والغشّ مثلاً، روي عن النبي ﷺ أنّه قال: «**كبرت خيانة أن تحدّث أخاك حديثاً هو لك مصدّق، وأنت به كاذب**»[1].

ولشدّة خطورة هذه الآفة على الفرد والمجتمع فإنّ أوّل مسألة وصّى بها رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام هي الصدق واجتناب الكذب، فقال ﷺ: «**يا علي، أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها عني، ثمّ قال: اللهم أعنه، أما الأولى فالصدق، فلا يخرجنّ من فيك كذبة أبداً، والثانية الورع...**»[2].

دوافع الكذب ومظاهره:

للكذب دوافع كثيرة وعديدة، منها الخوف من النقد، والخوف من العقاب أو العتاب، قلّة التديّن والالتزام بالشريعة، اعتياد الكذب، سوء التربية، والمحيط الاجتماعي، وغير ذلك... وهناك مظاهر عديدة للكذب منتشرة بين الناس، منها:

1. الكذب على الله وعلى رسوله: وهو من أقبح أنواع الكذب، ومثاله المفتي بغير علم، والمفسّر للقرآن برأيه، والتقوّل على الله وعلى رسوله الكذب.

قال تعالى: ﴿**فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[3]، ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾[4]. وتتعدّد دواعي الكذب على الله وعلى رسوله، ومهما تنوّعت فهي بالنتيجة كذب، فنجد من يكذّب للترغيب والترهيب، ومن يكذّب لإبكاء الناس، أو لترويج أفكار باطلة، أو غير ذلك. كلّه ينطبق عليه قول النبي ﷺ: «**من كذّب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار**»[5].

2. الكذب في المعاملات التجارية (البيع والشراء): وهو يحصل بين الناس كثيراً، كالذي يحلف ويقسم بالأيمان الكاذبة على جودة سلعته، أو يصفها بأوصاف مبالغ فيها، وغير حقيقيّة، وهو ما يسمى بـ «الغشّ» فالغشّ نوع من الكذب على المشتري في السلعة، والروايات التي نهت عن ذلك كثيرة جداً، ويكفي منها قول

١- ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٦٧٢.
٢- وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٨١.
٣- آل عمران، ٩٤.
٤- فاطر، ٤.
٥- من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٦٤.

الإمام الصادق عليه السلام: «**من غشّنا ليس منّا**»[1].

3. الكذب للفتنة بين الناس: بعض الناس يعيش عقد نفسيّة، فتراه لا يهدأ له بال، ولا يقرّ له حال، حتّى يحدث فتنة، ويفسد ذات البين؛ فينسج الأكاذيب والأباطيل لإفساد الودّ بين الأخوة، ولتوتير الحياة الزوجية، فكم نرى من أواصر قد تقطّعت، وأرحام قد تخاصمت، وأزواج قد طُلّقت، وغير ذلك، بسبب كذبة.

4. الكذب المقرون بالحسد: تقدّم في بحث أصول الكفر، أنّ الحسد قد يولّد معاصي وكبائر متعدِّدة، من أبرزها الكذب، فالحاسد إذا رأى من هو متفوّق عليه بمالٍ أو منصب أو علم، قد نراه يكذب؛ ليقلّل من شأن الطرف الآخر، ويرميه بكلّ صفة نقص.

5. الكذب للتخلّص من المواقف المحرجة: وهو من مظاهر الكذب الشائع، والمنتشر كثيراً، وهذا النوع له دواعٍ، وهي في الغالب تكون خوفاً من العقاب أو العتاب، كحال من يكذب على والديه، أو مدرّسه، أو مسؤوله، وهكذا.

6. الكذب لتسويغ الأخطاء وتبريرها: هذا النوع منتشرٌ جداً بين الناس أيضاً، فمن يريد أن يسوّغ بخله، أو قسوته، أو تقصيره، أو عمله الخاطئ، يلجأ عادةً إلى الكذب.

وهناك مظاهر كثيرة أخرى منتشرة بين الناس أيضاً، كالكذب لاستدرار عطف الناس، والتملّق لأرباب الثراء وأصحاب المناصب، والكذب في دعوى المحبّة والصداقة، والكذب على الأولاد رغبةً في التخلّص منهم، أو تخويفاً لهم بالإضافة إلى نقل الأخبار الكاذبة، والكذب السياسي، والدجل الإعلامي، كما نرى في الحرب الإعلامية على المقاومة الإسلامية ـ في هذه الأيام ـ وعلى رموزها القيادية، وغير ذلك.

آثار الكذب:

تقدّم أنّ للذنوب آثاراً في الدنيا قبل الآخرة، فكما أنّ الذي لا يتصدّق لا يزيد الله في رزقه، والذي لا يصل رحمه لا يزيد الله في عمره، والعاقّ لوالديه يسلّط الله عليه أولاداً يعقّوه، كذلك هو الأمر بالنسبة للكذب، ومن أهم آثاره أنّه:

١- الكافي، ج٥، ص١٦٠.

1. يورث الفقر: رُوِي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**اعتياد الكذب يورث الفقر**»[1].

2. الكذب مفتاح الشرّ: عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ الله عزّ وجلّ جعل للشرّ أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرّ الشراب**»[2].

3. ذهاب الإيمان: إنّ الكذب يؤدّي إلى خراب الإيمان، فلا يذوق الكاذب طعم الإيمان، رُوِي أنّه سُئِل النبي صلى الله عليه وآله: يكون المؤمن جباناً؟ قال: «**نعم، قيل: ويكون بخيلاً؟ قال: نعم، ويكون كذّاباً؟ قال: لا**»[3].

4. ذهاب بهاء المؤمن: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قال النبي عيسى بن مريم** عليه السلام: «**من كثر كذبه ذهب بهاؤه**»[4].

5. يؤدّي إلى النفاق: رُوِي عن النبي صلى الله عليه وآله: «**الكذب بابٌ من أبواب النفاق**»[5].

٦. اللعنة والهلاك: قال تعالى: ﴿**قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ**﴾[6]، والخرّاصون أي الكاذبون، وقُتل أي لُعِن وهلِك.

7. اسوداد الوجه يوم القيامة: قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾[7].

علاج الكذب:

علاج الكذب مسألة بغاية الأهمية، وينبغي أن يبدأ الفرد بنفسه حتّى يؤدّي بالتدريج إلى علاج هذه الآفة في المجتمع؛ لأنّ المجتمع لو ترك الكذب واتجه في معاملاته وسلوكياته إلى الصدق، لزال الظلم واستقام أمر المجتمع.

من الأمور التي ينبغي العمل عليها للتخلّص من هذه الآفة:

1. التعرّف على جذور الكذب؛ لكي يعالج الكذب من جذوره، فإن كانت المشكلة ضعف الإيمان، فيجب عليه تقوية دعائم الإيمان، وإذا كان الدافع هو الحسد والتكبّر، فعليه معالجة المشكلة من خلال معالجة الكِبر والحسد، وهكذا...

١- بحار الأنوار، ج ٦٩، ص٢٦١.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص٣٢٩.
٣- جامع أحاديث الشيعة، ج١٣، ص٥٦٥.
٤- بحار الأنوار، ج ١٤، ص٣٣١.
٥- ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٦٧٢.
٦- الذاريات، ١٠.
٧- الزمر، ٦٠.

2. التأمّل والتفكّر في الآيات والروايات التي ذمّت الكذب، فاعتبرته مفتاح كلّ شرّ، وبيّنت آثاره السلبية على الفرد والمجتمع، لما لهذا التفكّر من عامل مهمّ ومساعد لترك هذا العمل المذموم.

3. قوّة الشخصية؛ لأنّ أحد دوافع الكذب هو ضعف الشخصية والشعور بالدونية، فالكاذب يريد جبران نقصه من خلال الكذب، ولهذا لا يتورّع عنه.

4. العلاج العملي للكذب، ويمكن من خلال الترويض الدائم للنفس ومجاهدتها، والعمل على خلاف رغبتها، حتّى تقلع عن هذا الفعل القبيح. فالنفس ميّالة بطبيعتها إلى ما تحب، وينبغي أن لا يدع الإنسان نفسه لما تهواه وتريده، بل عليه أن يوقفها عند حدّها، وأن يحاسبها فيما لو أقدمت على الكذب، إلى أن يتخلّص من هذه الرذيلة شيئاً فشيئاً.

الغيبة والبهتان:

قال تعالى: ﴿**وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾[1].

تعتبر الغيبة من أشدّ الأمراض الاجتماعية الفتّاكة التي تقضي على المجتمع وتحوّله إلى أحزابٍ وفئاتٍ متناحرة، يأكل بعضها بعضاً، حتّى عبّرت عنها بعض الروايات بأنّها الآكلة في دين الرجل كالآكلة في جسد الإنسان. ولقد صوّر القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة جريمة الغيبة بصورة بشعة ومقزّزة للنفس، لم يصوّر غيرها من المحرّمات بهذه الصورة، وهي ليست تشبيهاً ولا صورة خيالية، بل هي الصورة الملكوتية للغيبة، والتي لو كشف الغطاء عن أعين الناس لرأوا ولعاينوا الحقيقة كما هي بقوله تعالى: ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً**﴾.

تعريف الغيبة وحكمها:

الغيبة - كما عرفها الشهيد الثاني - هي: «ذكر الإنسان حال غيبته بما يكره نسبته إليه، ممّا يعدّ نقصاناً في العُرف، بقصد الانتقاص والذم»[2].

رُوِي أنّ رسول الله ﷺ سأله سائل ذات يوم: ما الغيبة؟ فقال ﷺ: «**ذكرك**

١- الحجرات، ١٢.

٢- راجع: كشف الريبة في أحكام الغيبة، ص٢٨٤.

أخاك بما يكره، قلت: يا رسول الله، فإن كان فيه الذي يُذكر به؟ قال: اعلم أنّك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته»[1].

وبيّن الإمام الخميني قدس سره حكم الغيبة، فقال: «المستفاد من أخبار الغيبة أنّ كشف ستر المؤمنين حرام، بمعنى أنّه يحرم إظهار عيوب المؤمنين المستورة، من دون فرقٍ بين أن تكون هذه العيوب خَلقية أو خُلقية أو سلوكية، سواء أكان الشخص المتصف بالعيب راضياً بكشف عيبه أم لا، وسواء أكان هناك قصد انتقاص أم لا ...»[2].

ويبيّن الإمام (رض) السبب في حرمة كشف ستر المؤمنين بقوله: «إنّ الله سبحانه وتعالى غيور، ويكون هتك ستر المؤمنين وكشف عوراتهم، هتكاً لناموس إلهي وكرامته. ولو أنّ إنساناً تجاوز في الاستهتار بالحدود، وهتك حرمات الله، كشف الله الغيور عيوبه التي سترها عن الآخرين بلطفه وستّاريّته، وهتك أسراره وفضح أمره في هذه العالم أمام الناس، وفي عالم الآخرة أمام الملائكة والأنبياء والأولياء»[3].

أقسام الغيبة:

بما أنّ الغيبة هي ذكر أخيك بما يكره، أو الإعلام به، أو التنبيه عليه، فهذا يعني أن للغيبة مصاديق متعدّدة، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك بالقول: «**وجوه الغيبة تقع بذكر عيبٍ في الخُلق، والفعل، والمعاملة، والمذاهب، والجهل، وأشباهه**»[4]. وسوف نشير إلى هذه الأوجه المختلفة:

1. **في البدن:** كقولك فلانٌ قصير، أو طويل، أو قبيح المنظر، أو أعور، وغيرها، ممّا يتصوّر أن يوصف به ممّا يكرهه.
2. **في النسب:** كقولك أبوه فاسق، أو نسبه خسيس، ونحو ذلك، مما يكرهه كيف كان.
3. **في الخُلق:** كقولك فلان سيء الخلق، متكبّر، جبان، مرائي...
4. **في أفعاله المتعلّقة بالدين:** كقولك فلان سارق، كذّاب، لا يهتم

١- وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٨١.
٢- الأربعون حديثاً، ص٢٨٥.
٣- الأربعون حديثاً، ص٢٨٦.
٤- راجع: كشف الريبة عن أحكام الغيبة، ص٢٨٩.

بالطهارة والصلاة، ظالم، ليس بارّاً بوالديه، يتعرّض لأعراض الناس...

5. في أفعاله المتعلّقة بالدنيا: كقولك فلان كثير الكلام، كثير الأكل، لا يرى لأحد عليه حقّاً، متهاون بالناس، قليل الأدب...

فيجب على المؤمن أن يتجنّب كلّ تلك الأمور وغيرها؛ لشدة خطورة الغيبة وآثارها المدمّرة في الدنيا والآخرة.

الآثار الدنيوية والأخروية للغيبة:

للغيبة آثار تظهر في عالم الدنيا، وفي البرزخ، ويوم القيامة:

1. عذاب النار: قال أنس: أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم، وقال: «**لا يفطرنّ أحد حتَّى آذن له، فصام الناس حتَّى إذا أمسوا، جعل الرجل يجيء، ويقول: يا رسول الله، ظللت صائماً، فأذن لي لأفطر، فأذِن له، حتَّى جاء رجل، فقال: يا رسول الله، فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين، وإنّهما تستحيان أن تأتيانك، فأذن لهما أن تفطرا، فأعرض عنه، ثمّ عاوده، فأعرض عنه، ثم عاوده، فقال: إنّهما لم تصوما، وكيف صام من ظلّ هذا اليوم يأكل لحوم الناس؟! اذهب مُرهما، إن كانتا صائمتين أن تستقيئا، فرجع إليهما فأخبرهما، فاستقاءتا، فقاءت كلّ واحدة منهما علقة دم، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال: والذي نفس محمد بيده، لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار**»[1]، وهذا لا يعني أن الصوم باطل شرعاً، بل المقصود هو عدم كمال الصوم على مستوى الثواب الأخروي، وهنالك فرق بين صحة الصوم وقبوله عند الله تعالى.

2. المغتاب يأكل من لحمه يوم القيامة: فعن نوف البكالي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**اجتنب الغيبة؛ فإنها إدام كلاب النار، ثمّ قال: يا نوف، كذب من زعم أنّه وُلد من حلال، وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة**»[2]، ولا منافاة بين أن يأكل لحم الميتة، أو أن يأكل لحم جسده.

3. الفضيحة يوم القيامة: عن رسول الله ﷺ : «**... ومن مشى في غيبة أخيه وكشف عورته، كانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم، وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق**»[3].

١- شرح نهج البلاغة، ج٩، ص٦١.
٢- بحار الأنوار، ج ٧٢، ص٢٤٨.
٣- وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٨٦.

4. العذاب في البرزخ: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مررت ليلة أُسْرِي بي على قومٍ يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت: يا جبرئيل، من هؤلاء؟! قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس، ويقعون في أعراضهم**»[1].

5. الفضيحة في الدنيا: إنّ بعض مراتب الغيبة يدفع بصاحبها إلى الفضيحة في عالم الدنيا، عن إسحاق بن عمّار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يُخْلِص الإيمان إلى قلبه، لا تذمّوا المسلمين، ولا تتّبعوا عوراتهم؛ فإنّ من تتبّع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبّع الله عورته يفضحه ولو في بيته**»[2].

6. الدخول في ولاية الشيطان: الغيبة تؤدّي إلى خروج المغتاب من ولاية الله تعالى، والدخول في ولاية الشيطان، فلا يكون من أهل النجاة والإيمان، عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ومن اغتابه بما فيه، فهو خارج من ولاية الله، داخل في ولاية الشيطان**»[3].

7. لا يُغفر الله للمغتاب حتَّى يرضى صاحب الغيبة: إنّ معصية الغيبة أشدّ من كافة المعاصي، وإنّ آثارها أخطر من آثار الذنوب الأخرى؛ لأن الغيبة مضافاً إلى أنّها تمسّ حقوق الله تعالى، فهي تمسّ حقوق الناس أيضاً، ولا يغفر الله تعالى للمغتاب حتَّى يرضى صاحب الغيبة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا أبا ذر، إياك والغيبة، فإنّ الغيبة أشدّ من الزِّنا» قلت: ولِم ذاك يا رسول الله؟! قال: «لأنّ الرجل يزني فيتوب إلى الله، فيتوب الله عليه، والغيبة لا تُغفر حتَّى يغفرها صاحبها**»[4]. ولو أن الإنسان - والعياذ بالله - مات وعليه حقوق الناس، كان أمره صعباً جداً؛ إذ إنّ علاقة الإنسان في حقوق الله تكون من الكريم الرّحيم، الذي لا يتطرَّق إلى ساحته القدسيّة شيء من البغض، والضغينة، والعداوة، والتشفّي، ولكنّه في حقوق العباد قد يرتبط بإنسان فيه تلك الصفات الفاسدة، ولا يتجاوز عنه بسرعة، أو لا يرضى عنه نهائياً[5].

١- بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٢٢.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص٣٥٤.
٣- وسائل الشيعة، ج١٨، ص٢٩٢.
٤- وسائل الشيعة، ج ١٢، ص٢٨١.
٥- راجع: الأربعون حديثاً، ح ١٩، ص ٢٨٤. ٢٨٧.

علاج الغيبة[1]:

إنّ علاج هذا المرض الأخلاقي الخطير يحتاجُ إلى مجاهدةٍ كبيرةٍ، ومتابعةٍ دقيقةٍ، ولا بدَّ من رعاية الأمور الآتية للوقاية من الوقوع في هذا المرض أو علاجه:

- أن يفكّر في الآثار المفيدة التي تترتب على معالجة هذه الموبقة، ويقارنها مع الآثار السيّئة التي تترتَّبُ على الغيبة.

- أن يفكّر ويتأمَّل في الرِّوايات التي تحدّثت عن الآثار الغيبيَّة لهذه المعصية.

- أن يفكّر في الآثار الدنيويّة للغيبة، كسقوط الإنسان من أعين النّاس.

- من النَّاحية العمليَّة فلا بدّ من كفِّ النَّفس عن هذه المعصية لبعض الوقت مهما كان صعباً، ولجم اللسان، والمراقبة الكاملة للنَّفس، ومعاهدة النَّفس بعدم اقتراف هذه الخطيئة، ومراقبتها، والحفاظ عليها ومحاسبتها.

- معالجة العوامل والأسباب والجذور التي تؤدّي بالشَّخص أن يرتكب الغيبة، كالحسد، والحقد، والأنانيَّة، وحبّ الانتقام، والتكبّر، والغرور، وأمثال ذلك.

- أن يفكّر ويستحضر دائماً هذه الحقيقة، وهي أنّ الغيبة حقّ الناس؛ لأنها تتسبَّب في هدم سمعتهم، والذَّهاب بماء وجوههم.

البهتان:

تعريف البهتان، ومنبعه:

البهتان هو اتّهام المؤمن، والتجنّي عليه بما لم يفعله أو ليس فيه أصلاً، وهو أشدّ إثماً وأعظم جرماً من الغيبة، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾[2].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الغيبة أن تقول في أخيك ما هو فيه، ممّا قد ستره الله عليه، فأمّا إذا قلت ما ليس فيه، فذلك قول الله: ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾**»[3].

والبهتان نابع من الافتراء والكذب، ما يجعل المفترى عليه مبهوتاً متحيّراً لدى

١- راجع: الأربعون حديثاً، ص ٢٩٠ (بتصرف)، الأخلاق في القرآن، ج ٣، ص ٩١-٩٣ (بتصرف).
٢- النساء، ١١٢.
٣- بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٥٨.

سماعه ما نُسِب إليه. ويستعمل لفظ البهتان في الكذب؛ لأن البهتان غالباً ما ينطوي على الكذب.

والبهتان من أقبح الأعمال؛ لأن اتّهام إنسان بريء يعتبر من أقبح الأعمال التي أدانها الإسلام بشدّة، وإنّ الآية المذكورة - بالإضافة إلى الروايات الكثيرة - توضح رأي الإسلام الصريح في هذا العمل.

ينقل الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أحد الحكماء أنّه قال: «**البهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات**»[1]، وعنه عليه السلام: «**إذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الإيمان في قلبه، كما ينماث الملح في الماء**»[2]، أي أنّ الإيمان يذوب ويزول من قلب المؤمن، بسبب اتّهامه لأخيه المؤمن، كما يذوب الملح في الماء، ويزول عن النظر.

فالتهمة والبهتان – في الحقيقة- هما أقبح أنواع الكذب، لأنهما بالإضافة إلى احتوائهما لمفاسد الكذب، فإنّهما يحملان أضرار الغيبة، وهما كذلك من أسوأ أنواع الظلم والجور، ولهذا السبب يقول النبي صلى الله عليه وآله: «**من بهت مؤمناً أو مؤمنة، أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله تعالى يوم القيامة على تلّ من نار حتّى يخرج ممّا قاله فيه**»[3]، وحقيقة الأمر، إنّ إشاعة مثل هذا العمل الجبان – في أيّ محيط إنساني كان- يؤدّي في النهاية إلى انهيار نظام العدالة الاجتماعيّة، واختلاط الحقّ بالباطل، وتورّط البريء، وتبرئة المذنب، وزوال الثقة من بين النّاس[4].

١- بحار الأنوار، ج٧٢، ص١٩٤.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص١٧٠.
٣- عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٣٧.
٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٣، ص٤٤٦.

١. اللسان من أعظم النعم الإلهية على العبد، وهو إما لسان خير يؤدّي بالإنسان إلى أعلى عليين، أو لسان شرّ يقوده إلى أسفل سافلين بسبب ما ابتلي به من آفات وعلل.

٢. الكذب من آفات اللسان ومن الذنوب الكبيرة، وهو عبارة عن الإخبار عن الشيء بخلاف الواقع، وهو على أنواع وأخطر أنواعه ما يرتبط بالدين وشريعة سيد المرسلين.

٣. للكذب آثار خطيرة جداً في الدنيا والآخرة، فهو يذهب الإيمان ويورث النفاق والفقر في الدنيا، وعذاب النار الأليم في الآخرة.

٤. ضعف الإيمان من أهم أسباب الكذب، ومعالجة هذه الآفة تكمن بالدرجة الأولى بتقوية دواعي الإيمان في النفس، ومن ثم مجاهدة النفس والعمل على خلاف رغبتها، حتَّى تقلع عن هذا الفعل القبيح.

٥. الغيبة من المحرّمات والكبائر التي نصّ عليها القرآن الكريم، وهي ذكر الإنسان حال غيبته بما يكره سماعه في حضوره، بمّا يعدّ انتقاصاً أو ذماً بنظر العرف أو الشرع.

٦. للغيبة وجوه وحالات عديدة كذكر عيبٍ في الخُلق، أو الفعل، أو المعاملة، أو المذاهب، أو الجهل وأشباه ذلك.

٧. للغيبة آثار كثيرة على الصعيد الفردي والاجتماعي، فهي سبب للعذاب في البرزخ والدار الآخرة، وسبب للفضيحة في الدنيا والخروج من ولاية الله والدخول في ولاية الشيطان.

٨. علاج الغيبة يكمن في أمرين من الناحية النظرية التفكّر في مفاسد الغيبة وآثارها الخطيرة، ومن الناحية العملية كفُّ النَّفس ولجمها عن هذه المعصية عنوة.

المسارعة إلى الإصلاح

أيها العزيز! إنك لم تر سوى نفسك، والذي رأيته لم تضعه موضع الاعتبار والمقارنة. حاول أن تنظر إلى نفسك وما تملك من شؤون الحياة وزخارف الدنيا وقارنها بمدينتك. وقارن مدينتك بوطنك، ووطنك بسائر الدول في الدنيا التي لم تسمع بأكثر من واحدة بالمائة منها، وقارن كل الدول بالكرة الأرضية، والأرض بالمنظومة الشمسية، وبالكرات الواسعة التي تعيش على فتات أشعة الشمس المنيرة، وقارن كل المنظومة الشمسية الخارجة عن محيط فكري وفكرك، بالمنظومات الشمسية الأخرى التي تعد شمسنا وجميع سياراتها، واحدة من سيارات إحدى تلك المنظومات التي لا يمكن أن تقارن شمسنا معها، والتي يقال أن ما اكتشف منها حتى الآن يبلغ عدة ملايين من المجّرات، وأن في هذه المجرة القريبة الصغيرة عدة ملايين من المنظومات الشمسية التي تكبر أصغر شمسها على شمسنا ملايين المرات وتسطع نور أكثر. هذه كلها من العوالم الجسمانية التي لا يعرفها إلاّ خالقها، وإن ما اكتشفت منها لا يبلغ الجزء الضئيل منها. وكل عوالم الأجسام هذه لا تكون شيئاً بالقياس إلى عالم ما وراء الطبيعة، فهناك عوالم لا يمكن للعقل البشري أن يتخيلها.

هذه شؤون حياتك وحياتي وهذه حظوظنا ونصيبنا من عالم الوجود. وعندما تشاء إرادة الله أن تتوفاك وتنقلك من هذه الدنيا، فإنه يأمر جميع قواك بالاتجاه نحو الضعف وجميع حواسك بالتوقّف عن العمل، فتختل أجهزة وجودك، ويذهب سمعك وبصرك وتضمحل قواك وقدراتك، فتصير قطعة جماد تزكم بعد أيام رائحتك العفنة، أنوف الناس وتؤذي مشامّهم، ويهربون من صورتك وهيئتك، وما أن تمضي عليك أيام أخر حتى تهترأ أعضاؤك وتتفسّخ. هذه هي أحوال جسمك، أما أحوال أموالك وثروتك فأمرها معروف.

أما عالم برزخك: فإنك إن انتقلت من هذه الدنيا لا سمح الله ـ قبل أن تصلحه فالله يعلم كيف تكون صورتك، وكيف تكون أحوالك، إذ أن قوى الإدراك في هذا العالم عاجزة عن أن تسمع أو ترى أو تشم شيئاً من ذلك العالم. إن ما تسمعه عن ظلمة القبر ووحشته وضيقه إنما تقيسه على ما في هذا العالم من ظلمة ووحشة وضيق، مع أن هذا القياس وهذه المقارنة باطلة. نسأل الله أن ينجّينا مما أعددنا لأنفسنا بأنفسنا![1].

١- الأربعون حديثا، الحديث الرابع، فصل في بيان معالجة الكبر.

الدرس السابع عشر:

آفات اللسان (2): النميمة، إفشاء السر، بذاءة اللسان، السُّخرية والاستهزاء

أهداف الدَّرس:

أن يكون الطَّالب مع نهاية الدرس قادراً على أن:

١. يبيّنَ حقيقةَ كلٍّ من الكبائر التَّالية: النَّميمة، وبذاءة اللسان، والسُّخريّة.

٢. يبيّنَ خطورة هذه الكبائر على الفرد والمجتمع.

٣. يذكرَ طرقَ معالجة هذه الآفات، وكيفيّة الخلاص منها.

النَّميمة:

يعرّف الشهيد الثاني (رض) النَّميمة أنَّها: «نقل قول الغير إلى المقول فيه، كما يقول: تكلّم فلانٌ فيك بكذا وكذا، سواء نقل ذلك بالقول، أو الكتابة، أو الإشارة والرمز، وكان ذلك النقل كثيراً ما يكون متعلّقه نقصاناً، أو عيباً في المحكي عنه، موجباً لكراهته له، وإعراضه عنه. كان ذلك راجعاً إلى الغيبة، فجمع بين معصية الغيبة والنميمة»[1].

فحقيقة النميمة كشف ما يكره الغير كشفه، وهي من أنواع إفشاء السّر، وهتك السّتر عمّا يكره كشفه، وهي داءٌ خبيثٌ يسري على الألسن فيهدمُ الأسرَ، ويفرّقُ الأحبّة، ويقطعُ الأرحام.

حرمة النَّميمة:

النميمة محرّمة بإجماع المسلمين، وهي من الكبائر، التي تؤدّي إلى شدّة العذاب في القبر، وقد وردت بشأنها آياتٌ وروايات، قال تعالى: ﴿**هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**﴾[3]، والهمّاز: النمّام، «همّاز من مادة (همز)، على وزن رمز، ويعني الغيبة، واستقصاء عيوب الآخرين. مشّاء بنميم: تطلق على الشخص الذي يمشي بين النَّاس بإيجاد الإفساد والفرقة، وإيجاد الخصومة والعداء فيما بينهم»[4]. وقيل أنّ الهُمَزَة: النمّام، واللُمَزَة: المغتاب.

١- كشف الريبة عن أحكام الغيبة، ص٣٠٣.

٢- القلم، ١١.

٣- الهمزة، ١.

٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٨، ص٥٣١.

وروي عن أبي عبد الله الصَّادق عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبّة، المبتغون للبُراءِ، المعايب**»[1]، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**محرّمة الجنّة على العيابين، المشّائين بالنميمة**»[2]، ورُوِي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تقبل في ذي رحمك، وأهل الرعاية من أهل بيتك، قول من حرّم الله عليه الجنّة، وجعل مأواه النار؛ فإنّ النمّام شاهد زور، وشريك إبليس في الإغراء بين الناس، فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾**»[3][4].

دوافع النَّميمة:

دوافع النميمة عديدة، وهي نفسها تقريباً دوافع الغيبة، ويمكن أن يُضافَ إليها دوافع أخرى، منها:

- الجهل بحرمة النميمة، وأنّها من كبائر الذنوب، وعدم الالتفات إلى أخطارها الدنيوية والأخروية.
- إرادة السُّوء بالمحكي عنه، كأن يكون حاقداً على الآخر أو باغضاً له، فيذكر مساوئ من يبغض، يشفي حقده ويبرِّد صدره بواسطة النميمة.
- إرادة الانتصار للنَّفس، والرِّفعة لها، فينقل عنه النميمة.
- إظهار المجاملة والتملّق، أو الحبّ للمحكي له.
- موافقة الجلساء ومجاملتهم فيما هم عليه من الباطل.
- السخرية والاستهزاء واحتقار الآخرين.
- الحسد والتكبّر، فإنّها من الأسباب التي تدفع صاحبها إلى النميمة.

علاج النَّميمة:

كلّ ما مرّ في علاج الغيبة ينطبق بنفسه على علاج النَّميمة، فعلى الإنسان في البداية الرُّجوع إلى دوافع النَّميمة؛ ليقوم بمعالجة ما هو مضادٌّ لها؛ ليقطع بذلك

١- أصول الكافي، ج٢، ص٢٣٥.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص٣٦٩.
٣- الحجرات، ٦.
٤- بحار الأنوار، ج٤٧، ص١٦٨.

الأسباب والدوافع المسبّبة لهذه الآفة من جذورها:

- فإذا كان السبب هو الغضب، فعليه أن يعالج مسألة الغضب أولاً، كأن يقول: إن أمضيت غضبي على فلان فلعلّ الله تعالى يمضي غضبه عليّ بسبب النميمة، وقد نهاني الله تعالى عنهما، فعصيته واستخففت بنهيه.

- وإذا كان السبب موافقة الآخرين وطلب رضاهم، فهذا من دواعي الغضب الإلهي أيضاً؛ إذ طلبت سخطه برضا المخلوقين، فكيف يرضى المؤمن بسخط الله تعالى من أجل أناسٍ لا ينفعون ولا يضرّون.

- إذا كان السبب تنزيه النفس ونسبة الخيانة إلى غيرك بهدف إرضاء الناس، فاعلم أن التعرّض لمقت الله تعالى وغضبه، أشدّ بكثير من التعرّض لمقت الخلق بالنميمة والغيبة، ولا يدري الإنسان أصلاً إن كان سيسلم من سخط الناس أو لا يسلم، فالذي يرضي الناس بسخط الله تعالى يسخط الله عليه، ويُسخط عليه الناس.

- إذا كان الحسد سبباً للنميمة، فهذا يعني أنّ الإنسان قد جمع بين عذابين؛ لأنه حسد الآخرين على ما أنعم الله تعالى عليهم من نعمه وفيضه، والحاسد -كما تقدّم في مبحث أصول الكفر- يجد الهمّ والغمّ، وضيق الصدر، فعليه أن يلتفت إلى خطورة الحسد، الذي هو أحد أسباب الغيبة أو النميمة.

- إذا كان الباعث هو الاستهزاء والسخرية، فلا بدّ أن يعلم أنّه متى استهزأ الإنسان بغيره فإنّ ذلك سيؤدّي إلى استهزاء الناس به أيضاً، فعليه أن يعالج أسباب النميمة في نفسه أولاً؛ لكي لا يكون عرضةً للاستهزاء والسخرية لاحقاً، وليمنع من انتشار هذه المرض الخبيث في باطنه، ومن ثمّ في المجتمع.

إفشاء السر

قديماً قالوا: إنّ أمناء الأسرار أقلّ وجوداً من أمناء الأموال، وحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار؛ لأنّ أحراز الأموال منيعة بالأبواب والأقفال، وأحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق، ويشيعها كلام سابق.

إنّ كتمان السّر من قضايا الأخلاق العملية، التي لا ينبغي أن يغفل عنها وعن أهميتها المؤمن، الذي يهتم بتربية نفسه، وتزكيتها على مكارم الأخلاق. إنّ كلّ سرّ يؤدّي إفشاؤه إلى مفسدة، سواء على المستوى الفردي، أو الاجتماعي، فهذا السرّ يجب كتمانه من باب حرمة الإضرار بالنفس والآخرين أو إيذائهم، فلا ينبغي أن يُذاع السرّ؛ لما يمكن أن يترتَّب على إفشائه من محاذير وعواقب وخيمة. ولا شكّ أنّ كتمان السرّ سوف يكون عاملاً مهمّاً يساعد على نجاح المؤمنين في أعمالهم العامة، الاجتماعية والدينية والجهادية وغيرها.

ما المراد بالسرّ؟

السرّ هو كلّ ما لا يرضى صاحبه (الفرد أو الجهة) بكشفه وإظهاره، سواء أكان قولاً أو فعلاً أو حالة، وسواء أكان السر بين اثنين أو أكثر. ويدخل ضمن هذا الإطار موارد كثيرة جداً:

١. كلّ من له حسب مهنته اطّلاع على أسرار الناس الماليّة، والجسميّة، والروحيّة، كالعلماء لكثرة رجوع النّاس إليهم، وطرح مشاكلهم لهم، أو الأطباء، أو القضاة، أو موظفي البنوك، ودوائر الأحوال الشخصية، وغيرهم...

٢. كلّ من له ارتباط بأسرار العمل التي قد يضرّ إفشاؤها بأمن الأشخاص، أو بأمن المنظّمة، أو الدولة.

حكم إفشاء السرّ:

لا توجد موارد محدّدة لكتمان السرّ، فالموارد كثيرة، منها ما يتعلّق بالجانب الشخصي والعائلي، ومنها ما يرتبط بالجانب العملي والسياسي والاقتصادي، ومنها ما يرتبط بالجانب الأمني والعسكري.

فالقاعدة الفقهية في مورد كتمان أو إفشاء السرّ أنّ حكم ذلك يختلف باختلاف متعلّقه، فقد يحرُم أو يجب أو يستحب. ففي إفشاء سرّ المؤمن مثلاً، ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام النهي الشديد عن إفشاء سرّه وإذاعته، واعتبره الفقهاء مخلاً بعدالة الشخص؛ لأنّه من الذنوب التي يعاقب الله تعالى عليها في الدنيا والآخرة.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**المجالس بالأمانة، وليس لأحدٍ**

أن يحدّث بحديث يكتمه صاحبه إلا بإذنه، إلا أن يكون ثقة، أو ذاكراً له بخير»[1].

عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**يُحشر العبد يوم القيامة وما ندى دماً**[2]**، فيدفع إليه شبه المحجمة، أو فوق ذلك، فيُقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا ربّ، إنّك لتعلم أنّك قبضتني وما سفكت دماً، فيقول: بلى، سمعت من فلانٍ كذا وكذا، فرويتها عليه، فنُقلت حتى صارت إلى فلانٍ الجبار فقتله عليها، وهذا سهمك من دمه**»[3].

كما ورد في بعض الروايات نهيٌ شديدٌ عن إشاعة الفاحشة، وُفسّرت الفحشاء بإفشاء السرّ، منها ما رُوِي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قال في مؤمن ما رأته عيناه، وسمعته أذناه، فهو من الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ... ﴾**[4]»[5].

هذه الروايات وغيرها، بل كلّ الروايات التي تحدّثت عن حرمة الغيبة والنميمة، تدخل ضمن حرمة إفشاء السرّ؛ لأنّ الغيبة قد تتضمّن إفشاء السرّ، والنميمة – كما تقدّم – هي في الحقيقة من مصاديق إفشاء السرّ، وهتك الستر.

موارد استثناء كتمان السر:

الأصل في السرّ هو حظر وحرمة الإفشاء، إلا في موارد عدّدها الفقهاء، وهي:

1. الحكم والشهادة والإفتاء: يجوز إفشاء السرّ إذا كان لازماً عند الحاكم الشرعي العادل، سواء أكان الفاشي هو صاحب الدعوى، أو الشاهد، بل يجب على الشاهد الإفشاء، لو توقّفت الشهادة والحكم عليه، كما لو رأى الجاني حين جنايته سرّاً، أو أقرّ المدين بدينه عنده سرّاً.

١- أصول الكافي، ج٢، ص٦٦٠.

٢- ورد في حاشية الكافي (ج٢، ص٣٧٠): «ما ندى دما» أي ما ابتل بدم، وهو مجاز شائع بين العرب والعجم. قال في النهاية فيه: من لقي الله ولم ينتد من الدم الحرام بشيء دخل الجنة، أي لم يصب منه شيئاً، ولم ينله منه شيء، كأنّه نالته نداوة الدم وبلله، يقال: ما نديني من فلان شيء أكرهه، ولا نديت كفّي له بشيء.

٣- بحار الأنوار، ج٧، ص٢٠٢.

٤- النور، ١٩.

٥- بحار الأنوار، ج٧٣، ص٢١٣.

2. جرح الشهود: يجوز بل قد يجب إفشاء ما يوجب فسق الشاهد عند الحاكم؛ لكي لا يحكم طبقاً لشهادة فاسدة.

3. إبطال البدع والأباطيل: إذا توقّف إبطال بدعة على إفشاء أسرار مبتدعها للناس لكي يبتعدوا عنه ولا يضلّوا بسببه جاز، بل وجب، لكن في مورده، وأمام الجهة المعنية فقط.

الفحش وبذاءة اللسان:

الفحش هو: التعبير عمّا يقبح التصريح به، كألفاظ الجماع، والآلة، ممّا يتلفّظ به السفهاء، ويتحاشاه النبلاء، ويعبّرون عنها بالكناية والرمز كاللمس والمسّ، كناية عن الجماع. وأهل الأدب والأخلاق لا يتلفظون بمثل هذه الألفاظ والمفاهيم لياقةً وأدباً، كالكناية عن الزوجة بالعائلة، وعن التبوّل والتغوّط بقضاء الحاجة، إذ التصريح بتلك الألفاظ والمفاهيم مستهجن عند العقلاء والعارفين.

أما السبّ فهو الشتم، نحو: «يا خنزير، يا خائن...»وأمثاله من مصاديق الإهانة والتحقير.

وأما القذف، نحو: يا ابن الفاعلة، يا زوج الزانية...

وهذه الخصال الثلاثة تعتبر من أبشع مساوئ اللسان التي استنكرها الشرع والعقل، وحذّرت منها الروايات».

قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الفحش لو كان مثالاً، لكان مثال سوء**»[1]، وعنه ﷺ: «**إنّ الله يبغض الفاحش البذيء، السائل الملحف**»[2]، وعنه ﷺ: «**إنّ من أشرّ عباد الله من تكره مجالسته لفحشه**»[3]، وعنه ﷺ: «**سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه**»[4].

وروى عمر بن نعمان الجعفي قال: «**كان لأبي عبد الله عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه، فقال لغلامه يوماً: يا ابن الفاعلة، أين كنت؟ قال: فرفع أبو عبد الله يده فصكّ بها جبهة نفسه، ثم قال: «سبحان الله، تقذف أمّه، وقد**

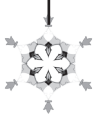

١- أصول الكافي، ج٢، ص٣٢٤.
٢- أصول الكافي، ج٢، ص٣٢٥، الملحف: ألحف في المسألة إلحافاً إذا ألحّ فيها ولزمها.
٣- بحار الأنوار، ج١٦، ص٢٨١.
٤- أصول الكافي، ج٢، ص٣٦٠.

كنت أرى أنّ لك ورعاً فإذا ليس لك ورع». فقال: جعلت فداك، إنّ أمّه سندية مشركة، فقال عليه السلام: «أما علمت أنّ لكلّ أمّة نكاحاً؟! تنحّ عني»، فما رأيته يمشي معه حتى فرّق الموت بينهما»[1].

الآثار السَّلبية لبذاءة اللسان:

لبذاءة اللسان العديد من الآثار السلبية والقبيحة، نذكر منها:

١. تُجرّد الإنسان من خصائص الإنسانية المهذّبة، وأخلاقها الكريمة، وتسمّه بالسفالة والوحشيّة.

٢. هي سببٌ للعداء والبغضاء، وإفساد العلاقات الاجتماعية، وإيجاب المقت والمجافاة بين أفراد المجتمع.

٣. تُعرّض ذويها لسخط الله وعقابه الأليم كما صوّرته النصوص السالفة، روي أمير المؤمنين عليه السلام: «**اللسان سَبُعٌ، إن خُلي عنه عقر**»[2].

علاج بذاءة اللسان[3]:

ولقد دعت الشريعة الإسلاميّة إلى التحلّي بأدب الحديث، وطيب القول بصنوف الآيات والأخبار، وركّزت على ذلك تركيزاً متواصلاً؛ إشاعةً للسلام الاجتماعي، وتعزيزاً لأواصر المجتمع.

قال تعالى: ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا**﴾[4]، وفي آية أخرى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾[5]، وقال أيضاً: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾[6].

فالكلام الطيّب والعفيف حلاوته ووقعه في نفوس الأصدقاء والأعداء معاً، ففي الأصدقاء ينمّي الحبّ، ويستديم الودّ، ويمنع نزغ الشيطان في إفساد علائق الصداقة والمودّة، وفي الأعداء يلطّف مشاعر العداء، ويخفّف من إساءتهم وكيدهم.

١- أصول الكافي، ج٢، ص٣٢٤.
٢- بحار الأنوار، ج٦٨، ص٢٩٠.
٣- راجع: كتاب الأخلاق، ص٢٣٦-٢٤٢.
٤- الإسراء، ٥٣.
٥- البقرة، ٨٣.
٦- الأحزاب، ٧٠-٧١.

السخرية والاستهزاء:

معنى السخرية:

السخرية هي محاكاة أقوال الناس، أو أفعالهم، أو صفاتهم على سبيل استنقاصهم والضحك عليهم، بألوان المحاكاة القولية والفعلية. وقد حرّمها الشرع لإيجابها العداء، وإثارة البغضاء، وإفساد العلاقات الوديّة بين أفراد المسلمين وكيف يجرأ المرء على السخرية بالمؤمن واستنقاصه، وإعابته، وكل فرد سوى المعصوم، لا يخلو من معائب ونقائص، ولا يأمن أن تجعله عوادي الزمن يوماً هدفاً للسخرية والازدراء.

قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[1].

الفرق بين السخرية واللمز والتنابز:

ندّد القرآن الكريم بالسخرية، وحذّر منها، كما جاء في الآية السابقة، حيث حذّرت من ثلاثة عناوين:

١. السخرية.

٢. اللّمز.

٣. التنابز بالألقاب.

ويفرّق بعض العلماء بين هذه العناوين بالشكل التالي:

· **السخرية:** هي عيب من لا يستحق أن يُعاب، على وجه الاحتقار له.

· **الهمز:** العيب في حال غياب الشخص، أي الغيبة. وقيل: لا يكون إلا في اللسان.

· **اللّمز:** العيب في المشهد، وقيل: إنّه يكون باللسان وبالعين والإشارة، وكلاهما يصدق عليهما مصطلح الغيبة، كما تقدّم في بحث تعريف الغيبة.

· **النبز:** القذف باللقب، يُقال: نبزته أنبزه، أي لا تقل لأخيك المسلم: يا فاسق، يا منافق، وما شاكل ذلك.

١- الحجرات، ١١.

حكم السخرية والاستهزاء:

لا يجوز للمسلم أن يستهزئ ويسخر من أخيه المسلم، أو يلمزه ويتتبع عثراته، أو ينبزه بالألقاب السيّئة. فالصورة التي يقدّمها ويريدها القرآن الكريم للمجتمع الإسلامي، قائمة على أساس الأخوّة ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[1]، وهي عكس ما تحقّقه السخرية والاستهزاء.

فالرابطة القوية التي تؤطّر المجتمع الإيماني الصالح، وتشدّ بعضه بعضاً، هي الأخوة الإيمانية، التي تجعل المؤمنين فيما بينهم كالجسد الواحد، إذا تألّم عضو منه سهر له بقية الجسد بالحمى. وإنّ هذا المجتمع المبني على الأخوّة، لا يمكن أن يبقى موحّداً، وقوياً، ومتماسكاً، إذا دبّت فيه الأمراض الأخلاقية، كالسخرية، واللمز، والتنابز بالألقاب، فإنّ هذه الأمور من أهم أسباب تفكيك المجتمع.

ولكي نحفظ المجتمع الإسلامي من الانحطاط، والانهيار، والضعف، علينا اعتماد القواعد الاجتماعية التي تفهم من الآية الكريمة، وهي ثلاث قواعد:

أولاً: عدم السخرية بين الأفراد، فهي طريقة لا أخلاقية في التعاطي مع الأمور.

ثانياً: عدم تتبّع عثرات المسلمين، فالآية الكريمة تدعو إلى عدم تتبّع عثرات المسلمين وكشفها، ولذا قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ أي لا يطعن بعضكم على بعض، ولا يتتبّع بعضكم عثرات بعض. وقد وردت روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام تُحذّر من خطورة هذه الصفة السيّئة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يُخلص الإيمان إلى قلبه، لا تذمّوا المسلمين، ولا تتبّعوا عوراتهم؛ فإنّه من تتبّع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبّع الله عورته يفضحه ولو في بيته»**[2].

ثالثاً: عدم التنابز بالألقاب، بل ينبغي مخاطبة الناس بعضهم بمودّة، وتقدير، واحترام دائماً، أمّا تخاطب الناس بالألقاب السيّئة، التي يعبر عنها القرآن بالتنابز بالألقاب، فهي فضلاً عن حرمتها فإنّها تكشف عن تخلّف ذلك المجتمع وانحطاطه.

١- الحجرات، ١٠.

٢- أصول الكافي، ج٢، ص٣٥٤.

الكلام فيما لا يعني:

عرّفه العلماء: «حدّ الكلام فيما لا يعنيك أن تتكلّم بكلام لو سكتّ عنه لم تأثم ولم تستضرّ به في حال ولا مال...»[1].

مثال ذلك أن تجلس مع قوم، فتذكر لهم أسفارك، وما رأيت، وما حصل معك من شؤون وشجون، فلو فرضنا أنّك بالغت، وجاهدت نفسك، وأبعدتها عن التفاخر، وتزكية النفس والغيبة، يبقى ذلك مضيعةً للوقت والجُهد. ومن جملة تلك الأمور أن تسأل غيرك عمّا لا يعنيك.

وهذه الآفة لا يكاد ينجو منها إنسانٌ، إلا من رحم ربي، وهي الكلام فيما لا يعني. وعلى المؤمن أن يلتفت، حتى في المواضع التي تعنيه ينبغي أن لا يتكلّم بها حتى يجد لذلك مكاناً مناسباً لقوله، هذا فضلاً عن كون كلامه فيما لا يعني.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام، ينقل عن أبيه عليه السلام: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعني**»[2]، أيّ من جملة محاسن إسلام الإنسان وكمال إيمانه هو تركه ما لا يعنيه من قول، أو فعل، واقتصاره على ما يعنيه من الأقوال والأفعال، ومعنى «يعنيه» أن تتعلّق عنايته به، ويكون من مقصده ومطلوبه، والعناية شدّة الاهتمام بالشيء، وإذا حسن الإسلام اقتضى ترك ما لا يعني كلّه، من المحرمات، والمشتبهات، والمكروهات، وفضول المباحات، التي لا يحتاج إليها، فإنّ هذا كلّه لا يعني المسلم إذا كمل إسلامه.

ومن أهمّ الآثار السلبية للكلام فيما لا يعني أنّه يوقع الإنسان في الخطأ والزلل، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**الصّمت حكم وقليل فاعله، ومن كان كلامه فيما لا يعنيه كثرت خطاياه**»[3]، بالإضافة إلى أنّه يفوت على الإنسان ما يمكن أن يعنيه أو يفيده واقعاً، عن الإمام علي عليه السلام قال: «**من اشتغل بما لا يعنيه، فاته ما يعنيه**»[4]، بالإضافة إلى أنّه يوجب تضييع الوقت، والمنع من الذكر والفكر بالله تعالى، وغيرها من الطاعات والعبادات.

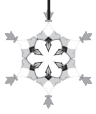

١- إحياء علوم الدين، ج٤، ص١٨٥.
٢- وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٩٩.
٣- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص٢٠.
٤- بحار الأنوار، ج٧٣، ص٣١٩.

لذا ينبغي على الفرد المؤمن أن يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه؛ حتى يعتاد على ترك ما لا يعنيه.

رُوِي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «**إنّ المعرفة بكمال دين المسلم ترك الكلام فيما لا يعني، وقلّة مرائه، وحلمه، وصبره، وحسن خلقه**»[1].

وسُئِل الإمام زين العابدين عليه السلام يوماً عن الكلام والسكوت، أيهما أفضل؟ قال: «**لكلّ واحد منهما آفات، وإذا سلما من الآفات، فالكلام أفضل من السكوت؛ لأن الله عزّ وجلّ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، وإنّما بعثهم بالكلام، ولا استُحِقّت الجنّة بالسكوت، ولا استُوجِبت ولاية الله بالسكوت، ولا تُوقِّيت النار بالسكوت، ولا يُجتَب سخط الله بالسكوت، إنّما كلّه بالكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنّك تصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت**»[2].

١- مستدرك سفينة البحار، ج١، ص٢٠٧.

٢- بحار الأنوار، ج٦٨، ص٢٧٤.

١. النميمة كشف ما يكره الغير كشفه، وهي من أنواع إفشاء السّر، وهتك السّتر عمّا يكره كشفه، وهي من المحرّمات والكبائر التي تسري على الألسن فتهدمُ الأسرَ، وتفرّقُ الأحبّة، وتقطعُ الأرحام.

٢. علاج النميمة يكمن في البداية بالرُّجوع إلى دوافع النَّميمة؛ ليقوم الإنسان بمعالجة ما هو مضادٌّ لها؛ فيقطع بذلك الأسباب والدوافع المسبّبة لهذه الآفة من جذورها.

٣. السرّ هو كلّ ما لا يرضى صاحبه بكشفه وإظهاره، سواء أكان قولاً أو فعلاً أو حالة، ويعد إفشاؤه من الكبائر إذا ترتّب على هذا الإفشاء الوقوع في المفسدة والضرر.

٤. الفحش هو التعبير عمّا يقبح التصريح به، كألفاظ الجماع، والآلة، ممّا يتلفّظ به السفهاء، ويتحاشاه النبلاء من الذنوب الكبيرة التي نهى عنها الشارع المقدّس لما لهذا الفعل من آثار خطيرة على الفرد والمجتمع معاً.

٥. السخرية هي محاكاة أقوال، أفعال، أو صفات الناس على سبيل استنقاصهم والضحك عليهم، بألوان المحاكاة القولية والفعلية. وقد حرّمها الشرع لإيجابها العداء، وإثارة البغضاء بين أفراد المسلمين.

٦. الفرق بين الهمز واللمز والتنابز، أن الهمز هو ذكر العيب في حال غياب الشخص، أما اللمز فهو العيب في المشهد لا في الغيب، والتنابز هو القذف باللّقب بقصد الانتقاص.

اعلم أن ما تناله النفس من حظ في هذه الدنيا، يترك أثراً في القلب، وهو من تأثير الملك والطبيعة، وهو السبب في تعلّقه بالدنيا. وكلّما ازداد التلذّذ بالدنيا، اشتد تأثّر القلب وتعلّقه بها وحبه لها، إلى أن يتجه القلب كُلّياً نحو الدنيا وزخارفها، وهذا يبعث على الكثير من المفاسد. إن جميع خطايا الإنسان وابتلاءه بالمعاصي والسيئات سببها هذا الحب للدنيا والتعلّق بها.

وإن من المفاسد الكبيرة لحب الدنيا كما كان يقول شيخنا العارف[1] (روحي فداه) هو أنه إذا انطبع حب الدنيا على صفحة قلب الإنسان، واشتد الأنس بها، انكشف له عند الموت أن الحق المتعال يفصل بينه وبين محبوبه، ويفرّق بينه وبين مطلوبه، فيغادر الدنيا ساخطاً مغتاظاً على ولي نعمته. إن هذا القول القاصم للظهر يجب أن يوقظ الإنسان أيّما إيقاظ للحفاظ على قلبه. فالعياذ باللّه من إنسان يسخط على ولي نعمته، مالك الملوك الحق، إذ ليس أحد يعرف صورة هذا السخط والعداء، غير اللّه تعالى.

ويقول أيضاً شيخنا المعظّم (دام ظله) نقلاً عن أبيه المعظَّم، إنه كان في أواخر عمره خائفاً بسبب المحبة التي كان يكنّها لأحد أولاده، ولكنه بعد الانهماك بالرياضات النفسية تخلّص من ذلك الخوف، وانتقل إلى دار السرور مسروراً، رضوان اللّه عليه.

جاء في «الكافي» بإسناده عن طلحة بن زيد، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: «مَثَلُ الدُّنيا كَمَثَلِ ماءِ البحرِ كُلَّما شَرِبَ مِنْهُ العطشانُ ازدادَ عَطَشاً حَتَّى يقتل».

إن حب الدنيا ينتهي بالإنسان إلى الهلاك الأبدي، وهو أصل البلايا والسيّئات الباطنية والظاهرية وقد نقل عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قول: «**إِنَّ الدِّرْهَمَ وَالدِّينَارَ أَهْلَكَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ**».

وعلى فرض أن الإنسان لم يرتكب معاصي أخرى ـ على الرغم من أن هذا الفرض بعيد، أو من المستحيل عادة ـ فإنّ التعلّق بالدنيا نفسه معصية، بل إنّ مقياس طول بقاء الإنسان في عالم القبر والبرزخ هو أمثال هذه التعلّقات. فكلّما كان التعلّق بالدنيا أقل كان البرزخ وقبر الإنسان أكثر نوراً وأوسع، ومكثه فيه أقصر. لذلك فقد ورد في بعض الروايات: إن عالم القبر لأولياء اللّه لا يزيد عن ثلاثة أيام، وإنّما كان هذا لأجل التعلّق الطبيعي والعلاقة الجِبِلّية لأولياء اللّه تجاه العالم[2].

١- الشاه آبادي قدس سره أستاذ الإمام الخميني في الفلسفة والعرفان.

٢- الأربعون حديثا، الحديث السادس، فصل في بيان تأثير الحظوظ الدنيوية في القلب ومفاسده.

المحور الرابع:

التوبة والاستغفار

الكفايات:

١. معرفة أهمّ مكفّرات الذنوب -وهي التوبة والاستغفار- من خلال القرآن والروايات.

٢. بيان أهمّ آثار التوبة والاستغفار؛ للحثّ على المسارعة إليها، وعدم التسويف بها.

٣. التطبيق العملي لموضوعي التوبة والاستغفار، من خلال بيان الشروط والأركان الأساسية.

المحتويات:

الدرس الثامن عشر: التوبة والاستغفار

الدَّرس الثامن عشر:

التوبة والاستغفار

أهداف الدَّرس:

أن يكون الطَّالب مع نهاية الدرس قادراً على أن:

١. يبيِّن حقيقة التَّوبة والاستغفار، والحكمة من تشريعهما.

٢. يشرح حكم التّوبة وآثارها في الكتاب والسنَّة.

٣. يبيّن أركان التّوبة وشروطها الأساسيَّة.

حكمة تشريع التوبة والاستغفار[1]:

للرجاء دورٌ مهمٌ في إبقاء الحيوية المعنوية في الفرد المسلم، فالشريعة لم تقطع رجاءه على أثر ارتكابه بعض الذنوب، بل فتحت مصراعيها للمذنبين كي يعودوا، وجعلت لذلك طرقاً، منها: الشفاعة، والتوبة، والاستغفار.

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّه وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّه تَوَّاباً رَحيماً**﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿**وَالَّذينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّه فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّه وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فيها وَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلينَ**﴾[3].

روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً أجلّه الله سبع ساعات، فإن استغفر الله لم يكتب عليه شيء، وإن مضت الساعات ولم يستغفر كُتبت عليه سيئة، وإنّ المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له، وإنّ الكافر لينساه من ساعته**»[4].

لذا رغّبت الشريعة المؤمنين وحثّتهم على الاستغفار، والنصوص الواردة في ذلك مستفيضة جداً، كتاباً وسنة.

١- راجع: الموسوعة الفقهية الميسرة، ص٢٤-٢٩ (بتصرف).
٢- النساء، ٦٤.
٣- آل عمران، ١٣٥-١٣٦.
٤- أصول الكافي، ج٢، ص٤٣٧.

وما أكثر الأدعية المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام والمتضمّنة لأنواع الاستغفار، منها دعاء الإمام علي عليه السلام الذي علّمه كميل بن زياد، وممّا جاء فيه: «**اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تُنزل النقم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تُغيّر النعم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي تُنزل البلاء، اللهم اغفر لي كل ذنب أذنبته**»[1].

حقيقة المغفرة والتوبة:

«المغفرة هي الستر، بمعنى أن يستر القادرُ القبيحَ الصادرَ ممن تحت قدرته».[2]

فالمغفرة إذن هي التغطية على الذنوب والعفو عنها، وهي من أسماء الله عزّ وجلّ، الغفور، والغفّار، بمعنى الساتر لذنوب عباده، وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم، وذنوبهم.

التوبة: «الرجوع من الذنب. وفى الحديث: « الندم توبة «، وكذلك التوب مثله. وقال الأخفش : التوب جمع توبة ، مثل عومة وعوم. وتاب إلى الله توبة ومتاباً»[3].

أمّا شرعاً، فهي الرُّجوع إلى صراط الله المستقيم بعد الانحراف عنه[4].

وقد عرَّفها علماء الأخلاق بأنّها ترك المعاصي في الحال، والعزم على الابتعاد عنها في الاستقبال، وتدارك ما سبق من التقصير في حقّ الله وحقوق الآخرين.

قال الإمام الخميني قدس سره بشأنها: «التوبة من المنازل المهمّة الصعبة، وهي عبارة عن الرجوع عن عالم المادة إلى روحانية النفس، بعد أن حُجبت هذه الروحانية ونور الفطرة بغشاوات ظلمانية من جرّاء الذنوب والمعاصي»[5].

فحقيقة التوبة إذن، هي الرجوع الاختياري عن المعصية إلى الطاعة والعبودية لله وحده لا شريك له، ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[6].

وتوبة العبد إلى الله ورجوعه بتركه للمعصية – وهو توفيق إلهي محض –؛ لان الإنسان

١- مفاتيح الجنان، ص٩٢.
٢- القاموس الفقهي، ص ٢٧٥-٢٧٦.
٣- الصحاح، ج١، ص٩١-٩٢.
٤- المكاسب، ص٣٣٥.
٥- الأربعون حديثاً، ص٢٥٧.
٦- النور، ٣١.

في ذاته فقير، والفقر عين ذاته، بمعنى أنّه متمحِّضٌ في الحاجة، لذا فهو محتاج إلى توفيق الله ومدده تعالى.

حكم التوبة:

إذا أقدم الإنسان على المعصية، وكان بالغاً عاقلاً عالماً بحرمة ما ارتكبه، غير مضطّر إليه، وليس مجبراً عليه، يعتبر حينئذٍ عاصياً، وتصبح التوبة واجبةً عليه.

وقد أفتى الفقهاء بوجوبها، فذكر الإمام الخميني قدس سره في تحرير الوسيلة: «من الواجبات التوبة من الذنب، فلو ارتكب حراماً أو ترك واجباً تجب التوبة فوراً، ومع عدم ظهورها منه وجب أمره بها، وكذا لو شُكّ في توبته، وهذا غير الأمر والنهي بالنسبة إلى سائر المعاصي، فلو شُكّ في كونه مقصِّراً، أو عُلم بعدمه، لا يجب الإنكار بالنسبة إلى تلك المعصية، لكن يجب بالنسبة إلى ترك التوبة»[1].

ويعتبر الإنسان مذنباً، وتجب عليه التوبة، إذا تحقّقت أربعة شروط:

١- أن يكون المذنب قد بلغ سن التكليف الشرعي؛ لأن غير المكلّف ليس مخاطباً بالأحكام الشرعية، وإن ترتّب على بعض أفعاله حقوق قضائية، فيما يتعلّق بحماية الفرد والمجتمع.

٢- أن يكون المذنب عالماً بحرمة ما ارتكبه من جرم، وما اقترفه من معصية، أي غير جاهلٍ أو مخطئ به.

٣- أن يكون المذنب عاقلاً حين إقدامه على المعصية، وقد ارتكبها بكامل وعيه (أي ارتكبها مع سبق الإصرار).

٤- أن لا يكون المذنب مضطّراً إلى ارتكاب المعصية والتلبّس بالجريمة ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾[2].

فإذا تمّت هذه الشروط في مرتكب الجرم، وقد تلبَّس به، يصبح مذنباً من جهة شرعية، وتجب عليه المبادرة إلى التوبة.

١- تحرير الوسيلة، ج ١، مسألة ٥، ص٤٧٠.
٢- البقرة، ١٧٣.

التوبة والاستغفار في القرآن الكريم:

حثّ القرآن الكريم على التوبة في مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾[1]، ﴿**...وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[2]، ﴿**أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[3]، فهذه الآيات فيها حثّ على التوبة والاستغفار، مهما كَبُر الذنب أو صَغُر، ومهما كان الإنسان، عادياً أو من الأولياء الصالحين، وغيرهم. وآيات التوبة التي وردت في القرآن كثيرة وعديدة، نقتصر منها على أربع آيات؛ لأهميّتها، ووجود نكات دقيقة فيها:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيما**﴾[4].

والجهالة المقصودة بالآية ليست هي عدم العلم بالمعصية، وإنّما طغيان الغريزة، وسيطرة الأهواء الجامحة، والحقيقة نفسها بيّنها الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة: «**إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد، ولا بأمرك مستخف، ولا لعقوبتك متعرّض، ولا لوعيدك متهاون، لكن خطيئة عرضت، وسوّلت لي نفس، وغلبني هواي**»[5].

الآية الثانية: قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[6].

رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام: **لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً...﴾، صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له: ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيّدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين، فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال: لست لها، فقام آخر، فقال: مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس**

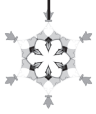

١- هود، ٩٠.
٢- النور، ٣١.
٣- المائدة، ٧٤.
٤- النساء، ١٧.
٥- الصحيفة السجادية، دعاءه في سحر كل ليلة من شهر رمضان.
٦- آل عمران، ١٣٥.

الخنّاس، أنا لها، فقال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنّيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكّله بها إلى يوم القيامة»[1]. وفي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ عندما نزلت الآية الشريفة، قال: «**هذه هديّة لي ولأمّتي خاصّة من الرجال والنساء، ولم يُعطها أحدٌ من الأنبياء الذين كانوا قبلي، ولا غيرهم**»[2].

الآية الثالثة: قال الله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾[3].

والآية تدلّ على عظمة الرحمة الإلهية؛ فهي تصرّح بأنّ الله تعالى لن يكتفي بمغفرة ذنوب المذنبين، بل سيبدّل سيئاتهم إلى حسنات.

الآية الرابعة: قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[4].

حذّر الله تعالى عباده من اليأس والقنوت، وبشّرهم في هذه الآية الكريمة بأنّه تعالى يغفر جميع الذنوب دون استثناء، إلا الشرك به تعالى كما صرّح القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[5]، إلا إذا تاب من الشرك وعاد إلى الإسلام. فلا مغفرة -كما صرّح القرآن- دون توبةٍ من الشِّرك، والآية المذكورة ناظرةٌ إلى المغفرة من دون التَّوبة.

آثار التوبة والاستغفار:

إنّ للاستغفار والتوبة آثاراً عظيمةً على الإنسان، تؤثّر عليه من خلال مجريات حياته، نشير فيما يأتي إلى بعضها:

1. الخير والبركة: هناك ارتباطٌ قويٌّ بين الاستغفار وبين صلاح المجتمع ونزول البركات والحياة الطيبة، قال تعالى حكاية عن هود عليه السلام: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى**

١- بحار الأنوار، ج٦٠، ص١٩٧.
٢- بحار الأنوار، ج٨٨، ص١٣١.
٣- الفرقان، ٧٠.
٤- الزمر، ٣٥.
٥- النساء، ٤٨ و١١٦.

قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾**[2].

وعن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أنعم الله عزّ وجلّ عليه نعمة فليحمد الله، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزنه أمر فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله**»[3].

2. دفع العذاب: من آثار الاستغفار الطيبة رفع العذاب عن هذه الأمة، وعن الإمام علي عليه السلام قال: «**كان في الأرض أمانان من عذاب الله سبحانه، وقد رُفِع أحدهما، فدونكم الآخر فتمسّكوا به، أمّا الأمان الذي رُفِع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما الأمان الباقي فالاستغفار، قال الله عزّ من قائل: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**»[4][5].

3. طرد الشيطان: الاستغفار يبعد الشيطان ويحبط مؤامراته، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: ألا أخبركم بشيءٍ إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان عنكم كما تباعد المشرق عن المغرب؟ قالوا: بلى، قال: الصوم يسوّد وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحبّ في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطعان دابره، والاستغفار يقطع وتينه**»[6].

4. تكفير السيئات: فإذا تاب العبد توبة نصوحاً كفَّر الله بها جميع ذنوبه وخطاياه، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾**[7].

5. تبدّل السيئات حسنات: فإذا حَسُنت التوبة بدَّل الله سيئات صاحبها حسنات، قال الله تعالى: **﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾**[8]. وهذا من أعظم البِشارة

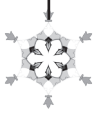

١- هود، ٥٢.
٢- الأعراف، ٩٦.
٣- بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٠١.
٤- الأنفال، ٣٣.
٥- بحار الأنوار، ج٩٠، ص٢٨٤.
٦- أصول الكافي، ج٤، ص٦٢.
٧- التحريم، ٨.
٨- الفرقان، ٧٠.

للتائبين، إذا اقترن بتوبتهم إيمان وعمل صالح.

6. طهارة القلوب: الاستغفار كما ورد في النصوص الشريفة يجلي القلوب، ويطهّرها من كل خبث ونجس، قال رسول الله ﷺ: «**إنّ للقلوب صداء كصداء النحاس، فأجلوها بالاستغفار**»[1]، لقد عبّر رسول الله ﷺ عن الذنوب بالصدأ، التي لا يمكن جلاؤها إلا بالاستغفار.

مراتب التوبة ودرجاتها:

ذَكَر الشهيد دستغيب أربع مراتب للتوبة[2]:

١- العودة من الكفر إلى الإيمان، ومن الشِرك إلى اليقين، وهكذا الرجوع من أيّ عقيدةٍ باطلةٍ إلى الحقّ.

٢- العودة من المعصية - صغيرةً كانت أو كبيرة - إلى الطاعة، ومن المخالفة إلى الامتثال والموافقة.

٣- العودة من القصور أو التقصير في معرفة الخالق تعالى، أو أداء وظائف العبودية بالنحو المناسب.

٤- العودة من الغفلة عنه تعالى إلى ذكره، والبُعد عنه إلى التقرّب منه، والعودة من الجفاء معه تعالى إلى الوفاء، وهذه درجة خاصّة يدركها القليلون.

أركان التوبة وشرائطها:

حقيقة التوبة - كما ذكرنا - هي رجوع العبد إلى الله تعالى، وإقلاعه عن المعاصي، ولا يتحقّق ذلك إلا بمراعاة شروط التوبة والالتزام بأركانها؛ فالتوبة ما لم تقترن بندمٍ حقيقيٍ على الفعل الذي هو حاجب بين العبد وربّه، وتصميمٍ على عدم العودة إليه أصلاً، وسعيٍ لمحو كلّ آثاره الباطنية والخارجية، من خلال إفراغ ذمّته من أيّ حقّ متعلّق فيها، سواء الحقّ الإلهي أو حقّ الناس، فإنّ التوبة تبقى ناقصةً وغير مكتملةٍ، ولا يتوقّع منها أن تؤتي ثمارها الطيبة والمرجوّة، قال تعالى: ﴿

١- وسائل الشيعة، ج٧، ص١٧٦.

٢- الذنوب الكبيرة، ص٤١٠.

إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1].

جاء في نهج البلاغة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لقائل قال بحضرته أستغفر الله: «**ثكلتك أمّك، أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العلّيين، وهو اسم واقع على ستّة معان:**

أوّلها: الندم على مضى.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم؛ حتى تلقى الله أملس ليس عليك تَبِعة.

والرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضةٍ عليك ضيعتها، فتؤدّي حقّها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت، فتذيبه بالأحزان، حتى تلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينها لحم جديد.

والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة، كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله»[2].

ومما تقدّم في كلام الإمام علي عليه السلام، نستنتج أنّ للتوبة ركنين وأربعة شروط.

١. الركن الأول: الندم على الذنب.

٢. الركن الثاني: العزم على ترك الذنب وعدم العود إليه، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ الندم على الشرّ، يدعو إلى تركه**»[3].

وأمّا الشروط، فهي على قسمين:

- شروط القبول:

١. تأدية حقوق المخلوقين بإرجاعها إلى أهلها: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أيّها الناس، إنّ الذنوب ثلاثة: فذنب مغفور، وذنب غير مغفور، وذنب نرجو لصاحبه، ونخاف عليه. قيل: يا أمير المؤمنين عليه السلام فبيّنها لنا، قال: نعم. أمّا الذنب المغفور، فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا، فالله أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرتين. وأمّا الذنب الذي لا يُغفر، فمظالم العباد**

١- البقرة، ١٦٠.
٢- نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٤١٧.
٣- وسائل الشيعة، ج١٦، ص٦٧.

بعضهم لبعض، إنّ الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قسماً على نفسه، فقال: وعزّتي وجلالي، لا يجوزني ظلم ظالم، ولو كفّ بكف، ولو مسحة بكفّ، ولو نطحة ما بين القرناء إلى الحمّاء، فيقتصّ للعباد بعضهم من بعض، حتى لا تبقى لأحدٍ على أحدٍ مظلمة، ثم يبعثهم للحساب.

وأمّا الذنب الثالث، فذنب ستره الله على خلقه، ورزقه التوبة منه، فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربّه، فنحن له كما هو لنفسه، نرجو له الرحمة، ونخاف عليه العذاب»[1].

٢. تأدية حقوق الخالق سبحانه وتعالى: يجب على التائب تدارك ما فوّته من حقوق الله تعالى، وأن يعود فيتداركها كلّها حسب ما قرّرت الشريعة الإسلامية، فيقضي الصلاة، ويقضي الصوم، ويكفّر عما فاته أيضاً، إلى غير ذلك من الأمور المتعلّقة بحقوق الله تعالى.

- شروط الكمال:

١. إذابة اللحم الذي نبت على الحرام (كأكل الربا).

٢. إذاقة الجسم ألم الطاعة.

التوبة النصوح:

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً**﴾[2].

في الآية حثّ على التوبة النصوح، والتوبة النصوح أعلى درجات التوبة أو التائبين، بعد الدرجات الأولى للتوبة، من ترك الذنوب مدّة، أو ترك الكبائر فقط.

المعنى: «النصح لغةً، بمعنى الإخلاص، نحو نصحت له الودّ، أي أخلصته»[3]، فالتوبة النصوح هي التي تصرف صاحبها عن المعصية، وتخلّصه من الرجوع إلى الذنب، وذلك بتحري جميع الطرق التربوية التي تصدّه عن المعصية.

ومعناها شرعاً: هي التوبة التي لا يعود فيها التائب إلى الذنب الذي تاب عنه، على ما ورد عن الصادق عليه السلام، حيث سُئِل عليه السلام عن معنى قول الله تعالى:

١- أصول الكافي، ج٢، ص٤٤٣.

٢- التحريم، ٨.

٣- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (نصح).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾، فقال: «**يتوب العبد من الذنب، ثم لا يعود فيه**»[1].

وإذا رجعنا إلى روايات أهل البيت عليهم السلام نجد التوبة النصوح قد فُسّرت بثلاثة تفاسير:

١. أن يتوب العبد من الذنب، ولا يعود إليه أصلاً، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾، قال عليه السلام: «**هو الذنب الذي لا يعود فيه أبداً**»[2].

٢. أن يكون باطن التائب كظاهره، عن الإمام الصادق عليه السلام: «**التوبة النصوح أن يكون باطن الرجل كظاهره وأفضل**»[3].

٣. أن النصوح ما كانت خالصةً لوجه الله سبحانه، من قولهم: عسلٌ نصوح، إذا كان خالصاً من الشمع، بأن يندم على الذنوب لقبحها، وكونها خلاف رضا الله تعالى، لا لخوف النار مثلاً.

٤. منها: أنّ المراد توبة تنصح الناس، أي تدعوهم إلى أن يأتوا بمثلها؛ لظهور آثارها الجميلة في صاحبها، أو ينصح صاحبها فيقلع عن الذنوب، ثمّ لا يعود إليها أبداً.

فالتوبة النصوح إذن، هي إنابة صادقة تنصح القلب، وتخلّصه من رواسب المعاصي، وتظلّ تنصح صاحبها؛ لئلا يعود إلى الذنب مرة أخرى، ويواظب على الطاعات، ويجتنب المحرمات مراقباً نفسه في كل الحالات.

رُوِي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه خطب يوماً بالمسلمين، فقال: «**أيها الناس، توبوا إلى الله توبةً نصوحاً قبل أن تموتوا، بادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا...**»[4].

وعن أبي بصير قال: «**قلت لأبي عبد الله** عليه السلام :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً**﴾ قال: **هو الذنب (أي التوبة من الذنوب) الذي**

١- أصول الكافي، ج٢، ص٤٣٢.
٢- وسائل الشيعة، ج١٦، ص٧٢.
٣- وسائل الشيعة، ص٧٧.
٤- إرشاد القلوب، ج١، ص٤٥.

لا يعود فيه أبداً، قلت وأيّنا لم يعد؟ فقال: يا أبا محمد، إن الله يحبُّ من عباده المفتتن التوّاب»[1].

ولهذا، فإنّ التوبة النصوح منهج تربوي متكامل، يبدأ بالتخطيط للتوبة إلى إعلانها، إلى تطبيق الخطط العملية للتوبة، وصولاً إلى المراقبة الذاتية، فالمحاسبة اليومية.

١- أصول الكافي، ج٢، ص٤٣٢.

١. الحكمة من تشريع التوبة والاستغفار، فتح باب الرجوع إلى الله أمام العصاة المقرّين بخطئهم، وهو من أعظم أبواب الرحمة الإلهية والتجلي العملي لاسم الرحمن.

٢. المغفرة هي التغطية على الذنوب والعفو عنها، والغفور من أسماء الله الحسنى، أمّا التوبة، فتعني الإنابة والرجوع الاختياري عن المعصية إلى الطاعة والعبودية لله.

٣. التوبة من الذنب من الواجبات الإلهية، وإذا ارتكب إنسان ما حراماً أو ترك واجباً وجب عليه التوبة فوراً، ومع عدم ظهورها منه وجب أمره بها.

٤. للتوبة والاستغفار آثار إيجابية عظيمة، فهي تجلب الخير والرحمة الإلهية، وتدفع العذاب والنقمة، وتطرد الشيطان وأعوانه، وتبدّل السيئات حسنات، وتطهّر القلوب.

٥. للتوبة أركان وشروط تجب مراعاتها والالتزام بها حتى تصبح توبة العبد مقبولة، وأفضل أنواع التوبة هي التوبة النصوح، وهي التي لا يعود العبد بعدها إلى الذنب.

الإنسان بفطرته يحب الكمال

لا يخفى على كل ذي وجدان أن الإنسان، بحسب فطرته الأصيلة وجبلّته الذاتية، يعشق الكمال التام المطلق، ويتوجّه قلبه شطر الجميل على الإطلاق والكامل من جميع الوجوه. وهذا من فطرة الله التي فطر الناس عليها وبهذا الحب للكمال، تتوفّر إرادة المُلك والملكوت، وتتحقّق أسباب وصول عشّاق الجمال المطلق إلى معشوقهم.

غير أن كل امرئ يرى الكمال في شيء ما، حسب حاله ومقامه، فيتوجّه قلبه إليه. فأهل الآخرة يرون الكمال في مقامات الآخرة ودرجاتها، فقلوبهم متوجّهة إليها. وأهل اللّه يرون الكمال في جمال الحق، والجمال في كماله سبحانه يقولون ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾ ويقولون: «لي مَعَ اللَّهِ حال» وفيهم حب وصاله وعشق جماله. وأهل الدنيا عندما رأوا أن الكمال في لذائذها، وتبيّن لأعينهم جمالها، اتجهوا فطرياً نحوها. ولكن على الرغم من كل ذلك، فإنه لمّا كانَ التوجه الفطري والعشق الذاتي قد تعلقا بالكمال المطلق، كان ما عدا ذلك من التعلّقات عرضياً ومن باب الخطأ في التطبيق.

إن الإنسان مهما كثر مُلكه وملكوته، ومهما نال من الكمالات النفسية أو الكنوز الدنيوية أو الجاه والسلطان، ازداد اشتياقه شدّه، ونار عشقه التهاباً. فصاحب الشهوة، كلّما ازدادت أمامه المشتهيات، ازداد تعلّق قلبه بمشتهيات أخرى ليست في متناول يده، واشتدّت نار شوقه إليها. وكذلك النفس التي تطلب الرئاسة، فهي عندما تبسط لواء قدرتها على قطر من الأقطار، تتوجّه بنظرة طامعة إلى آخر، بل لو أنها سيطرت على الكرة الأرضية برمتها، لرغبت في التحليق نحو الكرات الأخرى للاستيلاء عليها. إلاّ أن هذه النفس المسكينة لا تدري بأن الفطرة إنّما تتطلع إلى شيءٍ آخر. إن العشق الفطري الجبلّي يتجه إلى المحبوب المطلق، إن جميع الحركات الجوهرية والطبيعية والإرادية، وجميع التوجّهات القلبية والميول النفسية تتوجّه نحو جمال الجميل الأعلى على الإطلاق، ولكنهم لا يعلمون، فينحرفون بهذا الحب والعشق والاشتياق ـ التي هي براق المعراج وأجنحة الوصول إلى وجهة هي خلاف وجهتها، فيحرّروها ويقيدوها بلا فائدة[1].

١- الأربعون حديثاً، الحديث السادس، فصل: الإنسان بفطرته يحب الكمال التّام المطلق.

فهرس المحتويات

مقدمة 4

المحور الأول: الذنوب حقيقتها وأنواعها 9

الدرس الأول: ماهية الذَّنب وأنواعه 11

الدَّرس الثَّاني: كبائر الذنوب 25

الدَّرس الثالث: صغائر الذّنوب 37

الدَّرس الرابع: الأسباب والمناشئ الداخلية للذنوب 49

الدَّرس الخامس: الأسباب والمناشئ الخارجية للذنوب 63

المحور الثاني: آثار الذّنوب 77

الدَّرس السَّادس: آثار الذّنوب في الدُّنيا (1) 79

الدَّرس السَّابع: آثار الذّنوب في الدُّنيا (2) 93

الدَّرس الثامن: الآثار البرزخية للذنوب 109

الدَّرس التاسع: الآثار الأخروية للذنوب 127

المحور الثالث: كبائر الذنوب وطرق علاجها 141

الدرس العاشر: أصول الكفر (1): (الكِبْر) 143

الدَّرس الحادي عشر: أصول الكفر (2): (الحِرص، الحسد) 157

الدرس الثاني عشر: موجبات دخول النار 173

الدرس الثالث عشر: أكبر الكبائر (1): الشِّرك بالله، اليأس من روح الله، الأمن من مكر الله 191

الدرس الرابع عشر: أكبر الكبائر (2): السّحر، الزِّنا، اليمين الغموس، الغلول، شهادة الزُّور وكتمان الشَّهادة، نقض العهد 205

الدرس الخامس عشر: أكبر الكبائر (3): شرب الخمر- ترك الصلاة متعمّداً - قطيعة الرحم 223

الدرس السادس عشر: آفات اللسان (1): الكذب، الغيبة، البهتان 237

الدرس السابع عشر: آفات اللسان (2): النميمة، إفشاء السر، بذاءة اللسان، السُّخرية والاستهزاء 253

المحور الرابع: التوبة والاستغفار 269

الدَّرس الثامن عشر: التوبة والاستغفار 271